رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور محمد عبد السلام كفافي
استاذ آداب الامم الاسلامية
بجامعة القاهرة وجامعة بيروت العربية

في أدب الفرس وحضارتهم

نصوص ومحاضرات

١٩٧٠

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت — : ت ٣٠٣٨١٦

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

في أدب الفرس وحضارتهم
نصوص ومحاضرات

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الدكتور محمد عبد السلام كفافي
استاذ آداب الامم الاسلامية
بجامعة القاهرة وجامعة بيروت العربية

في أدب الفرس وحضارتهم

نصوص ومحاضرات

١٩٧٠

دار النهضة العربية
للطباعة والنشر
بيروت — : ت ٣٠٣٨١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدّمة

هذه صفحات تضم مجموعة من النصوص الفارسية ، إلى جانب مبادىء اللغة الفارسية ، ودراسات في حضارة الفرس القدماء . وقد يبدو أن هذه العناصر المختلفة لا يجمع بينها جامع سوى انتمائها الى الشعب الفارسي .

وفي الحق أن المسؤول عن الجمع بين هذه العناصر هي حاجة الدارسين في الجامعات العربية إلى الإلمام بجوانب شتى من حضارة الفرس وأدبهم في الوقت القصير المتاح لهذه الدراسات في جامعاتنا العربية .

لقد اتصل العرب بالفرس بعد الفتح الاسلامي على نطاق واسع . وكان الاتصال بين العرب والفرس قبل ظهور الاسلام يقوم على نطاق محدود أساسه الجوار ، وكذلك قوي هذا الاتصال في دولة الحيرة العربية على حدود الدولة الساسانية .

إن الفتح الاسلامي بدأ في ايران عصراً جديداً أدي إلى ادخال تغييرات جوهرية على لغة الفرس وأدبهم . وتلخص هذه التغييرات فيما يلي :

أولاً: تغيرت الحروف التي كانت تكتب بها اللغة الفارسية فتخلت اللغة عن الخط القديم ، وأصبحت تكتب بالحروف العربية . وكان هذا التغيير في صالح اللغة الفارسية إذ سهل كتابتها ، ويسرها للدارسين .

ثانياً : انتقلت إلى اللغة الفارسية آلاف من المفردات العربية ، وأصبحت هذه المفردات تشكل قسماً جوهرياً من لغة الفرس المسلمين . وقد زادتها هذه المفردات غنى وجمالاً وقدرة على التعبير ، ويكفي أن نذكر كيف استطاع الفرس التنويع في أداء المعاني وذلك باستخدام المفردات العربية ثم الفارسية في أداء المعاني ذاتها بطرق مختلفة ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتاب « گلستان » الذي يعتبره الفرس مثالاً رائعاً للأسلوب الأدبي .

ثالثاً : تطور الشعرالفارسي في ظلال الشعرالعربي فاتخذ في عهده الاسلامي صورة جديدة . إن الشعر الفارسي بعد الفتح العربي غيره قبل هذا الفتح . فنحن لا نكاد نجد في التراث الفارسي القديم شعراً فارسياً سوى بعض التراتيل الدينية التي وردت في كتاب الأفستا ، وهذه ذات موسيقى غير واضحة . وما ان اتصل الأدب الفارسي بالأدب العربي حتى اقتبس منه أوزان الشعر . وقد انتقلت أوزان الشعر العربي بكاملها إلى الأدب الفارسي ، ومن هذه الأوزان ما وافق طباع الفرس ، ومنها ما لم يوافق طباعهم . ولهذا وجدناهم يهجرون بعض هذه الأوزان ، ويقبلون على بعضها الآخر .

وقد طور الفرس الأوزان العربية التي اقتبسوها ، وشكلوا منها أنواعاً وضروباً متعددة ، وقد اختلف بعض هذه الأوزان في صورته الفارسية عن أصوله العربية ، وإن بقي متفقاً مع هذه الأصول في نوع تفعيلاته . وكان من الضروري أن يكون تطبيق الأوزان العربية على المفردات الفارسية مختلفاً عن تطبيق هذه الأوزان على المفردات العربية ، وهي التي تطورت في ظلالها هذه الأوزان ، فاضطر الفرس إلى أن يستخدموا المد والقصر لجعل الألفاظ الفارسية متمشية مع الأوزان العربية .

رابعاً : اقتبس الفرس من العرب ما ارتبط بالشعر من فنون بلاغية ، وتطورت بعد ذلك فنون البلاغة في اللغتين على وتيرة واحدة ، وأصبحت المصطلحات واحدة في كل منهما .

خامساً : أصبحت اللغة الفارسية – بعد الفتح العربي – لغة من اللغات المعبرة عن الثقافة الاسلامية . فالفرس – في القرون الأولى للاسلام – اتخذوا اللغة العربية أداة للتعبير العلمي ، فألفوا الكتب في شتى العلوم والفنون باللغة العربية ، واشتركوا مع العرب في ابداع نهضة علمية مشرقة ، واشتهرت أسماء علماء الفرس إلى جانب اخوانهم العرب، وأسهموا في مختلف الدراسات، ولم يحجموا عن خوض أي منها ، فشاركوا في كل شيء . والأسماء التي يمكن أن تذكر هنا كثيرة لا يمكن حصرها ، ويكفي أن نرجع إلى كتب التراجم العامة والخاصة لنطلع على أسماء العلماء الأجلاء الذين ظهروا من بين الفرس وأسهموا بجهودهم في شتى ميادين العلم والفن .

وما أن عادت اللغة الفارسية إلى الظهور فيمنتصف القرن الرابع الهجري حتى أصبحت – في فترة وجيزة – لغة معبرة عن أدب يعتبر من أجل آداب الانسانية ، ويكفي أن نذكر أن هذه اللغة شهدت إبداع « شاهنامه » التي نظمها الفردوسي في أواخر القرن الرابع الهجري ، أي بعد سنوات قليلة من عودة اللغة الفارسية إلى الظهور ، وتوالى ظهور الشعراء بهذه اللغة على مر العصور ، وتعددت أنواعها الأدبية ، فنظمت الملاحم ، والمنظومات القصصية المطولة التي بلغت كل منها آلاف الأبيات وظهر الغزل الفارسي ، واتخذ صورة جديدة مختلفة عن الغزل العربي ، كما ظهر فن الرباعيات . هذا إلى جانب الأنواع التقليدية كالقصيدة والمقطوعة ، وقد نقلها الفرس عن العرب .

وأصبحت هذه الأنواع الأدبية قوالب جديدة لألوان رائعة من الشعر احتفظت بأثر العربية عليها في مفرداتها اللغوية ، وفنونها الأدائية .

ولم يمض وقت طويل حتى ألفت الكتب باللغة الفارسية ، وأصبحت هذه اللغة شريكة للعربية في التعبير عن الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي . وأصبح لزاماً على دارس هذه الحضارة أن يحيط علماً بما ألف في الفارسية إلى جانب علمه بما ألف في العربية .

ومن هنا نشأت حاجة الدارس العربي لتاريخ الثقافة العربية والاسلامية إلى الالمام بآداب الفرس وثقافتهم . ومن هنا كانت عناية الجامعات العربية بتيسير سبل هذه الثقافة أمام الدارسين .

محمد كفافي

بيروت في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس المحتويات

	صفحة
المقدمة	
النصوص الفارسية	
گلستان سعدى ، الباب الأول	٥ – ٤٢
مختارات من الشاهنامه	٤٣ – ٤٦
رباعيات عمر الخيام	٤٧ – ٥٨
مبادىء اللغة الفارسية	
الأحرف الفارسية	٦١ – ٦٢
التذكير والتأنيث	٦٣
الجملة	٦٣ – ٦٤
الضمائر المنفصلة	٦٤ – ٦٥
تصريف الرابطة	٦٥ – ٦٦
الضمائر المتصلة	٦٦
المصدر	٦٦
الماضي المطلق	٦٧ – ٦٨
الماضي القريب	٦٨ – ٦٩
الماضي البعيد	٦٩
الماضي الاستمراري	٧٠

صفحة

المضارع	٧٠ – ٧٢
المضارع الاستمراري	٧٢
المستقبل	٧٣
الأمر	٧٤
النفي	٧٤. – ٧٥
النهي	٧٦
المفرد والجمع	٧٦ – ٧٧
اسم الاشارة	٧٧
اللاحقة « را »	٧٧
اسم المفعول	٧٨
اسم الفاعل	٧٨
الصفة المشبهة	٧٨
الصيغة الحالية	٧٩
الصفة والموصوف	٧٩
ضمير الموصول	٨٠ – ٨١
ضمير الاستفهام	٨١ – ٨٢
أدوات الاستفهام	٨٢
المبنى للمجهول	٨٣
المصدر الشيني	٨٣
الدعاء	٨٤
النداء	٨٤ – ٨٥
الصفة المنسوبة	٨٥
قواعد صرفية	٨٦
المصادر الفارسية	٨٧ – ١٠٥

صفحة

معالم تاريخ الفرس القدماء وحضارتهم

جغرافية ايران ١٠٩ – ١١٣

تاريخ ايران القديم

الدولة الأكمينية ١١٣

قورش ١١٤

قمبيز ١٧

دارا ١١٨

الادارة (في عصر دارا) ١١٨

الحياة الاقتصادية والاجتماعية ١٢٣

الدولة الأكمينية بعد دارا ١٢٦

خشيار شاي (اكزرسيس) ١٢٨

أردشير الأول (ارتخشتر) ١٣٢

دارا الثاني ١٣٤

أردشير الثاني ١٣٤

أردشير الثالث ١٣٨

نهاية الأكمينيين وقيام دولة الاسكندر ١٤١

السلوقيون ١٥٣

الساسانيون ١٥٤

التنظيم والادارة والجيش ١٦٨

أديان الفرس القدماء ١٧٥

دين الفرس قبل زردشت ١٧٨

حياة زردشت ١٨٠

تعاليم زردشت ١٨٢

نظرية الخير والشر في دين زردشت ١٨٣

صفحة

مملكة النور ١٨٥
أهورا مزدا ، إله الايرانيين القدماء ١٨٦
الملائكة الكبار ١٨٦
الملائكة الآخرون ١٨٨
الأرواح الخيرة ١٨٩
كائنات خرافية ١٩٠
مملكة الظلام ١٩٠
الشيطان الأكبر ١٩٢
أهريمن ، كما تصوره الكتابات البهلوية ١٩٦
الشياطين ١٩٧
المبادىء الخلقية ٢٠٠
تقديس عناصر الطبيعة ٢٠٢
زواج أقرب الأقارب ٢٠٣
الزردشتية بعد زردشت ٢٠٤
قول البيروني ٢٠٥
ماني ٢٠٨
مزدك ٢١١
الفتح الاسلامي ٢١٣

ترجمة النصوص

حديقة الورد لسعدي ٢١٧ — ٢٥٧
مختارات من الشاهنامه ٢٥٨ — ٢٦٥
مختارات من رباعيّات الخيام ٢٦٦ — ٢٦٨

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النصوص الفارسية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النصوص الفارسية

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

باب اول

درسیرت پادشاهان

حکایت

پادشاهی‌راشنیدم که بکشتن اسیری‌اشارت کرد. بیچاره درحالت نومیدی ملك را دشنام دادن گرفت وسقط گفتن ، که گفته‌اند : هر که دست ازجان بشوید هرچه دردل دارد بگوید .

وقت ضرورت چو نماند گریز　　دست بگیرد سر شمشیر تیز

اذا یئس الانسان طال لسانه　　کسنور مغلوب یصول علی الکلب

ملك‌پرسید که: چه میگوید؟ یکی ازوزرای‌نیك‌محضر گفت: ای خداوند،همی گوید:«والکاظمین الغیظ والعافین عن الناس».ملك‌را رحمت آمد وازسرخون او در گذشت. وزیردیگر، که ضد اوبود، گفت: ابنای جنس ما را نشاید در حضرت پادشاهان جز براستی سخن گفتن ، این ملك را دشنام داد وناسزا گفت . ملك روی از این سخن درهم کشید و گفت: مرا آن دروغ وی پسندیده‌تر آمد ازین راست که تو گفتی، که آن‌راروی درمصلحتی بود و بنای این بر خبثی و خردمندان گفته‌اند : دروغ مصلحت آمیزبه از راست فتنه انگیز .

هر که شاه آن کند که او گوید　　حیف باشد که جز نکو گوید

برطاق ایوان فریدون‌نبشته بود:

جهان، ای برادر ، نماند بکس　　دل اندر جهان آفرین بندو بس
مکن تکیه برملك دنیا وپشت　　که‌بسیار کس‌چون‌تو‌پرورد و کشت
چو آهنك رفتن کند جان پاك　　چه‌بر تخت‌مردن، چه‌بر روی‌خاك

حکایت

یکی از ملوك خراسان محمود سبکتگین را بخواب دید که جملهٔ وجود او ریخته بود و خاك شده، مگر چشمان او ، که همچنان درچشم خانه همی گردید ونظرهمی کرد. سایر حکما از تأویل آن‌فرو ماندند، مگردرویشی که‌بجای آورد و گفت: هنوزنگرانست که‌ملکش بادیگرانست.

بس‌نامور بزیر زمین دفن کرده‌اند
کز هستیش‌بروی زمین بر، نشان نماند
وان پیر لاشه را که سپردند زیرخاك
خاکش چنان بخورد کزواستخوان نماند
زنده است نام فرّخ نوشیروان بخیر
گرچه بسی گذشت که‌نوشین‌روان نماند
خیری کن ، ای فلان و غنیمت شمار عمر
زان پیشتر که بانگ برآید: فلان نماند

حکایت

ملك زاده‌ای راشنیدم که کوتاه بودوحقیرودیگربرادرانش بلند

و حوب روی . باری پدر بکراهیت و استحقار درو نظر کردی . پسر بفراست و استبصار بجای آورد و گفت : ای پدر ، کوتاه خردمند به از نادان بلند، نه هرچه بقامت مهتر بقیمت بهتر. الشاة نظیفة والفیل جیفه .

اقل جبال الارض طور و انه لاَعظم عندالله قدراً و منزلا
آن شنیدی که لاغری دانا گفت : روزی بابلهی فربه
اسب تازی اگر ضعیف بود همچنان از طویلهٔ خربه

پدر بخندید وارکان دولت بپسندیدند و برادران بجان بر بجیدند.

تا مرد سخن نگفته باشد عیب و هنرش نهفته باشد
هر پیسه گمان مبر نهالی باشد که پلنگ خفته باشد

شنیدم که: ملك را در آن نزدیکی دشمنی صعب روی نمود. چون لشکر ازهردو جانب روی درهم آوردند اول کسی که اسب در میدان جهانید آن پسر بود و گفت :

آن نه من باشم که روزجنگ بینی پشت من
آن منم کندر میان خاك وخون بینی سری
کانکه جنگ آرد بخون خویش بازی میکند
روز میدان وآنکه بگریزد بخون لشکری

این بگفت و برسپاه دشمن زد وتنی چند ازمردان کاری بینداخت چون پیش پدر بازآمد زمین خدمت ببوسید و گفت :

ای که شخص منت حقیر نمود تا درشتی هنر نپنداری
اسب لاغر میان بکار آید روز میدان ، نه گاو پروازی

آورده اند که: سپاه دشمن بی قیاس بود و اینان اندك. جماعتی آهنك گریز کردند. پسر نعره ای بزد و گفت: ای مردان بکوشید یاجامهٔ زنان

بپوشید. سواران رابگفتن او تهوزریادت گشت وبیکبارحمله‌آوردند. شنیدم که: هم در آن روز بردشمن‌ظفریافتند . ملك سروچشمش‌ببوسید و در کنار گرفت و هر روزش نظر بیش کرد تا ولی‌عهد خویش کرد. برادران حسد بردند وزهردرطعامش کردند . خواهرش‌ازغرفه بدید و دریچه برهم زد. پسر دریافت ودست‌ازطعام باز کشید و گفت: محالست که هنرمندان بمیرند و بی‌هنران جای ایشان بگیرند .

کس نیاید بزیر سایهٔ بوم ور همای از جهان شود معدوم

پدر را ازین حال آگاهی‌دادند. برادرانش رابخواند و گوشمالی بواجب داد، پس هر یك را از اطراف بلاد حصه‌ای معین کرد. تا فتنه بنشست ونزاع برخاست، که ده درویش در گلیمی بخسبند ودو پادشاه در اقلیمی نگنجند .

نیم نانی گرخورد مرد خدای بذل درویشان کند نیمی دگر
ملك اقلیمی بگیرد پادشاه همچنان در بند اقلیمی دگر

حکایت

طایفهٔ دزدان‌عرب برسر کوهی‌نشسته بودند ومنفذ کاروان‌بسته ورعیت بلدان از مکاید ایشان مرعوب ولشکرسلطان مغلوب، بحکم آنکه ملاذی‌منیع ازقلهٔ کوهی گرفته بودند وملجأ ومأوای‌خودساخته. مُدبران ممالك آن طرف در دفع مضرّت ایشان‌مشاورت همی کردند که: اگر این طایفه هم برین‌نسق روزگاری مداومت نمایند مقاومت با ایشان ممتنع گردد .

درختی که‌اکنون گرفتست‌پای بنیروی شخصی برآید ز جای

ورش همچنان روزگاری هلی بگردونش از بیخ بر نگسلی
سر چشمه شاید گرفتن ببیل چو پرشد نشاید گذشتن بپیل

سخن برین مقرر شد که یکی را بتجسس ایشان بر گماشتند و فرصت نگاه میداشتند، تا وقتی که برسر قومی رانده بودند و بقعه خالی مانده، تنی چند از مردان واقعه دیدهٔ جنگ آزموده را بفرستادند تا درشعب جبل پنهان شدند. شبانگاه که دزدان باز آمدند، سفر کرده و غارت آورده، سلاح از تن بگشادند و رخت غنیمت بنهادند. نخستین دشمنی که برسر ایشان تاخت خواب بود، چندانکه پاسی از شب در گذشت،

قرص خورشید در سیاهی شد یونس اندر دهان ماهی شد

مردان دلاور از کمین بدر جستند و دست یکان یکان بر کتف بستند و بامدادان بدرگاه ملك حاضر آوردند. همه را بکشتن اشارت فرمود. در آن میان جوانی بود، میوهٔ عنفوان شبابش نورسیده و سبزهٔ گلستان عذارش نودمیده. یکی از وزرا پای تخت ملك را ببوسه داد و روی شفاعت بر زمین نهاد و گفت: این پسر هنوز از باغ زندگانی بر نخورده است و از ریعان جوانی تمتع نیافته. توقع بکرم و اخلاق خداوندی آنست که ببخشیدن خون او بر بنده منت نهد. ملك روی ازین سخن درهم کشید و موافق رای بلندش نیامد و گفت:

پرتو نیکان نگیرد هر که بنیادش بدست
تربیت نااهل را چون گردکان بر گنبدست

نسل فساد اینان منقطع کردن اولیتر است و بیخ تبار ایشان برآوردن، که آتش نشاندن و اخگر گذاشتن و افعی کشتن و بچه نگاه داشتن کار خردمندان نیست.

ابر اگر آب زندگی بارد　　هر گزاز شاخ بید برنخوری
با فرومایه روزگار مبر　　کز نی بوریا شکر نخوری

وزیر این سخن بشنید طوعاً و کرهاً بپسندید و بر حسن رأی ملك آفرین خواند و گفت: آنچه خداوند، دام ملکه، فرمود عین حقیقت است، اگر در سلك صحبت آن بدان تربیت یافتی طبیعت ایشان گرفتی و یکی ازیشان شدی. اما بنده امیدوارست که بعشرت صالحان تربیت پذیرد وخوی خردمندان گیرد، که هنوز طفلست وسیرت بغی وعناد آن گروه درنهاد او متمکن نشده و درحدیثست: «کل مولودیولدالاوقد علی الفطرة ثم ابواه یهوّدانه و ینصرانه و یمجسانه.

با بدان یار گشت همسر نوط　　خاندان نبوّتش گم شد
سگ اصحاب کهف روزی چند　　پی نیکان گرفت و مردم شد

این بگفت و طایفه‌ای ازندمای ملك باوی بشفاعت یارشدند، تاملك ازسرخون او در گذشت و گفت: بخشیدم اگرچه مصلت ندیدم، دانی که چه گفت زال با رستم گرد؟

دشمن نتوان حقیر و بیچاره شمرد
دیدیم بسی که آب سر چشمهٔ خرد
چون بیشتر آمد شتر و بار ببرد

فی الجمله پسررا بنازونعمت برآورد و استاد و ادیب بتربیت او نصب کرد، تاحسن خطاب ورد جواب وسایر آداب خدمت ملوکش در آموخت، چنانکه درنظرهمگنان پسندیده آمد. باری وزیر ازشمایل او درحضرت ملك شمه‌ای می گفت که: تربیت عاقلان درواثر کرده است و جهل قدیم ازجبلت او بدر برده ملك را تبسم آمد و گفت:

عاقبت گرگ زاده گرگ شود گرچه با آدمی بزرگ شود

سالی دو برین بر آمد، طایفه‌ای اوباش محلت دروپیوستند وعقد مرافقت بستند تا بوقت فرصت وزیر وهردو پسرش را بکشت و نعمت بی قیاس برداشت و درمغارهٔ دزدان بجای پدر بنشست وعاصی شد. ملك دست تحیر بدندان گزیدن گرفت و گفت :

شمشیر نیك از آهن بد چون کند کسی؟

ناکس بتربیت نشود، ای حکیم، کس

باران، که در لطافت طبعش خلاف نیست

در باغ لاله روید و در شوره بوم خس

زمین شوره سنبل بر نیارد دروتخم وعمل ضایع مگردان

نکویی با بدان کردن چنانست که بد کردن بجای نیکمردان

حکایت

سرهنگ زاده‌ای را بردرسرای اُغلمش دیدم که عقل و کیاستی وفهم و فراستی زاید الوصف داشت، هم ازعهد خردی آثار بزرگی در ناصیهٔ او پیدا ،

بالای سرش ز هوشمندی می‌تافت ستارهٔ بلندی

فی الجمله مقبول نظر سلطان آمد ، که جمال صورت و کمال معنی داشت وحکما گفته‌اند: توانگری بهنرست، نه بمال و بزرگی بعقلست، نه بسال. ابنای جنس او بروی حسد بردند و بخیانتش متهم کردند و در کشتن او سعی بی‌فایده نمودند: دشمن چه کند چو مهربان باشد دوست؟ ملك پرسید که : موجب خصمی اینان در حق تو چیست؟ گفت: در سایهٔ دولت

خداوندی، دام ملکه، همگانرا راضی کردم، مگرحسود را، که راضی نمیشود الاّ بزوال نعمت من واقبال ودولت خداوندی باد!

توانم آنکه نیازارم اندرون کسی
حسودراچکنم؟ کوزخود برنج درست
بمیرتابرهی،ای حسود، کین رنجیست
که‌ازمشقت آن‌جزبمرگ نتوان‌رست

شوربختان بآروز خواهند مقبلان را زوال‌نعمت و جاه
گرنبیند بروز شپره چشم چشمه آفتاب را چه گناه؟
زاست‌خواهی‌هزارچشم چنان کور بهتر، که آفتاب سیاه

حکایت

یکی را از ملوك عجم حکایت کنند که دست تطاول بمال رعیت دراز کرده بود و جور و اذیت آغاز کرده، تابجایی که خلق از مکاید ظلمش بجهان برفتند واز کربت جورش راه غربت گرفتند. چون رعیت کم شد ارتفاع ولایت نقصان پذیرفت وخزینه تهی‌ماند ودشمنان زورآوردند.

هر که فریادرس روز مصیبت خواهد
گو: درایام‌سلامت بجوانمردی کوش
بندهٔ حلقه بگوش ار ننوازی برود
لطف کن،لطف، که‌بیگانه‌شودحلقه‌بگوش

باری‌بمجلس او در کتاب شاهنامه می‌خواندند، در زوال‌مملکت ضحاك و عهد فریدون. وزیرملك را پرسید که: هیچ توان‌دانستن که

فریدون، که گنج و ملك وحشم نداشت، چگونه بروممالکت مقرر شد؟ گفت: آنچنانکه شنیدی: خلقی بتعصب برو گرد آمدند وتقویت کردند و پادشاهی یافت. گفت: ای ملك، چون گرد آمدن خلق موجب پادشاهیست تو مر خلق را چرا پریشان میکنی؟ مگر سر پادشاهی نداری؟

همان به که لشکر بجان پروری که سلطان بلشکر کند سروری

ملك گفت: موجب گرد آمدن سپاه ورعیت چیست؟ گفت: پادشاه را کرم باید تا بدو گرد آیند و رحمت تا در پناه دولتش ایمن نشینند و ترا این هردو نیست.

نکند جور پیشه سلطانی که نیاید زگرگ چوپانی
پادشاهی که طرح ظلم افکند پای دیوار ملك خویش بکند

ملك را پند وزیر ناصح موافق طبع مخالف نیامد. روی ازین سخن درهم کشید و بزندانش فرستاد. بسی برنیامد که بنی اعمامش بمنازعت برخاستند وبمقاومت لشکر آراستند وملك پدر خواستند. قومی که از دست تطاول او بجان آمده بودند وپریشان شده بریشان گرد آمدند و تقویت کردند تا ملك از تصرف این بدر رفت وبر آنان مقرر شد.

پادشاهی، کو روا دارد ستم بر زیردست
دوستدارش روز سختی دشمن زور آورست
بارعیت صلح کن وز جنگ خصم ایمن نشین
زانکه شاهنشاه عادل را رعیت لشکرست

حکایت

پادشاهی باغلامی عجمی در کشتی نشست. غلام هرگز دریارا

ندیده بود و محنت کشتی نیازموده، گریه و زاری در نهاد ولرزه در اندامش افتاد. چندانکه ملاطفت کرد ندآرام نگرفت . ملك را عیش از ومنغض‌شد وچاره‌ندانستند. حکیمی‌در آن کشتی‌بود. ملك را گفت: اگرفرمان‌دهی‌من‌اورا‌بطریقی‌خاموش گردانم. گفت:غایت‌لطف‌و کرم باشد. بفرمود تاغلام‌بدریا انداختند. باری چندغوطه بخورد.پس‌مویش بگرفتند و سوی کشتی آوردند. بدودست درسکان کشتی در آویخت. چون‌بر آمدبگوشه‌ای‌بنشست وقرار‌یافت. ملك را عجب‌آمد، که درین چه حکمت بود؟ گفت: ازاول‌محنت غرقه شدن‌نچشیده‌بود وقدرسلامت کشتی نمی‌دانست، همچنین قدر عافیت کسی‌داند که بمصیبتی گرفتار آید.

ای سیر، ترانان جوین خوش ننماید
معشوق‌منست‌آنکه بنزدیك توزشتست
حوران بهشتی را دوزخ بود اعراف
از دوزخیان پرس که: اعراف بهشتست
فرقست میان آنکه یارش در بر
باآنکه دو چشم انتظارش بر در

حکایت

هرمزرا گفتند: وزیران پدررا چه خطادیدی که بند فرمودی؟ گفت خطایی معلوم نکردم ولیکن دیدم که مهابت من در دل ایشان بی‌کرانست و برعهد من اعتماد کلی ندارند. ترسیدم ازبیم گزند خویش آهنگ هلاك من کنند . پس‌قول‌حکما را کاربستم که گفته‌اند:

ازآن کز تو ترسد بترس ، ای حکیم

وگر با چو او صد برآیی بجنگ

نبینی که چون گربه عاجز شود

بر آرد بچنگال چشم پلنگ ؟

از آن مار بر پای راعی زند

که ترسد سرش را بکوبد بسنگ

حکایت

یکی ازملوك عرب رنجور بود، درحالت پیری وامید زندگانی قطع کرده، که سواری ازدردر آمدو بشارت داد که: فلان‌قلعه را بدولت خداوند گشادیم‌ودشمنان اسیر آمدند وسپاه ورعیت آن طرف بجملگی مطیع فرمان گشتند. ملك نفسی سرد برآورد و گفت: این مژده مرا نیست، دشمنان راست، یعنی وارثان مملکت .

بدین امید بسرشد ، دریغ، عمر عزیز

که آنچه در دلمست از درم فراز آید

امیدبسته برآمد ولی‌چه فایده ؟ زانك

امید نیست که عمر گذشته بازآید

کوس رحلت بکوفت‌دست اجل — ای‌دوچشمم، وداع سر بکنید

ای کف دست وساعد و بازو — همه تودیع یکدگر بکنید

برمن اوفتاده دشمن کام — آخر،ای‌دوستان، گذربکنید

روز گارم بشد بنادانی — من‌نکردم، شما حذربکنید

حکایت

بربالین تربت یحیی پیغامبر، علیه‌السلام، معتکف بودم، درجامع دمشق، که یکی ازملوك عرب، که ببی انصافی منسوب بود، اتفاقاً بزیارت آمد ونماز ودعا کرد وحاجت خواست .

درویش و غنی بندهٔ این خاك درند
و آنان که غنی ترند محتاج ترند

آنکه مرا گفت: ازآنجا که همت درویشانست وصدق معاملت ایشان خاطری همراه من کنید، که ازدشمنی صعب اندیشناکم. گفتمش: بررعیت ضعیف رحمت کن، تا ازدشمن قوی زحمت نبینی .

ببازوان توانا و قوت سر دست
خطاست پنجهٔ مسکین ناتوان بشکست
نترسد آنکه بر افتاد کان نبخشاید
که گر زپای درآید کسش نگیرد دست؟
هرآنکه تخم بدی کشت وچشم نیکی داشت
دماغ بیهده پخت و خیال باطل بست
زگوش پنبه برون آرو داد خلق بده
و گرتو می ندهی داد، روز دادی هست

بنی آدم اعضای یك پیکرند — که در آفرینش زیك گوهرند
چوعضوی بدرد آورد روزگار — دگر عضوها را نماند قرار
تو، کزمحنت دیگران بی‌غمی — نشاید که نامت نهند آدمی!

حکایت

درویشی مستجاب الدعوه در بغداد پدید آمد. حجاج یوسف را خبر کردند. بخواندش و گفت: دعای خیری برمن بکن. گفت: خدایا جانش بستان. گفت: ازبهرخدا، این چه دعاست؟ گفت این دعای خیرست ترا وجمله مسلمانان را.

ای زبردست زیر دست آزار　　گرم تا کی بمانداین بازار؟
بچه کار آیدت جهانداری؟　　مردنت به که، مردم آزاری

حکایت

یکی ازملوك بی‌انصاف پارسایی‌را پرسید: ازعبادتها کدام‌فاضل ترست؟ گفت: ترا خواب نیم روز، تادرآن یك نفس خلق را نیازاری.

ظالمی را خفته دیدم نیم روز
گفتم: این‌فتنه‌است خوابش‌برده‌به
وآنکه خوابش بهتراز بیداریست
آن چنان بدزنذ گانی مرده به

حکایت

یکی ازملوك را شنیدم که: شبی درعشرت روز کرده بود و در پایان مستی همی گفت:

مارا بجهان‌خوشترازین یك دم نیست
کزنیك وبداندیشه وازکس‌غم‌نیست.

درویشی‌برهنه بسرمابرون درخفته‌بود و گفت:

ای آنکه باقبال تو در عالم نیست

گیرم که غمت نیست، غم ما هم نیست؟

ملك را خوش آمد، صره‌ای هزار دینار از روزن برون داشت و گفت: دامن بدار، ای درویش. گفت: دامن از کجا آرم؟ که جامه ندارم. ملك را برضعف حال او رقت زیادت شد و خلعتی بر آن مزید کرد و پیش او فرستاد. درویش آن نقد را باندك زمان بخورد و پریشان کرد و باز آمد.

قرار در کف آزادگان نگیرد مال

نه صبر در دل عاشق، نه آب در غربال

درحالتی که مالك را پروای او نبود حال بگفتند. بهم برآمد و روی ازو درهم کشید و ازینجا گفته‌اند، اصحاب فطنت و خبرت که: از حدت و سورت پادشاهان برحذر باید بود، که غالب همت ایشان بمعظمات امور مملکت متعلق باشد و تحمل ازدحام عوام نکند.

حرامش بود نعمت پادشاه — که هنگام فرصت ندارد نگاه

مجال سخن تا نبینی زپیش — بیهوده گفتن مبر قدر خویش

گفت: این گدای شوخ مبذّر را، که چندان نعمت بچندین مدّت برانداخت، برانید، که خزانهٔ بیت المال لقمهٔ مساکینست، نه طعمهٔ اخوان الشیاطین.

ابلهی کو روز روشن شمع کافوری نهد

زودبینی کش بشب روغن نباشد در چراغ

یکی از وزرای ناصح گفت: ای خداوند، مصلحت آن بینم که چنین کسانرا وجه کفاف بتفاریقُ مجری دارند، تا در نفقه اسراف نکنند، اما آنچه فرمودی از زجر و منع، مناسب سیرت ارباب همت نیست.

یکی را بلطف امیدوار کردن و باز بنومیدی خسته گردانیدن .

بروی خود در طماع باز نتوان کرد

چو باز شد، بدرشتی فراز نتوان کرد

کس نبیند که تشنگان حجاز برلب آب شور گرد آیند

هر کجا چشمه‌ای بود شیرین مردم و مرغ و مور گرد آیند

حکایت

یکی از پادشاهان پیشین در رعایت مملکت سستی کردی و لشکر بسختی داشتی. لاجرم دشمنی صعب روی نمود، همه پشت بدادند.

چو دارند گنج از سپاهی دریغ

دریغ آیدش دست بردن بتیغ

یکی از آنان را که غدر کردند بامن دوستی بود . ملامتش کردم و گفتم : دونست و ناسپاس و سفله و ناحق شناس که باندك تغییر حال از مخدوم قدیم بر گردد وحقوق نعمت سالیان در نوردد . گفت : اربکرم معذور داری شاید، که اسبم درین واقعه بی‌جو بود و نمدزین بگرو وسلطان ، که بزر با سپاهی بخیلی کند، با او بجان جوانمردی نتوان کرد .

زربده مرد سپاهی را ، تا سر بنهد

وگرش زر ندهی سر بنهد در عالم

اذا شبع الکمی یصول بطشاً

وخاوی البطن یبطش بالفرار

حکایت

یکی از وزرا معزول شد و بحلقهٔ درویشان درآمد. برکت صحبت ایشان دروی اثر کرد و جمعیت خاطرش دست داد. ملك بار دیگر برو دل خوش کرد و عمل فرمود. قبولش نیامد و گفت: معزولی به که مشغولی.

آنان که بگنج عافیت بنشستند
دندان سگ و دهان مردم بستند
کاغذ بدریدند و قلم بشکستند
وز دست زبان حرف گیران رستند

ملك گفت: هرآینه ماراخردمندی کافی باید که تدبیرمملکت را بشاید. گفت: ای ملك، نشان خردمند کافی آنست که بچنین کارها تن درندهد.

همای برهمه مرغان از آن شرف دارد
که استخوان خورد و جانور نیازارد

سیه گوش را گفتند: ترا ملازمت شیربچه و چه اختیار افتاد؟ گفت: تا فضلهٔ صیدش می خورم و از شر دشمنان در پناه صولت او زندگانی می کنم. گفتندش: اکنون که بظل حمایتش در آمدی و بشکر نعمتش اعتراف کردی چرا نزدیکتر نیایی؟ تا بحلقهٔ خاصانت درآرد و ازبندگان مخلصت شمارد؟ گفت: همچنان از بطش او ایمن نیستم.

اگرصدسال گبرآتش فروزد چویك دم اندر وافتد بسوزد

افتد که : ندیم حضرت سلطان زر بیابد و باشد که سر برود و حکما گفته‌اند : از تلوّن طبع پادشاهان برحذر باید بودن، که وقتی بسلامی برنجند و گاهی بدشنامی خلعت دهند و آورده‌اند که: ظرافت بسیار کردن هنر ندیمانست وعیب حکیمان .

تو برسر قدر خویشتن باش و وقار
بازی و ظرافت بندیمان بگذار

حکایت

یکی ازرفیقان شکایت روزگار نامساعد بنزد من آورد که: کفاف اندك دارم و عیال بسیار وطاقت بارفاقه نمی‌آرم . بارها در دلم آمد که: باقلیمی دیگر نقل کنم تا در هر آن صورت که زندگانی کرده شود کسی را برنیاك و بدمن اطلاع نباشد .

بس گرسنه‌خفت‌و کس‌ندانست که: کیست؟
بس‌جان بلب آمد که برو کس نگریست

باز از شماتت اعدا براندیشم که : بطعنه در قفای من بخندند و سعی مرا در حق عیال برعدم مروّت حمل کنند و گویند :

مبین آن‌بی‌حمیت‌را، که‌هرگز نخواهد دیدروی‌نیک‌بختی
که آسانی گزیند خویشتن را زن‌وفرزندبگذارد بسختی

ودرعلم محاسبت ، چنانکه معلومست ، چیزی دانم ، اگربجاء شما جهتی معین شود که موجب جمعیت خاطر باشد بقیت عمر از عهدهٔ شکر آن بیرون آمدن نتوانم . گفتم: عمل پادشاه ، ای برادر ، دوطرف دارد: امید نان وبیم‌جان وخلاف رای‌خردمندانست بدان امید

درین بیم افتادن.

کس نیاید بخانهٔ درویش که : خراج زمین و باغ بده
یابتشویش وغصه راضی شو یا جگربند پیش زاغ بنه

گفت :این موافق‌حال من نگفتی و جواب سؤال من نیاوردی، نشنیده‌ای که: هر که خیانت ورزد دستش از حساب بلرزد .

راستی موجب رضای خداست
کس ندیدم که گم شد از ره راست

وحکما گفته‌اند:چهار کس‌ازچهار کس‌بجان‌برنجند: حرامی‌از سلطان و دزد از پاسبان و فاسق از غماز و روسپی از محتسب و آنرا که حساب پاکست از محاسبه چه باکست ؟

مکن‌فراخ روی درعمل، اگرخواهی
که‌وقت رفع‌توباشد مجال‌دشمن‌تنگ
توپاك‌باش‌ومدارازکس، ای‌برادر،باك
زنند جامهٔ ناپاك گازُران برسنگ

گفتم: حکایت آن‌روباه مناسب حال تست، که دیدندش گریزان وافتان وخیزان. کسی گفتش: چه‌آفتست که موجب چندین‌مخافتست؟ گفتا : شنیده‌ام که شتر راه بسخره می گیرند . گفت: ای سفیه ، شتر را با توچه مناسبتست و ترا بدوچه مشابهت ؟ گفت: خاموش، که اگر حسودان‌بغرض گویند: که این‌شترست و گرفتار آیم کراغم تخلیص‌من دارد؟ تا تفتیش حال من کند وتا تریاق ازعراق‌آورده شود مار گزیده مرده باشد. ترا همچنین‌فضلست و دیانت و تقوی وامانت ، امّامعاندان در کمین اند و مدّعیان گوشه نشین . اگر آنچه حُسن سیرت تست

بخلاف آن تقریر کنند و در معرض خطاب پادشاه آیی، در آن حالت کرا مجال مقالت باشد؟ پس مصلحت آن می بینم که: ملك قناعت را حراست کنی و ترك ریاست گویی.

بدریا در، منافع بی شمارست
و گر خواهی سلامت بر کنارست

رفیق این سخن بشنید و بهم برآمد و روی از حکایت من درهم کشید و سخنهای رنجش آمیز گفتن گرفت که: این چه عقل و کفایتست و فهم و درایت؟ قول حکما درست آمد که گفته‌اند: دوستان در زندان بکار آیند که بر سفره همه دشمنان دوست نمایند.

دوست مشمار، آنکه در نعمت زند
لاف یاری و برادر خواندگی
دوستت آن باشد که گیرد دست دوست
در پریشان حالی و در ماندگی

دیدم که متغیر می‌شود و نصیحت بغرض می شنود، بنزدیك صاحبدیوان رفتم، بسابقهٔ معرفتی که در میان ما بود، صورت حالش بگفتم و اهلیت و استحقاقش بیان کردم، تا بکاری مختصرش نصب کردند. چندی برین برآمد. لطف طبعش را بدیدند و حسن تدبیرش را بپسندیدند و کارش از آن در گذشت و بمرتبتی بالاتر از آن متمکن شد و همچنین نجم سعادتش در ترقی بود، تا باوج ارادت رسید و مقرب حضرت سلطان و مشار الیه و معتمد علیه گشت. بر سلامت حالش شادمانی کردم و گفتم:

زکار بسته میندیش ودل‌شکسته مدار

که آب چشمهٔ حیوان درون تاریکیست

الا لاتحزنن اخوالبلیه فللرحمن الطاف خفیه

منشین ترش از گردش ایام، که صبر

تلخست ولیکن بر شیرین دارد

در ان قربت مرا با طایفه‌ای یاران اتفاق سفر افتاد. چون از زیارت مکه بازآمدم دو منزلم استقبال کرد. ظاهر حالش را دیدم، پریشان ودر هیأت درویشان. گفتم: چه حالتست؟ گفت: آن چنانکه تو گفتی. طایفه‌ای حسد بردند و بخیانتم منسوب کردند و ملك، دام ملکه، در کشف حقیقت آن استقصا نفرمود و یاران قدیم و دوستان حمیم از کلمهٔ حق خاموش شدند و صحبت دیرین فراموش کردند.

نبینی که پیش خداوند جاه ستایش کنان دست بر بر نهند؟

و گر روز گارش در آردز پای همه عالمش پای بر سر نهند؟

فی‌الجمله بانواع عقوبت گرفتار بودم، تا درین هفته، که مژدهٔ سلامت حجاج برسید، ازبند گرانم خلاص کردند وملك موروثم خاص. گفتم: در آن نوبت اشارت من قبول نکردی که گفتم: عمل پادشاهان چون سفر دریاست، خطرناك وسودمند، یا گنج بر گیری یادر طلسم بمیری.

یازر بهردو دست کند خواجه در کنار

یا موج روزی افگندش مرده بر کنار

مصلحت ندیدم ازین بیش ریش درونش بملامت خراشیدن ونمك پاشیدن، بدین کلمه اختصار کردم:

ندانستی که : بینی بند بر پای
چو در گوشت نیامد پند مردم
دگر ره گر نداری طاقت نیش
مکن انگشت در سوراخ کژدم

حکایت

تنی چند درصحبت من‌بودند، ظاهر ایشان بصلاح آراسته ویکی ازبزرگان درحق این‌طایفه حسن‌ظنی‌بلیغ داشت وادراری‌معین کرده، تا یکی ازینان حرکتی کرد نه مناسب خال‌درویشان . ظنّ آن‌شخص فاسد شد، وبازار اینان کاسد . خواستم تا بطریقی کفاف یاران‌مستخلص کنم . آهنگ خدمتش کردم. دربانم رها نکرد و جفا کرد . معذورش داشتم که گفته‌اند :

درمیر و وزیر و سلطان را بی وسیلت مگرد پیرامن
سگ ودربان‌چویافتند غریب این گریبانش گیرد آن‌دامن

چندانکه مقربان حضرت آن بزرگ برحال من و قوف یافتند باکرامم درآوردند و برتر مقامی معین کردند . امّا بتواضع فروتر نشستم و گفتم :

بگذار که بندهٔ کمینم تا در صف بندگان نشینم

گفت : الله الله! چه جای این سخنست ؟

گر بر سر و چشم مانشینی بارت بکشم که نازنینی

فی‌الجمله بنشستم وازهردری‌سخن‌پیوستم، تاحدیث ذلّت یاران درمیان آمد ، گفتم :

چه جرم دید خداوند سابق الانعام ؟
که بنده درنظر خویش خوار می‌دارد
خدای راست مسلم بزرگواری وحکم
که جرم بیند و نان بر قرار می‌دارد

حاکم این سخن عظیم بپسندید و اسباب معاش یاران فرمود تا برقاعدهٔ ماضی مهیا دارند و مؤنت ایام تعطیل وفا کنند. شکر نعمت بگفتم و زمین‌خدمت ببوسیدم وعذر جسارت بخواستم. درحالت برون آمدن گفتم :

چو کعبه قبلهٔ حاجت شد، از دیار بعید
روند خلق بدیدارش از بسی فرسنگ
ترا تحمل امثال ما بباید کرد
که هیچ کس‌نزند بردرخت‌بی‌برسنگ

حکایت

ملك زاده‌ای گنج فراوان‌ازپدرمیراث یافت. دست کرم‌بر گشاد وداد سخاوت بداد ونعمت بی‌دریغ برسپاه ورعیت بریخت .

نیاساید مشام از طبلهٔ عود　　برآتش‌نه، که‌چون‌عنبر ببوید
بزرگی‌بایدت؟بخشندگی کن　　که دانه تا نیفشانی نروید

یکی از جلسای بی‌تدبیر نصیحتش آغاز کرد که: ملوك پیشین مرین نعمت را بسعی اندوخته اند و برای مصلحتی نهاده، دست ازین حرکت کوتاه کن که واقعه ها درپیشست و دشمنان از پس ، نباید که وقت حاجت فرومانی .

اگر گنجی گنی برعامیان بخش

رسد هر کد خدایی را برنجی

چرا نستانی از هر یك جوی سیم ؟

که گرد آید ترا هر روز گنجی

ملك روی ازین‌سخن درهم کشید وموافق طبعش‌نیامد و مرو را زجر فرمود و گفت : خدای‌تعالی‌مرا مالك این مملکت گردانیده‌است که بخورم و ببخشم، نه پاسبانم که نگه دارم .

قارون‌هلاك شد، که چهل خانه گنج داشت

نوشین‌روان نمرد که نام نکو گذاشت

حکایت

آورده‌اند که نوشیروان عادل را در شکارگاهی صیدی کباب کردند و نمك نبود. غلامی بروستا رفت تانمك آرد. نوشیروان گفت: نمك بقیمت بستان، تا رسمی‌نشود وده خراب نگردد. گفتند: ازین‌قدر چه خلل زاید ؟ گفت: بنیاد ظلم درجهان‌اوّل اندکی بوده‌است، هر که آمد برو مزیدی کرد، تا بدین‌غایت رسیده .

اگر ز باغ رعیت ملك خورد سیبی

بر آورند غلامان او درخت از بیخ

بپنج بیضه ، که سلطان ستم روا دارد

زنند لشکریانش هزار مرغ بسیخ

حکایت

وزیری غافل را شنیدم که: خانهٔ رعیت خراب کردی تا خزانهٔ سلطان آبادان کند. بی‌خبر از قول حکما که گفته‌اند: هر که خدای را، عز و جلّ، بیازارد تا دل خلقی بدست آرد خدای تعالی همان خلق را برو گمارد تا دمار از روزگارش برآرد.

آتش سوزان نکند باسپند　　آنچه کند دود دل مستمند

سرجملهٔ حیوانات گویند شیرست و کمترین جانوران خر و باتفاق خر باربر به که شیرمردم در.

مسکین خر، اگر چه بی‌تمیزست
چون بار همی برد عزیزست
گاوان و خران بار بردار
به زآدمیان مردم آزار

باز آمدیم بحکایت وزیر غافل: ملك را طرفی از ذمایم اخلاق او بقراین معلوم شد، درشکنجه کشید و بانواع عقوبت بکشت.

حاصل نشود رضای سلطان　　تا خاطر بندگان نجویی
خواهی که: خدای برتو ببخشد　　با خلق خدای کن نکویی

آورده‌اند که یکی از ستم دیدگان برو بگذشت و در حال تباه او تأمل کرد و گفت:

نه هر که قوت بازوی منصبی دارد
بسلطنت بخورد مال مردمان بگزاف
توان بحلق فرو بردن استخوان درشت
ولی شکم بدرد چون بگیرد اندر ناف

نماند ستمکار بد روزگار بماند برو لعنت پایدار

حکایت

مردم آزاری را حکایت کنند که: سنگی بر سر صالحی زد. درویش را مجال انتقام نبود. سنگ را نگاه می داشت تا زمانی که ملك را بر آن لشکری خشم آمد و در چاهش کرد. درویش اندر آمد و سنگ بر سرش کوفت. گفتا: تو کیستی و مرا این سنگ چرا زدی؟ گفت: من فلانم و این همان سنگست که در فلان تاریخ بر سر من زدی. گفت: چندین روزگار کجا بودی؟ گفت: از جاهت اندیشه کردم. اکنون که در چاهت دیدم فرصت غنیمت شمردم.

ناسزایی را، که بینی بخت یار
عاقلان تسلیم کردند اختیار
چون نداری ناخن درنده تیز
با بدان آن به که کم گیری ستیز
هر که با پولاد بازو پنجه کرد
ساعد مسکین خود را رنجه کرد
باش تا دستش ببندد روزگار
پس بکام دوستان مغزش برآر

حکایت

یکی از ملوك را مرضی هایل بود که اعادت ذکر آن ناکردن اولیتر. طایفه‌ای از حکمای یونان متفق شدند که مر این درد را دوایی نیست،

مگرزهره آدمی، که بچندین صفت موصوف باشد. بفرمود تا طلب کردند. دهقان پسری یافتند بدآن صفت که حکیمان گفته بودند. پدر و مادرش را بخواند و بنعمت بیکران خشنود گردانید و قاضی فتوی داد که: خون یکی از رعیت ریختن سلامت نفس پادشاه را روا باشد. جلاد قصد کرد. پسر سرسوی آسمان برآورد و تبسم کرد. ملك پرسیدش که: درین حالت چه جای خندیدنست؟ گفت: ناز فرزندان بر پدر و مادر باشد و دعوی پیش قاضی برند و داد از پادشاه خواهند. اکنون پدر و مادر بعلت حُطام دنیا مرا بخون درسپردند وقاضی بکشتنم فتوی داد و سلطان مصالح خویش در هلاك من همی بیند. بجز خدای، عز وجل، پناهی نمی‌بینم.

پیش که برآورم ز دستت فریاد؟
هم پیش‌توازدست تو گرخواهم داد

سلطان را ازین سخن دل بهم برآمد وآب در دیده بگردانید و گفت: هلاك من اولی تر که خون بی گناهی ریختن. سر و چشمش ببوسید و در کنار گرفت ونعمت بی‌اندازه بخشید وآزاد کرد. گویند: هم درآن هفته شفا یافت.

همچنان درفکرآن بیتم که گفت
پیل بانی برلبِ دریای نیل:
زیر پایت گر ندانی حال مور
همچو حال تُست زیر پای پیل

حکایت

یکی ازبندگان عمرولیث گریخته بود. کسان درعقبش برفتند

و باز آوردند. وزیر را با او غرضی بود. اشارت بکشتن کرد، تا دیگر بندگان چنین فعل روا ندارند. بنده سرپیش عمرو برزمین نهاد و گفت:

هرچه رودبرسرم، چون‌توپسندی رواست
بنده چه دعوی کند؟ حکم خداوند راست

امّا بموجب آنکه پروردهٔ نعمت این خاندانم نخواهم که درقیامت بخون من گرفتار آیی، اجازت فرمای تامن وزیر را بکشم، آنگه بقصاص او بفرمای خون مرا ریختن، تابحق کشته باشی. ملك را خنده گرفت. وزیر را گفت: چه مصلحت می‌بینی؟ گفت: ای خداوند جهان، اربهر خدای این شوخ دیده را بصدقات گور پدر آزاد کن، تامرا در بلایی نیفکند، گناه ازمنست وقول حکما معتبر که گفته‌اند:

چو کردی با کلوخ انداز پیکار — سر خود را بنادانی شکستی
چو تیر انداختی در روی دشمن — حذر کن، کندر آماجش نشستی

حکایت

ملك زوزن را خواجه‌ای بود کریم‌النفس، نیك‌محضر، که همگنان را درمواجهه خدمت کردی ودرغیبت نکویی گفتی. اتفاقاً ازوحرکتی درنظر سلطان ناپسند آمد، مصادره فرمود و عقوبت کرد. سرهنگان پادشاه بسوابق نعمت اومعترف بودند وبشکر آن مرتهن. درمدت توکیل او رفق وملاطفت کردندی و زجر ومعاقبت روا نداشتندی.

صلح بادشمن، اگرخواهی، هرگه که‌ترا
درقفا عیب کند در نظرش تحسین کن

سخن آخر بدهان میگذرد موذی را

سخنش تلخ نخواهی، دهنش شیرین کن

آنچه مضمون خطاب ملك بود از عهدهٔ بعضی بیرون آمد و ببقیتی در زندان بماند. یکی ازملوك نواحی درخفیه پیغامش فرستاد که: ملوك آن‌طرف قدرچنان بزرگواری‌ندانستند وبی‌عزّتی کردند، اگررای عزیزفلان، احسن‌الله خلاصه، بجانب ما التفات کند در رعایت خاطرش هرچه تمام تر سعی کرده شود و اعیان این مملکت بدیدار اومفتقرند وجواب این حرف را منتظر. خواجه برین وقوف یافت واز خطر اندیشید و در حال جوابی مختصر، چنانکه مصلحت دید، برقفای ورق نبشت و روان کرد. یکی‌ازمتعلقان واقف شد وملك را اعلام کرد که: فلان راکه حبس فرمودی، باملوك نواحی‌مراسله دارد. ملك بهم برآمد و کشف این خبرفرمود. قاصد را بگرفتند ورسالت بخواندند. نبشته بود که: حسن‌ظنّ بزرگان‌بیش‌ازفضیلت ماست وتشریف‌قبولی، که فرموده‌اند، بنده را امکان‌اجابت‌نیست بحکم‌آنکه پروردهٔ نعمت این خاندانست وباندك مایه تغیر با ولی نعمت بی وفایی نتوان کرد.

آنرا که بجای تُست هردم کرمی

عذرش بنه، ار کند بعمری ستمی

ملك را سیرت حق شناسی ازو پسندآمد وخلعت ونعمت بخشید و عذرخواست که: خطا کردم که ترا بی‌جرم‌بیازردم. گفت: بنده درین حالت مرخداوند را خطایی نمی‌بیند، بلکه تقدیرخداوند تعالی‌چنین بود که مرین بنده را مکروهی برسد، پس بدست تواولیتر، که سوابق نعمت برین‌بنده داری وایادی منت وحکما گفته‌اند:

گر گزندت رسد ز خلق، مرنج
که نه راحت رسد ز خلق، نه رنج
از خدا دان خلاف دشمن و دوست
کین دل هر دو در تصرف اوست
گرچه تیر از کمان همی گذرد
از کماندار بیند اهل خرد

حکایت

یکی از ملوك عرب متعلقان را فرمود که: مرسوم فلان را، چندانکه هست، مضاعف کنید، که ملازم درگاهست ومترصد فرمان و سایر خدمتگاران بلهو و لعب مشغول‌اند و در ادای خدمت متهاون. صاحب دلی بشنید و گفت: علودرجات بندگان‌بدرگاه حق،جل وعلا، همین‌مثال دارد.

دو بامداد گر آید کسی بخدمت شاه
سیم هراینه در وی کند بلطف نگاه
امید هست پرستندگان مخلص را
که نا امید نگردند از آستان اله

مهتری در قبول فرمانست ترك فرمان دلیل حرمانست
هر که سیمای راستان دارد سرخدمت بر آستان دارد

حکایت

ظالمی را حکایت کنند که: هیزم درویشان خریدی بحیف و توانگران را دادی بطرح. صاحبدلی برو گذر کرد و گفت:

ماری تـو، که هر کرا ببینی بزنی
یا بوم که هر کجا نشینی بکنی

زورت ارپیش میرود با ما　　با خداوند غیب دان نرود
زورمندی مکن براهل زمین　　تا دعایی بر آسمان نرود

حاکم ازین‌سخن‌برنجید وروی‌درهم کشید وبروالتفات نکرد، که گفته‌اند: اخذته‌العزة بالاثم. تاشبی آتش‌مطبخ درانبارهیزمش‌افتاد وسایراملاکش بسوخت و از بسترنرمش بخاکسترگرم نشاند. اتفاقاً همان‌شخص برو بگذشت ودیدش که با یاران همی گفت: ندانم این‌آتش ازکجا درسرای من افتاد؟ گفت: از دل درویشان.

حذرکن زدود درونهای‌ریش　　که ریش درون‌عاقبت‌سر کند
بهم بر مکن تاتـوانی دلی　　که آهی جهانی بهم بر کند

برتاج کیخسرو نبشته بود:

چه سالهای فراوان و عمر های دراز!
که خلق‌برسر مابرزمین بخواهد رفت
چنانکه دست بدست آمدست ملك بما
بدستهای دگر همچنین بخواهد رفت

حکایت

یکی در صنعت کشتی گـرفتن سرآمده بود وسیصد و شست بند فاخر بدانستی و هرروز بنوعی کشتی گرفتی. مگر گوشهٔ خاطرش باجمال‌یکی‌ازشاگردان‌میلی‌داشت. سیصد وپنجاه ونه بندش‌درآموخت، مگر یك بند، که درتعلیم آن دفع‌انداختی و تأخیر کردی. فی‌الجمله

پسر در قوت و صنعت برسر آمد و کسی را در آن زمان او با او امکان مقاومت نبود، تا بحدی که پیش ملك آن روزگار گفته بود: استاد را فضیلتی، که برمنست از روی بزرگیست و حق تربیت و گرنه بقوت ازو کمتر نیستم و بصنعت با او برابرم. ملك را این سخن دشوار آمد، فرمود تا: مصارعت کنند. مقامی متسع ترتیب کردند و ارکان دولت و اعیان حضرت و زورآوران آن اقلیم حاضر شدند. پسر چون پیل مست اندر آمد، بصدمتی که اگر کوه آهنین بودی از جای برکندی. استاد دانست که جوان بقوت ازو برترست. بدان بند غریب که از و نهان داشته بود با او درآویخت. پسر دفع آن ندانست. استاد بدودست از زمینش بالای سر برد وفرو کوفت. غریو از خلق برخاست. ملك فرمود استاد را خلعت و نعمت دادن و پسر را زجر و ملامت کرد، که: با پروردهٔ خویش دعوی مقاومت کردی و بسر نبردی. گفت: ای ملك، بزور آوری برمن دست نیافت، بلکه مرا از علم کشتی دقیقه‌ای مانده بود که از من دریغ همی داشت. امروز بدان دقیقه برمن غالب آمد. استاد گفت: از بهر چنین روزی نگاه می‌داشتم. حکما گفته‌اند: دوست را چندان قوت مده که اگر دشمنی کند تواند. نشنیده‌ای که چه گفت آنکه از پروردهٔ خویش جفا دید؟

یا وفا خود نبود در عالم　　یا مگر کس درین زمانه نکرد
کس نیاموخت علم تیر از من　　که مرا عاقبت نشانه نکرد

حکایت

درویشی مجرد بگوشه‌ای نشسته بود. پادشاهی برو بگذشت. درویش،

از آنجا کـه فراغت ملك قناعتست ، سر برنیاورد و التفات نکـرد . سلطان‌از آنجا که سطوت سلطنتست بربجید و گفت: این‌طایفهٔ خرقه پوشان برمثال حیوان‌اند واهلیت وآدمیت ندارند. وزیر نزدیکش آمد و گفت: ای جوا نمرد، سلطان روی زمین برتو گذر کرد، چرا خدمت نکردی وشرط ادب بجای‌نیاوردی؟ گفت: ملك رابگوی: توقع خدمت از کسی دار که توقع نعمت‌ازتو دارد و دیگر بدان که: ملوك از بهر پاس رعیت‌اند ، نه رعیت ازبهرطاعت ملوك .

پادشه پاسبان درویشست — گرچه نعمت بفر دولت اوست
گوسپندازبرای‌چوپان نیست — بلکه چوپان‌برای‌خدمت اوست
یکی امروز کامران بینی — دیگری را دل از مجاهده ریش
روزکی چند باش ، تابخورد — خاك مغز سر خیال اندیش
فرق شاهی و بندگی‌برخاست — چون قضای نبشته آمد پیش
گر کسی خاك مرده بازکند — ننماید توانگر و درویش

ملك را گفت درویش‌استوار آمد. گفت: ازمن‌چیزی‌بخواه. گفت: آن می‌خواهم که دیگربار زحمت من ندهی. گفت: مراپندی ده، گفت:

در یاب ، کنون که نعمتت هست بدست
کین دولت و ملك میرود دست بدست

حکایت

یکی از وزرا پیش ذوالنون مصری رفت و همت خواست که روز و شب بخـدمت سلطان مشغولم و بخیرش امیدوار واز عقوبتش‌ترسان. ذوالنون‌بگریست و گفت: اگرمن‌ازخدای، عزّ وجلّ ، چنان‌ترستیدمی

که ازتوسلطان ازجملهٔ صدیقان بودمی ،

گر نبودی امید راحت و رنج پای درویش بر فلك بودی

ور وزیر از خدا بترسیدی همچنان کز ملك، ملك بودی

حکایت

پادشاهی بکشتن بی گناهی فرمان‌داد. گفت: ای‌ملك، بموجب خشمی که ترا برمنست آزار خود مجوی ، که این عقوبت برمن بیك نفس بسر آید وبزه آن جاوید برتوبماند .

دوران‌بقا، چوباد صحرا ، بگذشت

تلخی وخوشی‌وزشت وزیبابگذشت

پنداشت ستمگر که: جفابرما کرد

در گردن او بماند و برمابگذشت

ملك را نصیحت او سودمندآمد واز سرخون او در گذشت .

حکایت

وررای نوشیروان درمهمی‌ازمصالح مملکت اندیشه همی کردند و هر یك رایی همی زدند و ملك همچنین در تدبیر اندیشه می کرد . بزرجمهر را رای ملك اختیار آمد . وزیران در نهانش گفتند : رای ملك را چه مزیت دیدی برفکر چندین‌حکیم ؟ گفت : بموجب آنکه انجام کار معلوم نیست و رای همگان در مشیتست که صواب آید یا خطا؛ پس موافقت رای‌ملك اولیترست، تا اگرخلاف صواب‌آید بملت متابعت او ازمعاتبت ایمن باشم .

خلاف رای سلطان رای جستن

بخون خویش باشد دست شستن

اگرخود روز را گوید: شبست‌این

بباید گفت اینك ماه و پروین

حکایت

شیادی گیسوان بافت که: من علویم وبا قافلهٔ حجاز بشهری درآمد، که ازحج می‌آیم و قصیده‌ای پیش ملك برد که: من گفته‌ام. نعمتش‌داد واکرام کرد ونوازش بی کران‌فرمود. یکی‌ازندمای‌حضرت پادشاه، که درآن‌سال‌ازسفردریاآمده‌بود، گفت: من‌اوراعیداضحی‌ببصره دیدم، حاجی‌چگونه باشد؟ دیگری گفت: پدرش‌نصرانی بود درملطیه، پسرشریف چگونه باشد؟ وشعرش‌را بدیوان‌انوری‌یافتند. ملك فرمود تا بزنندش و نفی کنند، که چندین دروغ درهم چراگفت؟ گفت: ای حداوند روی زمین، مراسخنی مانده است، بخدمت بگویم، اگر راست نباشد بهرعقوبت، که فرمایی، سزاوارم. گفت: بگوتاآن‌چیست؟ گفت:

غریبی گرت ماست پیش آورد

دو پیمانه آبست و یك چمچه دوغ

گر از بنده لغوی شنیدی مرنج

جهان دیده بسیار گوید دروغ

ملك را خنده گرفت و گفت: ازین راست تر سخن در عمر خود

نگفته‌ای. بفرمود: تا آنچه مامول اوست مهیا دارند وبخوشی برود.

حکایت

یکی از وزرا برزیر دستان رحم‌آوردی وصلاح‌همگنان‌را بخیر توسط کردی. اتفاقاً بخطاب ملك گرفتار آمد. همگنان دراستخلاص او سعی کردند وموکلان درمعاقبتش ملاطفت نمودند و بزرگان‌ذکر سیرت خوبش‌بافواه بگفتند، تاملك‌ازسرعتاب اودر گذشت. صاحبدلی برین‌اطلاع یافت و گفت:

تا دل دوستان بدست آری　　بوستان پدر فروخته به
پختن‌دیگ نیك خواهان را　　هرچه‌رخت‌سراست سوخته‌به
با بد اندیش هم نکویی کن　　دهن سگ بلقمه دوخته به

حکایت

یکی ازپسران هارون‌الرشید پیش‌پدر آمد، خشم‌آلود، که: فلان سرهنگ زاده مرا دشنام داد. هارون ارکان دولت را گفت: جزای‌چنین کسی چه باشد؟ یکی اشاره بکشتن کرد و دیگری بزبان بریدن و دیگری بمصادره ونفی. هارون گفت: ای‌پسر، کرم‌آنست که عفو کنی و گرنتوانی تو نیزش دشنام ده، نه چنانکه انتقام از حد در گذرد، که‌آنگاه ظلم ازطرف توباشد ودعوی‌ازقبل‌خصم.

نه مردست آن، بنزدیك خردمند
که با پیل دمان پیکار جوید

بلی، مرد آنکسست از روی تحقیق
که چون خشم آیدش باطل نگوید
یکی را زشت خویی داد دشنام
تحمل کرد و گفت: ای نیك فرجام
بتر زانم، که خواهی گفت: آنی
که دانم عیب من چون من ندانی

حکایت

با طایفهٔ بزرگان بکشتی درنشسته بودم. زورقی در پی ما غرق شد. دو برادر بگردابی درافتادند. یکی از بزرگان ملاح را گفت: بگیر این هردو را، که بهر یکی پنجاه دینارت بدهم. ملاح در آب افتاد و تا یکی را برهانید آن دیگر هلاك شد. گفتم: بقیت عمرش نمانده بود، ازین سبب در گرفتن او تأخیر کردی و در آن دیگر تعجیل. ملاح بخندید و گفت: آنچه تو گفتی یقینست و دیگر میل خاطر من برهانیدن این بیشتر بود، که وقتی در بیابان مانده بودم، این مرا برشتر نشاند و ازدست آن دگر تازیانه‌ای خورده بودم، در طفلی. گفتم: صدق الله من عمل صالحاً فلنفسه و من اساء فعلیها.

تاتوانی درون کس مخراش　　کندرین راه خارها باشد
کار درویش مستمند برآر　　که ترا نیز کارها باشد

حکایت

دو برادر بودند: یکی خدمت سلطان کردی و دیگر بزور بازو نان

خوردی . باری توانگر گفت درویش را که : چرا خدمت نکنی ، تا از مشقت کار کردن برهی؟ گفت: تو چرا کار نکنی تا از مذلت خدمت رهایی یابی ؟ که خردمندان گفته‌اند : نان خود خوردن و نشستن به که کمر زرین بخدمت بستن .

بدست آهن‌تفته کردن‌خمیر به از دست برسینه پیش امیر
عمر گرانمایه‌درین‌صرف‌شد تاچه‌خورم‌صیف‌و چه‌پوشم‌شتا؟
ای شکم خیره، بنانی‌بساز تا نکنی پشت بخدمت دو تا

حکایت

کسی مژده آورد پیش انوشیروان عادل که: شنیدم که فلان‌دشمن تراخدای، عزوجل، برداشت. گفت:هیچ‌شنیدی که مراخواهد گذاشت؟

اگر بمرد عدو جای شادمانی نیست
که زندگانی ما نیز جاودانی نیست

حکایت

گروهی حکما بحضرت کسری بمصلحتی سخن همی گفتند و بزرگ مهر که مهترایشان بود خاموش . گفتند : چرا با مادرین‌بحث سخن نگویی ؟ گفت : حکیمان بر مثال اطبا اند و طبیب دارو ندهد جز سقیم را . پس چون بینم که رای شما بر صوابست مرا بر سرآن سخن گفتن‌حکمت نباشد .

چو کاری بی‌فضول من برآید مرا دروی سخن گفتن نشاید
وگربینم که نابینا و چاهست اگرخاموش بنشینم گناهست

حکایت

اسکندر رومی را پرسیدند : دیار مغرب ومشرق‌بچه گرفتی؟ که ملوك پیشین را خزاین و لشکر بیش از تو بوده است و چنین فتحی میسر نشد . گفتا : بعون خدای ، عزّ و جلّ ، هرمملکتی راکه گرفتم رعیتش‌نیازردم و نام پادشاهان جزبنکویی‌نبردم .

بزرگش نخوانند اهل خرد که نام بزرگان بزشتی برد

این همه هیچست ، چون می بگذرد

تخت و بخت و امر ونهی‌و گیر ودار

نام نیك رفتگان ضایع مکن

تا بماند نام نیکت پایدار

مختارات من الشاهنامه

(قصة رستم وسهراب)

دگر باره اسبان بیستند سخت — بسر بر همیگشت بدخواه بخت
بکشتی گرفتن نهادند سر — گرفتند هردو دوال کمر
سپهدار سهراب را زور دست — تو گفتی که چرخ بلندش ببست
غمین گشت رستم بیازید چنگ — گرفت آن سرو یال جنگی پلنگ
خم آورد پشت دلاور جوان — زمانه سر آمد نبودش توان [۲]
زدش بر زمین بر بکردار شیر — بدانست کوهم نماند بزیر [۳]
سبك تیغ تیز از میان بر کشید — بر پور بیدار دل بر درید
بپیچید از آن پس یکی آه کرد — زنیك و بد اندیشه کوتاه کرد
بدو گفت کاین بر من از من رسید — زمانه بدست تو دادم کلید
توزین بی گناهی، که این کوژ پشت [٤] — مرا بر کشید و بزودی بکشت
ببازی بگویند همسال من — بخاك اندر آمد چنین یال من [٥]
نشان داد مادر مرا از پدر — ز مهر اندر آمد روانم بسر
همی جستمش تا ببینمش روی — چنین جان بدادم بدین آرزوی
دریغا که رنجم نیامد ببر [٦] — ندیدم درین هیچ روی پدر

---

۱ ـ یعنی اسبش می جهید و زمین را می کند . ۲ ـ یعنی چون اجل فرا رسید توان و نیروی او نماند . ۳ ـ اشارهٔ است بچاره رستم در رهائی او از دست سهراب ٤ ـ مقصود آسمان و روزگار است . ٥ ـ یعنی همسالان من در کوچه بازی میکنند و من در جنگ کشته شدم . (در بیشتر نسخه ها : ببازی بگویند همسال من .) ٦ـ یعنی رنجم برو نتیجه نداد .

کنون گرتو در آب ماهی شوی وياچون شب اندر سیاهی شوی
وگر چون ستاره بشوی بر سپهر ببری ز روی زمین پاك مهر
بخواهد هم از تو پدر کین من چو بیند که خشتست بالین من
از این نامداران و گردنکشان کسی هم برد سوی رستم نشان
که‌بسهراب کشتست‌وافکنده‌خوار همیخواست کردن تورا خواستار
چوبشنید رستم‌سرش خیره گشت جهان پیش‌چشم اندرش تیره گشت
همی بی‌تن وتاب وبی‌توش گشت بیفتاد از پای و بیهوش گشت
بپرسید ازآن پس که آمدبهوش بدو گفت با ناله و با خروش
بگو تا چه داری زرستم نشان ؟ که گم باد نامش ز گردنکشان
که رستم منم یکم ماناد نام نشیناد بر مانمم پور سام
بزد نعره و خونش آمد بجوش همی‌کند موی و همیزد خروش
چو سهراب رستم بدانسان بدید بیفتادو هوش از سرش بر پرید
بدو گفت گر زانکه رستم توئی بکشتی مرا خیره بر بدخوئی
ز هر گونه بودم ترا رهنمای نجنبید یك باره مهرت ز جای
کنون بند بگشای از جوشنم برهنه ببین این تن روشنم
ببازوم بر مهرهٔ خود نگر ببین تا چه‌دید این پسر ازپدر
چو بر خاست آواز کوس ازدرم بیامد پر از خون دو رخ مادرم
همی جانش از رفتن من بخست یکی مهره بر بازوی من ببست
مرا گفت کاین از پدر یادگار بدار و ببین تا کی آید بکار
کنون‌کارگر شدکه بیکار گشت[1] پسر پیش چشم‌پدر خوار گشت
چو بگشاد خفتان وآن مهره دید همی جامه بر خویشتن بردرید

۲- یعنی چون کار گذشت بی‌فائده ماند . و بعضی «بیکار گشت» دانسته‌اند. یعنی جنگ تمام شد .

همیریخت خون و همی کند موی سرش پر زخاك و پراز آب روی
بدو گفت سهراب کاین چاره نیست[1] بآب دو دیده نباید گریست
ازین خویشتن کشتن اکنون چسود؟ چنین رفت و این بودنی کار بود
چو خورشید تابان زگنبد بگشت[2] تهمتن نیامد بلشکر ز دشت
چنان بد گمانشان که او کشته شد سر نامداران همه گشته شد
بفرمود کاوس تا بوق و کوس دمیدندو آمد سپهدار طوس
وزان پس بلشکر چنین گفت شاه کز ایدر هیونی سوی رزمگاه
بتازید تا کار سهراب چیست که بر شهر ایران بباید گریست
چو آشوب بر خاست از انجمن چنین گفت سهراب با پیلتن
که اکنون چوروزمن اندر گذشت همان کار ترکان دگرگونه گشت
همه مهربانی بران کن که شاه سوی جنگ توران نراند سپاه
که ایشان بپشتی من[3] جنگجوی سوی مرز ایران نهادند روی
نباید که بینند رنجی براه مکن جز بنیکی در ایشان نگاه
بسی روز را داده بودم نوید بسی کرده بودم ز هر درامید
چه دانستم ای پهلو نامور که باشد روانم بدست پدر؟
درین دژ دلیری ببند منست گرفتار خم کمند منست
بسی زو نشان تو پرسیده ام همه بد خیال تو دردیده ام
جز آن بود یکسر سخنهای اوی از او باز ماند تهی جای اوی
چو گشتم ز گفتار او نا امید شدم لاجرم تیره روز سفید
ببین تا کدامست از ایرانیان نباید که آید بجانش زیان
نشانی که بد داده مادر مرا بدیدم نبد دیده باور مرا

---

۱ ـ یعنی گریه درد را دوا نمیکند. ۲ ـ یعنی چون از ظهر گذشت.
۳ ـ یعنی پشتیبانی من.

چنینم نوشته بد اختر بسر — که من کشته گردم بدست پدر
چو برق آمدم رفتم اکنون چو باد — بمینو مگر بینمت باز شاد
نشست ازبر رخش رستم چوگرد — پر از خون دل و لب پر از باد سرد
بیامد بپیش سپه با خروش — دل از کردهٔ خویش پر درد و جوش
چو دیدند ایرانیان روی اوی — همه بر نهادند بر خاك روی
ستایش گرفتند بر کردگار — که او زنده باز آمد از کار زار
چو زانگونه دیدند بر خاك سر — دریده همه جامه و خسته بر
بپرسش بگفتند کاین کار چیست؟ — ترا دل بدینگونه از بهر کیست؟
بگفت آن شگفتی که خود کرده بود — گرامی پسر را که آزرده بود
همه بر گرفتند با او خروش — نماند آن زمان با سپهدار هوش
چنین گفت باسر فرازان که من — نه دل دارم امروز گوئی نه تن
شما جنگ ترکان مجوئید کس — که این بد که من کردم امروز بس
پسر را بکشتم بپیرانه سر — بریدم پی و بیخ آن نامور
فرستاد نزدیك هومان پیام — که شمشیر کین ماند اندر نیام
نگهدار آن لشکر اکنون توی — نگه کن بدیشان مگر نغنوی
که با تو مرا روز پیکار نیست — همان بیش ازین جای گفتار نیست
زواره بیامد هم اندر زمان — بهومان سخن گفت از پهلوان
چو برگشت ازآن جایگه پهلوان — بیامد بر خسته پور جوان
یکی دشنه بگرفت رستم بدست — که از تن ببرد سر خویش پست
بزرگان بدو اندر آویختند — زمژگان همی خون فروریختند
بدو گفت کودرز کاکنون چه سود — گراز روی گیتی برآری تو دود؟
تو بر خویشتن گر کنی صد گزند — چه آسانی آید بدان ارجمند؟

رباعيات عمر الخيام

- ١ -

هر ذره که در روي زميني بوده است
خورشيد رخي زهره جبيني بوده است
گرد ازرخ نازنـــين بآرام فشان
که اين هم رخ وزلف نازنيني بوده است

- ٢ -

روحي که منزه است زالايش خـــاك
مهمان تو آمده است از عـــالم پاك
ميده تو ببادهء صبوحي مـــددش
زان پيش که گويد انعم الله مساك

- ٣ -

آنراکه وقوف شد بر احوال جهان
شادی وغم جهان براو شد يکسان
چون نيك وبد جهان بسر خواهد شد
خواهی همه درد باش وخواهی درمان

- ٤ -

گل گفت به از لقای من روئي نيست
چندين ستم گلابگر باری چيست
بلبل بزبان حـــال با او ميگفت
يکروز که خنديد که سالی نگريست

- ٥ -

آغاز روان گشتن اين رزين طـــاس
وانجـام خرابی چنين نيك اســـاس
دانسته نميشود بمعيـــار عقـــول
سنجيده نميشود بمقياس قيـــاس

- ٦ -

کم کن طمع از جهان ومیزی خرسند
وازنيك وبد زمـــانه بگسل پيوند
هان می خور وزلف دلبری گير که زود
هم بگذرد ونماند اين روزی چند

- ٧ -

ياران چـــو باتفاق ميعاد کنيد
خودرا بجمال يکديگر شاد کنيد
ساقی چومی مغـانه درکف گـيرد
بيچاره فلانرا بدعا يـــاد کنيد

- ٨ -

یاران چو باتفـــاق دیدار کنیـد
باید کـه زدوست یاد بسیار کنیـد
چون بادهء خوشگوار نوشید بهـــم
نوبت چو بمـارسد نگونسار کنیـد

- ٩ -

چون مردن تو مردن یکبارگی است
یکبار بمیر این چه بیچارگی است
خونی ونجاستي ومشتي رگ وپوست
انگار نبود این چه غمخوارگی است

- ١٠ -

بابط میگفت ماهیء درتب وتاب
باشد کـــه بجوی رفته بازآید آب
گفتا چو من وتو هردو گشتیم کباب
دنیا پس مرگ ماچه دریا چه سراب

- ١١ -

دنیا نه مقام تست نه جاي نشست
فرزانه در او خراب اولیتر ومست
برآتش غـــم زباده آبی مـــیزن
زآن پیش که درخاك روی باد بدست

- ١٢ -

آن یار که عمرش چـــو غمم باد دراز
امروز بمن تلطفی کرد آغـــاز
بر چشم من انداخت دمی چشم وبرفت
یعني که نکوئی کن ودر آب انداز

- ١٣ -

آن به که دراین زمانه کم گیری دوست
با اهل زمانه صحبت ازدور نکوست
آنکس که ترا بحملگی تکیه براوست
چون چشم خرد بازکني دشمنت اوست

- ١٤ -

آنرا منگر که ذو فنون آیـــد مرد
در عهد ووفا نگر که چون آید مرد
از عهدهء عهد چون برون آید مرد
از هرچه گمان بری فزون آید مرد

- ١٥ -

هنگـــام صبوح ای صنم فرخ پی
برساز ترانه وبـــه پیش آور می
کافگند بخاك صد هزاران جم وکی
این آمدن تیرمه ورفـــتن دی

- ١٦ -

کسی خلد وجحیم را ندیده است اي دل
کوئی که از آنجهان‌رسیده است اي دل
امید وهراس ما بچیزی که از آن
جز نام ونشاني ندیده است ای دل

- ١٧ -

با رحمت تو من از گنـــه نندیشم
باتوشهء تو زرنج ره نـــندیشم
گر لطف توأم سفید رو گرداند
حقاکه زنامهء سیه نـــندیشم

- ١٨ -

افسوس که نامهء جواني طی شد
وآن تازه بهـار شادمانی دی شد
آن مرغ طرب که نام او بود شباب
فریاد ندانم که کی امد کی شد

- ١٩ -

ناکرده گناه در جهان کیست بگو
وان کسی که گنه نکرد چون زیست‌بگو
من بـــد کنم وتو بد مکافات دهی
پس فرق میان من وتو چیست بگو

- ۲۰ -

اي مـــانده بتزوير فريبنده گرو
واز بهر دو روزه زنده گی درتك ودو
گفتی که پس از مرگ کجا خواهی رفت
می پیش من آر وهر کجا خواهی رو

- ۲۱ -

در خواب بدم مرا خردمندی گفت
کاز خواب کسی راگل شادی نشکفت
کاری چه کنی که با أجل با شد جفت
بر خیز که زیر خاك میباید خفت

- ۲۲ -

مـا لعبتگانیم وفلك لعبت بـــاز
از روی حقیقی ونه از روی مجـــاز
بازیچه کنان بـــدیم برنطع وجود
رفتیم بصندوق عدم یك یك بـــاز

- ۲۳ -

سر دفتر عـــالم معاني عشق است
سر بیت قصیدهء جوانی عشق است
اي آنکه خبر نداری از عالم عشق‌است
این نکته بدان که زندگانی عشق است

- ٢٤ -

چـــون ابر بنوروز رخ لاله بشست
بر خیز وبجام باده کن عزم درست
کین سبزه که امروز تماشا گه تست
فردا همه از خاك تو بر خواهد رست

- ٢٥ -

شب نیست که عقـــل در تحیر نشود
وزگریه کنار من پر از در نشود
پرمی نشود کاسه سر از سودا
هر کاسه که سر نگون شود پر نشود

- ٢٦ -

مائیم ومی ومطرب واین کنج خراب
فارغ زامید رحمت وبـــیم عذاب
جان ودل وجامه در رهن شراب
آزاد زخـــاك وباد واز آتش وآب

- ٢٧ -

بنگر زصبا دامن گل چاك شده است
بلبل زجمال گل طربناك شده است
درسایهء گل نشین که بسیار این گل
از خاك برامده است ودرخاك شده‌است

- ۲۸ -

گویند کسان بهشت باحور خوش است
من میگویم که آب انگور خوش است
این نقد بگیر ودست از ان نسیه بدار
کآواز دهل شنیدن از دور خوش است

- ۲۹ -

هنگام صبوح است خروش ای ساقی
ما ومی وکوی میفروش ای ساقی
چه جای صلاحست خموش ای ساقی
بگذر زحدیث ودرد نوش ای ساقی

- ۳۰ -

می خوردن من نه از برای طرب است
نه زبهر نشاط وترك دین وأدب است
خـــواهم که به بیخودی برایم نفسي
می خوردن ومست بودنم زین سبب است

- ۳۱ -

در سر هوس بتان چون حورم باد
بردست همیشه آب انگورم بـــاد
گویند کسان خدا ترا توبه دهـــاد
او خود ندهد من نکنم دورم بـــاد

- ۳۲ -

توبه مکن ازمی اگرت می باشد
صد توبهء نادمـــات درپی باشد
گل جامه دران وبلبلان نعره زنان
در وقت چنین توبه رواکی باشد

- ۳۳ -

ملـیم بشراب نـــاب باشد دایم
گوشـــم بنی ورباب باشد دایم
گرخاك مراکوزه‌گران کوزه کنند
آن کوزه پراز شراب باشد دایم

- ۳٤ -

هر لذت وراحتي که خلاق نهـــاد
از بهر مجردان آفاق نهـــاد
هرکس که زطاق منقلب گشت بیفت
آسایش خود ببرد وبرطاق نهـــاد

- ۳۵ -

آورد باضطـــرارم اول بوجود
جز حیرتم از جهان چیزی نفزود
رفتـــیم باکراه وندانیم چه بود
زین آمدن وبودن ورفتن مقصود

- ۳۶ -

هر روز برآنم که کنم شب توبه
از جـام پیاپی ولبـــالب توبه
اکنون که رسید وقت گل هر غم نیست
در موسم گل زتـــوبه یارب توبه

- ۳۷ -

بر روی گل از ابر نقابست هنوز
در طبع ودلم میل شراب است هنوز
در خواب مرو چه وقت خوابست هنوز
جانا مي خور که آفتاب است هنوز

- ۳۸ -

دارنده چو ترکیب عناصر آراست
از بهرچه او فگندش اندر کم وکاست
گرنیك نیامد این صور عیب کراست
ورنیك آمد خرابي از بهرچه‌راست

- ۳۹ -

جامی است که عقل افرین میزندش
صـــد بوسه زمهر برجبین میزندش
این کوزه‌گر دهر چنین جام لطیف
میسازد وبـــاز برزمین میزندش

- ٤٠ -

برگیر زخود حسابی از بـــاخبری
که اول توچه آوری وآخرچه بری
گفتی نخـــورم باده که میباید مرد
میباید مرد اگر خوری یانخوری

- ٤١ -

یکچند بکودکی باستاد شـــدیم
یکچند زاستادی خود شاد شـــدیم
پایان سخن شنوکه مارا چه رسید
از خاك در آمدیم وبر باد شـــدیم

- ٤٢ -

یا رب بـــدل اسیر من رحمت کن
برسینهء غم پـذیر من رحمت کن
برپای خرابات رو من بخشـــای
بر دست پیاله گـــیر من رحمت کن

- ٤٣ -

ای همنفسان مرا زمی قوت کنید
واین چهرهء کهربا چو یاقوت کنید
گرفوت شـــوم بباده شوئید مرا
وزچوب رزم تختهء تابوت کنیـــد

- ٤٤ -

گویند مرا آنکسان که باپرهیزند
زآن سان که بمیرند چنان بر خیزند
ما با سی ومعشوقه از آنیم مدام
باشد که بحشر مان چنان انگیزند

- ٤٥ -

آمد سحری ندا زمیخانهء ما
کای رند خراباتي ودیوانهء ما
بر خیزکه پرکنیم پیمانه زمی
زان پیش که پرکنند پیمانهء ما

- ٤٦ -

دنیا بمراد رانده گیر آخرچه
وین نامهء عمر خوانده گیر آخرچه
گیرم که بکام دل بماندی صد سال
صد سال دگر بمانده گیر آخرچه

- ٤٧ -

مهتاب بنور دامن شب بشکافت
می خورکه دمی خوشتر ازین نتوان‌یافت
خوش باش وبیندیش که این ماه بسی
اندر سرخاك یك بیك خواهد تافت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مبادئ اللغة الفارسية

الأحرف الفارسية

١ – تستخدم اللغة الفارسية الأحرف العربية . وهناك أصوات في الفارسية لا توجد في العربية تعبر عنها الحروف التالية :

الحرف	كيف ينطق	ملاحظات
پ	P	في الانكليزية
چ	ch	في الانكليزية
ژ	J	في الانكليزية
گ	g	كما في كلمة gun الانكليزية .
و	V	عندما تكون الواو متحركة تلفظ مثل حرف « V » الانكليزية ، فإذا كانت حرف مدّ فتلفظ كما في العربية .

٢ – بعض الحروف العربية تلفظ في الفارسية بصورة مختلفة بعض الاختلاف عنها في العربية ، كما يلي :

الحرف	كيف ينطق	ملحوظات
ث	س	تلفظ قريبة من السين في العربية .

الحرف	كيف ينطق	ملحوظات
ح	ه	تلفظ قريبة من الهاء في العربية .
ذ		كما في العربية ، وكذلك يلفظ قريباً من الزاي .
ص		كما في العربية ، والغالب أن يكون أقرب إلى حرف السين منه إلى الصاد .
ض		تنطق شبيهة بالزاي في العربية مع شيء من التفخيم يجعلها شبيهة بالظاء في العامية القاهرية .
ط		تنطق أقرب إلى التاء منها إلى الطاء .
ظ		تلفظ بطريقة مشابهة للزاي مع بعض التفخيم .
ق		تلفظ بين القاف والغين في العربية . وهي أقرب إلى الغين .

٣ – بقية الأحرف تلفظ بالفارسية كما هي في العربية .

٤ – في الفارسية توجد في نهاية بعض الكلمات هاء صامتة ، مثل پرده (ستار) وهي لا تلفظ . ويستعاض عنها بكسر الحرف السابق عليها .

التذكير والتأنيث

التذكير والتأنيث اللفظي غير موجود في الفارسية ، ويستفاد التذكير والتأنيث من المعنى .

وعلى هذا فالضمائر وأسماء الإشارة لا تفرق بين المذكر والمؤنث .

والصفات تستخدم للمذكر والمؤنث على السواء :

تو = أنت أو أنتِ
او = هو أو هي
شما = أنتم أو أنتن
ايشان = هم أو هن
اين = هذا أو هذه
آن = ذلك أو تلك

أما بالنسبة للصفة فنستطيع أن نقول :

مرد فاضل = رجل فاضل
زن فاضل = امرأة فاضلة

الجملة :

الجملة في اللغة الفارسية تتألف من :

مسند اليه + مسند + رابطة .

مبتدأ أو فاعل + مفعول أو خبر + أداة لربط المسند اليه بالمسند .

مثل : خدا كريم است الله كريم

وقد يكون المسند اليه اسماً والمسند فعلا

مثل : محمد نميرود محمد لا يذهب

•

الضمائر المنفصلة

الضمير	معناه بالعربية
من	أنا
تو	أنتَ أو أنتِ
أو (وى)	هو أو هي
ما	نحن
شما	أنتم أو أنتن
ايشان	هم أو هنّ

*

ملاحظة :

ليس في اللغة الفارسية حركات شبيهة بحركات الإعراب العربية إلا في حالتين :

(١) حالة المضاف مثل كتابِ من (كتابي)

(٢) حالة الموصوف مثل : مردِ خوب (رجل طيب)

فنلاحظ أننا في هاتين الحالتين نضع كسرة في آخر الإسم المضاف أو الاسم الموصوف .

وإذا سبقت الصفةُ الموصوف، حذفت الكسرة وأصبح الموصوف ساكناً، مثل : « خوبْ مردْ » فعندما تقدمت الصفة « خوب » على الموصوف « مرد » أصبح الاسم الموصوف ساكناً .

*

تصريف الرابطة

مسند	مسند اليه	رابطة	
من	شاگرد	هستم	أنا طالب
تو	شاگرد	هستي	أنت طالب (أو أنتِ طالبة) .
أو	شاگرد	هست	هو طالب (أو طالبة) .
ما	شاگردان	هستيم	نحن طلاب (أو طالبات).
شما	شاگردان	هستيد	أنتم طـــلاب (أو أنتن طالبات) .
ايشان	شاگردان	هستند	هم طلاب (أو هـــن طالبات)

نلحظ في تصريف الرابطة أنها تتغير حسب التصريف من حيث نهايتها تنتهي بحرف « م » للمتكلم ثم ياء للمخاطب ولا يضاف شيء في حالة المفرد غائب ، ثم « يم » في حالة جمع المتكلم و « يد » في حالة جمع المخاطب ، ند » في حالة جمع الغائب وقد تختصر هذه الرابطة فيكتفي أحياناً نهاياتها مثل :

من	شاگردم	انا طالب
تو	شاگردي	انت طالب
او	شاگرد هست	هو أو هي طالب أو طالبة (وهنا تكتب الرابطة كاملة).
ما	شاگرد انيم	نحن طلاب
شما	شاگرد انيد	أنتم أو أنتن طلاب أو طالبات
ايشان	شاگرد انند	هم أو هن طلاب أو طالبات

*

الضمائر المتصلة

كتابم	ومعناها	كتابي	=	كتاب من
كتابت	«	كتابك	=	كتاب تو
كتابش	«	كتابه ، كتابها	=	كتاب او
كتابمان	«	كتابنا	=	كتاب ما
كتابتان	«	كتابكم ، كتابكن	=	كتاب شما
كتابشان	«	كتابهم ، كتابهن	=	كتاب ايشان

المصدر الفارسي

المصادر في اللغة الفارسية تكون منتهية اما بـ (دَن) أو بـ (تَن) ونلاحظ أن الدال من (دن) والتاء من (تن) مفتوحة دائماً .

أمثلة : آمدن : أن يجيء رفتن : أن يذهب

*

ملحوظة :

عندما تُحذف النون من المصدر يدعى مصدراً مرخماً مثل : « بود » و « رفت » فأصلها بالتوالي « بودَن » و « رفتَن » .

*

تصريف فعل الكينونة « بودن »

مع الضمائر المنفصلة في الماضي المطلق

ضمير		مصدر مرخم	الضمير المتصل
من	+	بود	+ م = من بودوم (انا كنت)
تو	+	بود	+ ي= تو بودي (انت كنت)
أو	+	بود	= او بود (هو كان)
ما	+	بود	+ يم = ما بوديم (نحن كنا)
شما	+	بود	+ يد = شما بوديد (انتم كنتم)
ايشان	+	بود	+ ند = ايشان بودند (هم كانوا)

*

تصريف « رفتن » في الماضي المطلق

ضمير		مصدر مرخم		الضمير المتصل
من	+	رفت	+	م = من رفتم (ذهبتُ)
تو	+	رفت	+	ي = تورفتي(ذهبتَ، ذهبتِ)

او	+	رفت	+		= اورفت(ذهب،ذهبت)
ما	+	رفت	+	يم	= مارفتيم (ذهبنا)
شما	+	رفت	+	يد	= شما رفتيد(ذهبتم، ذهبتن)
ايشان	+	رفت	+	ند	= ايشان رفتند(ذهبوا،ذهبن)

وقس على هذه الطريقة السابقة في تصريف الماضي المطلق .

*

والآن ننتقل الى تصريف **الماضي القريب** ، وهو حدوث شيء وقع في وقت قريب في الماضي ، وطريقة التصريف كالآتي :

تصريف الماضي القريب للمصدر « كردن » (أن يعمل)

الضمير	+ مصدر مرخم	+ هاء صامتة	+ رابطة	فتكتب	ومعناها
من	كرد	ه	أم	من كرده أم	انا قد عملت
تو	كرد	ه	اى	توكرده اى	أنت أو أنت قدعملت
او	كرد	ه	است	اوكرده است	هو قد عمل أو هي قد عملت
ما	كرد	ه	ايم	ماكرده ايم	نحن قد عملنا
شما	كرد	ه	ايد	شماكرده ايد	أنتم قد عملتم أو أنتن قد عملتن
ايشان	كرد	ه	اند	ايشان كرده اند	هم قد عملوا أو هن قد عملن

رفـــتن

من	رفته	ام	(أنا قد ذهبت)
تو	رفته	اي	(أنت قد ذهبت)
او	رفته	است	(هــو قد ذهب)
ما	رفته	ايم	(نحن قد ذهبنا)
شما	رفته	ايد	(أنــتم قد ذهبتم)
ايشان	رفته	اند	(هم قد ذهبــوا)

تصريف الماضي البعيد

أما الماضي البعيد فيدل على فعل وقع في الماضي سابقاً على فعل آخر .

ضمير +	مصدر مرخم	+ هاء صامتة	+فعل الكينونة مصرفاً في الماضي المطلق	وتكتب	ومعناها
من	كرد	ه	بودم	من كرده بودم	أنا كنت قد عملت
تو	كرد	ه	بودى	توكرده بودى	أنت كنت قد عملت
او	كرد	ه	بود	او كرده بود	هو كان قد عمل
ما	كرد	ه	بوديم	ماكرده بوديم	نحن كنا قــد عملنا
شما	كرد	ه	بوديد	شماكرده بوديد	أنتم كنتم قد عملتم
ايشان	كرد	ه	بودند	ايشان كرده بودند	هم كانوا قد عملوا

فنلحظ هنا أن تصريف المــاضي البعيد يكون باضافة هاء صامتة إلى المصدر المرخم من الفعل المتصرف + فعل الكينونة في الماضي المطلق .

تصريف الماضي الاستمراري

يصرف الماضي الاستمراري مثل الماضي المطلق لكن الفعل يسبق بـ «مي» أو « مي » ، ويمكن أن تستعمل كلاً منهما بدل الأخرى .

أمثلة لتصريف الماضي الاستمراري

رفتن			ديدن		
من	مي	رفتم	من	مي	ديدم
تو	مي	رفتي	تو	مي	ديدي
او	مي	رفت	او	مي	دید
ما	مي	رفتيم	ما	مي	ديديم
شما	مي	رفتيد	شما	مي	ديديد
ايشان	مي	رفتند	ايشان	مي	ديدند

ملحوظة :

يعرف هذا الزمن أيضاً بالماضي الناقص (ماضي ناتمام) .

•

الفعل المضارع وتصريفه

يبنى تصريف الفعل المضارع على المـــادة الأصلية للمصدر . فلتصريف المضارع من أي فعل لا بد من معرفة مادته الأصلية . وهناك بعض القواعد

التي تعين على معرفة المواد الأصلية للمصادر ولكن الطالب المبتدىء يجب أن يحفظ المادة الأصلية لكل مصدر يعرفه .

مثال : گفتن مادته الأصلية گوى

ضمير	المادة	ضمير متصل	فتكتب	ومعناها
من	گوى	م	من گويم	أنا أقول
تو	گوى	ي	تو گويي	انت تقول أو أنت تقولين
او	گوى	د	او گويد	هو يقول أو هي تقول
ما	گوى	يم	ما گويم	نحن نقول
شما	گوى	يد	شما گويد	أنتم تقولون أو أنتن تقلن
ايشان	گوى	ند	ايشان گويند	هم يقولون أو هن يقلن .

وكذلك يكون الحال في كل مصدر ، وفيما يلي بعض التطبيقات :

نهادن (أن يضع) والمادة الأصلية « نه » فيكون تصريف المضارع من هذا المصدر كما يلي :

من نهم
تو نهي
او نهد

ما نهيم
شما نهيد
ايشان نهند

آمدن (أن يجيء) والمادة الأصلية « آي » فيكون التصريف كما يلي :

من آيم
تو آيي
او آيد
ما آييم
شما آييد
ايشان آيند

وقس على ذلك بقية المصادر .

تصريف المضارع الاستمراري

يصرف المضارع الاستمراري كالمضارع مع إضافة علامة الاستمرار إلى أوله وهي : « مي » أو « همي » .

يمكن استعمال « مي » أو « همي » على السواء .

مثال : گرفتن ، ومادتها الأصلية : گير .

من	مي	گيرم
تو	مي	گيري
او	مي	گيرد
ما	مي	گيريم
شما	مي	گيريد
ايشان	مي	گيرند

وقس على ذلك

صيغة المستقبل

يصاغ المستقبل من المضارع من «خواستن» + المصدر المرخم من الفعل المتصرف .

تصريف المضارع من خواستن – ومادته الأصلية خواه :

من خواهم	مـــا خواهـيم
تو خواهي	شمـــا خواهيد
او خواهد	ايشان خواهنـد

المستقبل من « كردن »

من خواهم كرد	أنا سوف أعمل أو ساعمل
تو خواهي كرد	
او خواهد كرد	
ما خواهيم كرد	
شما خواهيد كرد	
ايشان خواهند كرد	

فصيغة المستقبل إذن تتكون من المضارع لفعل خواستن + المصدر المرخم من الفعل المراد تصريفه .

فعل الأمر

المادة الاصلية من أي مصدر هي ذاتها فعل الأمر للمفرد .

أما أمر الجمع فيكون باضافة « يد » إلى آخر المادة الأصلية :

مثال :

گفتن	ومادته	گوی
أمر المفرد	هو	گوی
أمر الجمع	هو	گویید

وأحياناً تسبق المادة الأصلية « ب » مكسورة ، فيكون فعل الأمر من « گفتن » :

گوی أو بگوی	للمفرد المخاطب
گویید أو بگویید	لجماعة المخاطبين

نفي الفعل

يكون نفي الفعل بنون مفتوحة تتصل بأوله

نفي الماضي المطلق

الماضي المطلق	يصير بعد النفي
من رفتم (أنا ذهبت)	من نرفتم (أنا ما ذهبت)
تو رفتي	تو نرفتي

او رفت	او نرفت
ما رفتيم	ما نرفتيم
شما رفتيد	شما نرفتيد
ايشان رفتند	ايشان نرفتند

*

نفي الماضي الاستمراري

ينفى الماضي الاستمراري بادخال نون مفتوحة على « مي » أو « مي »

مثال :

من مي رفتم	تصير بعد النفي	من نمي رفتم
تو مي رفتي	=	تو نمي رفتي
او مي رفت	=	او نمي رفت
ما مي رفتيم	=	ما نمي رفتيم
شما مي رفتيد	=	شما نمي رفتيد
ايشان مي رفتند	=	ايشان نمي رفتند

*

نفي الرابطة

هستم	تصير بعد النفي	نيستم
هستي	=	نيستي
هست	=	نيست
هستيم	=	نيستيم
هستيد	=	نيستيد
هستند	=	نيستند

النهي

يصاغ النهي بادخال ميم مفتوحة في أول فعل الأمر ، مثل :

نشين (اجلس) تصير في حالة النهي مَنشين (لا تجلس)

نشينيد (اجلسوا) = مَنشينيد (لا تجلسوا)

گوى (قل) = مَگوى (لا تقل)

گوييد (قولوا) = مَگوييد (لا تقولوا)

*

ياء التنكير وياء الإسمية

إذا دخلت الياء على اسم كانت الياء علامة تنكير ، وإذا دخلت الياء على صفة أصبحت الصفة اسم معنى :

مثال دخولها على اسم : قومي ، وتعني كلمة « قوم » في حالة التنكير .

مثال دخولها على الصفة : « خوش » صفة بمعنى حسن أو طيب ، فإذا دخلت الياء تصبح « خوشي » اسم معنى يعني « الحُسْن » .

*

المفرد والجمع

الفارسية تعرف طريقتين للجمع هما :

١) تدخل الألف والنون (ان) على آخر الاسم فيصبح جمعاً ، مثل :

مرد (وتعني رجل) فتصبح مردان (رجال) .

٢) تدخل الهاء والألف (ها) على الاسم فيصبح جمعاً ، مثل : كتاب ، وهو في حالة الجمع كتابها .

*

اسم الاشارة

اين : هذا	اينان : هؤلاء
آن : ذلك	آنان : أولئك

*

اللاحقة « را »

فائدة :

تكون « را » للدلالة على المفعولية عندما يكون الاسم مفعولاً به لفعل متعد :

مثال فارسي : من مردرا ديدم .

ومعنـــاه : أنا رأيت الرجل .

وتكون علامة المفعول اليه إذا لم يوجد فعل متعد في الجملة :

مثال : اين كتاب مرانيست : هذا الكتاب ليس لي .

وهناك تفصيلات اخرى لاستعمال « را » لا داعي لذكرها في هذه المرحلة من الدراسة

*

اسم المفعول

يتكون اسم المفعول من مصدر مرخم زائد هاء صامتة (ه) مثل :

مصدر	مصدر مرخم	اسم المفعول
گفتن (ان يقول)	گفت	گفته
نهادن (أن يضع)	نهـاد	نهاده

*

اسم الفاعل

يتكون اسم الفاعل من المادة الأصلية + « نده » مثل :

مصدر	المادة الأصلية		اسم الفاعل
گفتن (أن يقول)	گوى	+ نده =	گوينده
رفتن (أن يذهب)	رو	+ نده =	رونده
نهادن (أن يضع)	نـه	+ نده =	نهنده

الصفة المشبهة

تتكون الصفة المشبهة من المادة الأصلية مع زيادة ألف على آخرها :

أمثـــلة :

مصدر	المادة الأصلية	الصفة المشبهة
دانستن (أن يعلم)	دان	دانا
گفتن (أن يقول)	گوى	گويا
رفتن (أن يذهب)	رو	روا
ديدن (ان يرى)	بين	بينا

*

الصيغة الحالية

تتكون الصيغة الحالية من المادة الأصلية مع زيادة ألف ونون على آخرها:

أمثـــلة .

المصدر	المادة الأصلية	الصيغة الحالية
گفتن (أن يقول)	گوى	گويان
رفتن (أن يذهب)	رو	روان
نهادن (أن يضع)	نه	نهان

*

الصفة والموصوف

الصفة في الفارسية لا تختلف في المذكر عنها في المؤنث ، مثل :

مرد خوب : رجل طيب زن خوب امرأة طيبة

الصفة في الفارسية قد تتبع الموصوف افراداً وجمعاً وقد لا تتبعه ، مثل :

مردان خوب أو مردان خوبان : رجال طيبون

زنان خوب أو زنان خوبان : نساء طيبات .

*

قاعدة :

إذا كان في آخر الاسم الموصوف أو المضاف حرف علة يلحق به في حالة الوصف أو الاضافة « ياء » وتوضع تحت الياء كسرة الاضافة ، مثل :

كتابها	كتابهاي من	بمعنى : كتبي
علما	علماي عرب	بمعنى : العلماء العرب

ضمير الموصول

١ — كه : ضمير الموصول للعاقل وغيره

٢ چه : ضمير الموصول لغير العاقل

قاعدة :

يسبق الموصول عادة ياء تتصل بآخر الاسم السابق على الموصول . وهذه الياء تربط هذا الاسم بضمير الموصول ، وتفيد تعريفه .

مرديكه آمد برادر من است

الرجـــل الذي جاء أخي

قاعدة :

يمكن أن يسبق ضمير الموصول

١ – اسم إشارة ، مثل : اينكه = هذا الذي

آنكه = ذلك الذي

٢ – ضمير منفصل، مثل : من كه = أنا الذي

ما كه = نحن الذين

قاعدة :

يجوز أن يُسبق ضمير الموصول بأداة النداء

مثل : أيكه = يا من .

ضمير الاستفهام

١ – يستعمل ضميرا الموصول : كه ، چه للاستفهام أيضاً .

أمثـــلة :

كه آمـــد ؟ = من جاء ؟

چه كردي ؟ = ماذا صنعت ؟

٢ - تختلف ضمائر الاستفهام عن ضمائر الموصول في الوجوه الآتية :

أ - أن ضمائر الاستفهام يمكن أن تسبقها الأدوات الفارسية التي تشبه حروف الجر العربية . مثل : از = من ، بر = على

ب - أن ضمائر الاستفهام يمكن أن تلحق بها علامة المفعولية :

مثال : كرا (كه ر) ديدى ؟ = من رأيت ؟

جـ - يمكن أن يكون ضمير الاستفهام مضافاً اليه

مثال : : اين كتاب كيست ؟ = كتاب من هذا ؟

د - أن ضمير الاستفهام « كـه » يمكن أن يجمع . وجمع « كه » هو « كيان » .

مثال : آنان كيان اند ؟ = هؤلاء من يكونون ؟

أدوات الاستفهام

آيـا : هـل ؟	كجـا : أين
چرا : لماذا ؟	كدام : أي شخص ؟
چند : كم ؟	أي شيء ؟
چه طور : كيف ؟	كـو : أين ؟
	كِيْ : متى ؟

المبني للمجهول

١ – من الشائع في اللغة الفارسية استعمال صيغة « جمع الغائب » من الفعل المتعدي للتعبير عن المبنى للمجهول .

مثال : حكايت كنند = يُحكى .

٢ – يصاغ المبني للمجهول من اســـم المفعول من المصدر المراد بناؤه للمجهول + تصريف فعل شدن .

اسم مفعول + تصريف شدن :

نوشته شد : كُتب

آزموده شدي : جُرِّبتَ

ويجوز أن يكون اسم المفعول عربياً ، مثل

مغلوب شد : غُلب

المصدر الشيني

ويسمى أيضاً « حاصل مصدر »

يصاغ المصدر الشيني باضافة « ش » مكسور ما قبلها إلى المادة الأصلية مثـــل :

المصـــدر	المـــادة الأصلية	المصدر الشيني
نواختن	نواز	نوازش
بخشيدن	بخش	بخشش

الدعـــاء

يتكون فعل الدعـاء من صيغة المضارع للشخص الثالث المفرد ، وذلك بشرط أن تضاف ألِف قبل الحرف الأخير من هذه الصيغة .

أمثـــلة :

المصدر	المادة الأصلية	المضارع للشخص الثالث	الدعاء
گفتن	گوی	گويـــد	گوياد
كردن	كن	كند	كناد

وإذا أردنا نفي صيغة الدعاء ألحقنا ميماً بأولها :

أمثـــلة :

صيغة الدعاء	نفي الدعـاء	
كناد	مكناد	من كردن
دهاد	مدهاد	من دادن

النـــداء

١ – يكون النداء في الفارسية بإلحاق ألف بآخر الاسم المنادى .

مثال : خدايا = يا الله .

٢ – تستعمل بعض أدوات النداء العربية للنـداء في الفارسية . فالفرس يستخدمون « يا » وكذلك « أي » للنداء .

مثال : أي بدر = يا أبي .

الصفة المنسوبة

تسمى الصفة المنسوبة « صفت نسبي » بالفارسية وتقابل الاسم المنسوب في اللغة العربية .

وهناك طرق متعددة للنسب في الفارسية ، أهمها :

١ – ياء النسبة ، كما في العربية :

عربي – لبناني

٢ – ين تلحق بآخر الاسم :

زرين	: ذهبي	من زر = ذهب
سيمين	: فضي	من سيم = فضة
چوبين	: خشبي	من چوب = خشب

٣ – ينه ، وتلحق أيضاً بآخر الاسم ، مثل :

زرينه : ذهبي

سيمينه : فضي

٤ – « ه » (هاء صامته) ، « انه »

وتلحقان بآخر الأسماء الدالة على الزمن ، وبذلك يعني الاسم صفة زمنية .

الاسم	المعنى	النسبة بالهاء	النسبة بـ « انه »
روز	يوم	روزه	روزانه : يومي
سال	سنة	ساله	سالانه . سنوي

قواعد صرفية مهمة

١ – جمع الاسم المنتهي بهاء صامتة :

إذا كان الاسم الذي نجمعه (بألف ونون) منتهياً بهاء صامتة قلبت هذه الهاء « گ » عند الجمع ، مثل :

گرده (جوزة) جمعها گردگان (جوز) .

٢ – أسماء الاشارة والضمائر الشخصية التي تبدأ بهمزة :

إذا دخلت البـــاء على اسم إشارة أو ضمير أوله همزة جاز أن تقلب الهمزة دالاً .

أمثـــلة :

بدان = بـ آن : لذلك
بدين = بـ آين : لهذا
بـدو = بـ او : له
بديشان = بـ ايشان : لهم

٣ – إذا دخلت البـــاء على فعل وكان أوله همزة قلبت الهمزة ياء .

أمثـــلة :

الفعل « افتد » إذا دخلت عليه الباء صار « بُيفتد » .
الفعل « آمد » إذا دخلت عليه الباء صار « بيامد » .

المصادر الفارسية

ثبت مرتب على حروف المعجم

المصدر	المادة	المعنى
	(أ)	
آراستن	آرا (ى)	أن يزين ، التزيين
آراميدن	آرام	« يستريح، يسكن، الاستراحة
آزردن	آزار	« يؤذي ، الأذى ، التكدير
آزمودن	آزما (ى)	« يجرب ، التجربة
آسودن	آسا (ى)	« يهدأ ، الهدوء ، الاستراحة
آشفتن	آشوب	« يثير ، يزعج ، الاثارة
آگاهانيدن	آگاهان	« يخبر ، يشهد ، الإخبار
آگاهيدن	آگاه	« يخبر ،يحذر، الاخبار ،التحذير
آگندن	آگن	« يحشو ، الحشو
آگنيدن	آگن	« يحشو ، الحشو

المصدر	المـــادة	المعنى
آمدن	آ (ى)	أن يجيء ، المجيء
آمرزيدن	آمرز	« يرحم ، يغفر ، الغفران
آموختن	آموز	« يعلم ، يتعلم ، التعليم
آميختن	آميز	« يخلط ، الخلط
آوردن	آور . آر	« يحضر ، الاحضار
استادن	ايست	« يقف ، الوقوف
افتادن	افت	« يقع ، الوقوع
افراختن	افراز	« يرفع ، الرفع
افراشتن	افراز	« يرفع ، الرفع
افروختن	افروز	« يشعل ، يوقد ، الاشعال
افزودن	افزا (ى)	« يزيد ، الزيادة
افسردن	افسر	« يجمد ، التجمد
افساردن	افشار	« يعصر ، يضغط ، الضغط
افشاندن	افشان	« ينثر ، النثر
افگندن	افگن	« يرمي ، الرمي
انباردن	انبار	« يملأ ، يخزن ، الخزن
انباشتن	انبار	« يملأ ، يخزن ، الخزن
انداختن	انداز	« يرمي ، يطرح ، الطرح
اندوختن	اندوز	« يجمع ، يحصل ، الجمع
انديشيدن	انديش	« يفكر ، يتدبر ، التفكير
انگاشتن	انگار	« يفرض ، يتخيل ، ينقش

المصدر	المـــادة	المعنى
انگيختن	انگيز	أن يثير ، يحرض ، التحريض
اوفتادن	اوفت ، افت	« يقع ، الوقوع ، السقوط
ايستادن	ايست	« يقف ، الوقوف

(ب)

باختن	باز	أن يلعب ، اللعب
باريدن	بار	« يمطر ، الامطار
بازيدن	باز	« يلعب ، اللعب
بافتن	باف	« ينسج ، النسيج
بايستن	باي	« يلزم ، يجب ، اللزوم
بردن	بر	« يحمل ، يسلب ، الحمل
بَرْزيدن	برز	« يزرع ، يتمرن
برشتن	برشت	« يقلي ، القلي ، يسلق
بُريدن	بر	« يقطع ، القطع
بستن	بند	« يعقد ، يربط ، الربط
بنديدن	بند	« يعقد ، يربط
بودن	بو ، باش	« يكون ، الكون
بوسيدن	بوس	« يقبل ، التقبيل
بوئيدن	بوي	« يشم ، الشم
بيختن	بيز	« ينخل ، يصفي ، النخل

المصدر	المـــادة	المعنى
	(پ)	
پاشيدن	پاش	أن ينثر الماء ، يرش ، الرش
پاكيدن	پاك	« ينظف ، التنظيف
پالادن	پالا (ى)	« يصفي ، التصفية
پالودن	پالا (ى)	« يصفي ، التصفية
پاليدن	پالا (ى)	« يصفي ، التصفية
پختن	پز	« يطهي ، الطهي
پذيرفتن	پذير	« يقبل ، القبول
پراشيدن	پراش	« يبعثر ، ينثر
پراگندن	پراگن	« يبعثر ، ينثر
پرانيدن	پران	« يُطيّر ، التطيير
پرداختن	پرداز	« يكمل، يتمم ، الاكمال
پرستيدن	پرست	« يعبد ، العبادة
پرسيدن	پرس	« يسأل ، السؤال
پرهختن	پرهيز	« يتعفف ، يتأدب ، التعفف
پرهيختن	پرهيز	« يتعفف ، يتأدب ، التعفف
پرهيزيدن	پرهيز	« يتعفف ، يتأدب ، التعفف
پروردن	پرور	« يربي ، التربية ، التنشئة
پريدن	پر	« يطير ، الطيران
پريشانيدن	پريشان	« يبعثر ، ينثر
پريشيدن	پريش	« يبعثر ، ينثر

المصدر	المـــادة	المعنى
پزيدن	پز	أن يطهي، الطهي
پزمردن	پزمر	« يذبل ، الذبول
پژوهيدن	پژوه	« يفحص ، يبعث ، الفحص
پسنديدن	پسند	« يعجب ، الاعجاب
پناهيدن	پناه	« يلجأ ، الالتجاء
پنداشتن	پندار	« يفكر ، يظن ، الظن
پوشاندن	پوشان	« يلبس ، يغطى ، الالباس
پوشانيدن	پوشان	« يلبس ، يغطى ، الالباس
پوشيدن	پوش	« يلبس ، اللبس
پيچيدن	پيچ	« يطوي ، الطي
پيراستن	پيرا (ى)	« يزين ، يزوق ، التزويق
پيمودن	پيما (ى)	« يقيس ، القياس
پيوستن	پيوند	« يتصل ، يرتبط ، الارتباط الاتصال

(ت)

تاختن	تاز	أن يسرع ، يجري ، الجري ، الهجـــوم .
تازيدن	تاز	« يجري ، يهجم ، الجري ، الهجـــوم .
تافتن	تاب	« يثني ، يلوي، يشعل ، ينير

المصدر	المـــادة	المعنى
تاويدن	تاو	أن يثني، يغزل ، ينير ، يضيء
تپيدن	تپ	« يدق ، يرتجف ، يرتعد
تَرازيدن	تراز	« يطرز ، التطريز
تراشيدن	تراش	« يحلق ، ينحت ، النحت
ترسانيدن	ترسان	« يخيف ، الاخافة
ترسيدن	ترس	« يخاف ، الخوف
تركيدن	ترك	« يشق ، يمزق
تنيدن	تن	« ينسج ، يغزل
توانستن	توان	« يقدر ، القدرة

(ج)

جَستن	جه	أن يقفز ، يثب ، الوثوب
جُستن	جُو (ى)	« يبحث ، البحث
جنبانيدن	جنبان	« يحرك ، يهز ، التحريك
جنبيدن	جنب	« يتحرك ، يهتز ، التحرك
جهانيدن	جهان	« يجعله يثب ، يقفز
جهيدن	جه	« يثب ، يقفز
جوشاندن	جوشان	« يجعله يغلي ، الغليان
جوشانيدن	جوشان	« يجعله يغلي ، الغليان
جوشيدن	جوش	« يغلي ، الغليان

المصدر	المـــادة	المعنى
	(چ)	
چپسيدن	چپس	أن يلصق، اللصق ، الالتصاق
چريدن	چر	« يرعى العشب ، الارتعاء
چشيدن	چش	« يذوق ، الذوق
چكاندن	چكان	« يقطر ، يصب
چكيدن	چك	« يقطر ، يصب
چمانيدن	چمان	« يجعله يتبختر
چميدن	چم	« يتبختر في مشيته
چيدن	چين	« يقطف ، القطف ، الجمع
	(خ)	
خابيدن	خاب	أن يدوس ، الدوس
خاريدن	خار	« يحك ، الوخز
خاستن	خيز	« يقوم ، ينهض ، النهوض
خاييدن	خا (ى)	« يمضغ ، يمص
خراشيدن	خراش	« يمزق ، يخدش
خراميدن	خرام	« يتبختر ، يمشي مزهواً
خريدن	خر	« يشتري ، الشراء
خزيدن	خز	« يزحف ، يحبو
خسپيدن	خسب	« ينام ، يرقد ، ينعس

المصدر	المـــادة	المعنى
خستن	(غير مستعمل)	أن يجرح ، يمرض ، يعتل
خفتن	خفت . خواب	« ينام ، النوم
خفيدن	خف	« يختنق ، الاختناق
خليدن	خل	« يقرص ، يلذع ، يخز
خموشيدن	خموش	« يسكت ، يصمت ، الصمت
خميدن	خم	« يثني ، يطوي ، يتهكم ، يسخر
خنديدن	خند	« يضحك ، الضحك
خوابانيدن	خوابان	« ينوم ، التنويم
خوابيدن	خواب	« ينام ، يرقد ، النوم
خواستن	خواه	« يطلب ، يريد ، يرغب
خواندن	خوان	« يقرأ ، ينادي ، يسمي
خوردن	خور	« يأكل ، الأكل

(د)

دادن	ده	« يعطي ، الاعطاء
داشتن	دار	« يملك ، الملكية
دامانيدن	دامان	« يجعله يتنفس ، أن يُنفّس
دانستن	دان	« يعرف ، المعرفة ، العلم
دوختن	دوز	« يحيك ، يخيط ، الخياطة
درخشيدن	درخش	« يتلألأ ، يلمع

المصدر	المـــادة	المعنى
درفشانيدن	درفشان	أن يجعله يلمع أو يتلألأ
درفشيدن	درفش	« يلمع ، يتلألأ
دُرودَن	دِرَوْ . دُرُو	« يحصد ، الحصاد
دِرَويدن	دِرَو	« يحصد ، الحصاد
دريدن	در	« يمزق ، يفتق ، يقطع
دميدن	دم	« يتنفس ، التنفس
دنيدن	دن	« يمشي مرحاً ، أن يمرح
دواندن	دوان	« يجعله يجري ، أن يجري
دوانيدن	دوان	« يجعلة يجري ، أن يجري
دوختن	دوز	« يحيك ، أو يخيط ، يجمع
دوزيدن	دوز	« يخيط
دوشيدن	دوش	« أن يحلب
دويدن	دو	« يجري ، الجري
ديدن	بين	« يرى ، الرؤية

(ر)

راندن	ران	آن يسوق ، السوق
رُبودن	ربای	« يخطف ، الخطف
رزيدن	رز	« يصبغ ، الصباغة
رسانيدن	رسان	« يوصل ، الإيصال

المصدر	المـــادة	المعنى
رَسْتن	ره	أن يتخلص ، الخلاص
رُسْتن	رُو (ى)	« ينمو ، ينبت
رَسيدن	رس	« يصل ، الوصول
رِشْتن	ريس	« يغزل ، الغزل
رُشْتن	رَزْ	« يصبغ ، الصباغة
رَفتن	رو	« يذهب ، الذهاب
رُفتن	روب	« يكنس ، الكنس
رقصاندن	رقصان	« يجعله يرقص ، الترقيص
رقصيدن	رقص	« يرقص ، الرقص
ركيدن	رك	« يزجر
رميدن	رم	« يجفل ، يخاف
رنجانيدن	رنجان	« يتعب ، يؤذي ، الايذاء
رنجيدن	رنج	« يُتعب ، يغضب ، التعب
رهادن	ره	« يحرر ، يخلص ، التحرير
رهاندن	رهان	« يحرر ، يخلص، التحرير
رهانيدن	رهان	« يحرر ، يخلص
رهيدن	ره	« يتخلص ، يتحرر
روبيدن	روب	« يكنس ، الكنس
روفتن	روب	« يكنس ، الكنس
رويانيدن	رويان	« يجعله ينمو ، الانماء ، التنمية
روئيدن	روى	« ينمو ، النمو

المصدر	المـــادة	المعنى
ريختين	ريز	أن يصب ، الصب ، الانصباب
ريسيدن	ريس	« يغزل ، الغزل
ريشتن	ريس	« يغزل ، الغزل

(ز)

زادن	زاي	أن يلد ، الولادة
زايدن	زاي	« يلد ، الولادة
زائيدن	زاي	« يلد ، الولادة
زدن	زن	« يضرب ، الضرب
زِدودن	زِداي	« يصقل ، الصقل
زنودن	زناي	« يصهل ، الصهل
زيبيدن	زيب	« يليق ، اللياقة
زيستن	زي	« يعيش ، يحيى ، الحياة

(س)

ساختن	ساز	أن يجعل ، الجعل
سازيدن	ساز	« يحضر ، يجهز ، التحضير
سائيدن	ساي	« يحك ، يمسح
سِپَردن	سپار	« يطوي ، أن يسلك
سِپُردن	سِپار	« يودع ، الإيداع
ستادن	ستان	« يأخذ ، الأخذ

المصدر	المـــادة	المعنى
ستاندن	ستان	أن يأخذ ، الأخذ
ستانيدن	ستان	« يأخذ ، الأخذ
ستاييدن	ستاي	« يمدح ، المدح ، الثناء
ستودن	ستاي	« يمدح ، المدح
ستيزيدن	ستيز	« يحارب ، يعارك ، يخاصم
سراييدن	سراي	« يغني ، الغناء
سرشتن	سرش	« يخلق ، يعجن ، يخلط
سرودن	سراي	« يغني ، يترنم
سفتن	سنب	« ينظم الخرز (العقد)
سگاليدن	سگال	« يفكر ، يظن
سنجيدن	سنج	« يزن ، الوزن
سوختن	سوز	« يحرق ، يحترق ، الحريق
سودن	ساي	« يحك ، يمسح – يسحق
سوزاندن	سوزان	« يحرق ، يشعل ، الاحراق

(ش)

شاندن	شان	« يمشط الشعر
شايستن	شاي (فعل ناقص)	« يجوز ، يليق
شتافتن	شتاب	« يسرع ، يتعجل
شدن	شو	« يصير ، الصيرورة
شدياريدن	شدیار	« يحرث ، الحرث
شرميدن	شرم	« يخجل ، الخجل

المصدر	المـــادة	المعنى
شستن	شوى	أن يغسل ، الغسل
شكاريدن	شكار	« يصيد ، الصيد
شكافتن	شكاب	« يشق ، أن يكسر
شكافيدن	شكاف	« يشق ، يقطع
شكستن	شكن	« يكسر ، الكسر
شكفتن	شكاب	« يشق ، يقطع
شِكِفتن	(غير مستعمل)	« يعجب ، يتعجب
شِكُفتن	شكف	« يزدهر ، يتفتح
شكوفتن	شكوف	« يزدهر ، يتفتح
شكوفيدن	شكوف	« يزدهر ، يتفتح
شكيبيدن	شكيب	« يصبر
شِگفيتدن	شِگفت	« يتعجب
شِگفيدن	شِگوف	« يزدهر ، يتفتح
شگوفتن	شگوف	« يزدهر ، يتفتح
شمردن	شمار	« يعد ، يحصى ، يحسب
شناختن	شناس	« يعرف ، التعريف
شناسيدن	شناس	« يعرف ، التعرف
شناويدن	شناو	« يعوم ، يسبح
شنفتن	شنو	« يسمع ، السمع
شنوانيدن	شنوان	« يسمع ، الاسماع
شُنودن ـ شِنودن	شنو	« يسمع ، السمع
شُنيدن ـ شِنيدن	شِنو	« يسمع ، السمع
شويانيدن	شويان	« يجعله يغسل
شوييدن	شوي	« يغسل ، الغسل

المصدر	المـــادة	المعنى
	(غ)	
غرميدن	غرم	أن يزجر ، يزأر ، يرعد
غرنبيدن	غرنب	« يزجر ، يزأر ، يرعد
غرّيدن	غر	« يزجر ، يزأر ، يرعد
غلتانيدن	غلتان	« يجعله يتدحرج ، التدحرج
غلتيدن	غلت	« يتدحرج ، التدحرج
غلطيدن	غلط	« يتدحرج ، التدحرج
غُنُودن	غُنَو	« ينعس ، يرقد ، ينام
غنويدن	غنو	« ينعس ، يرقد
	(ف)	
فتادن	افت	« يقع ، يسقط ، الوقوع
فتاريدن	فتار	« يمزق ، ينزع ، التمزيق
فتاليدن	فتال	« ينزع ، يخلع ، الخلع
فراختن	فراز	« يرفع ، الرفع
فراشتن	فراز	« يرفع ، الرفع
فَرَاشيدن	فراش	« يرتعد ، يقشعر
فرستادن	فرست	« يرسل ، الارسال
فرمودن	فرما (ى)	« يأمر ، يتفضل ، الأمر
فِروختن	فروش	« يبيع ، البيع
فُروختن	فروز	« يشعل ، يضيء

المصدر	المـــادة	المعنى
فِروشيدن	فروش	أن يبيع ، البيع
فِريفتن	فِريب	« يخدع ، الخديعة
فُسُردن. فِسُردن	فِسَر	« يتجمد ، التجمد
فِشَاردن	فِشَار	« يعصر ، يضغط ، الضغط
فِشاندن	فشان	« ينثر ، النثر
فشردن	فشار	« يعصر ، يضغط ، الضغط
فِگندن	فِگن	« يقذف ، يرمي ، يطرح
فهميدن	فهم	« يفهم ، الفهم

(ك)

كاستن	كاه	أن يقلل ، يقل
كاشتن	كار	« يزرع ، يحرث
كافتن	كاو	« يشق ، يمزق
كاهِيدن	كاه	« يقلل ، يقل
كاويدن	كاو	« يشق ، يمزق
كردن	كن	« يعمل ، يصنع
كشادن	كشا (ى)	« يفتح ، الفتح
كِشتن	كار	« يزرع ، يحرث
كُشتن	كُش	« يقتل ، القتل
كِشودن	كِشا (ى)	« يفتح ، الفتح
كِشيدن	كِش	« يسحب ، يرسم
كَندن	كَن	« يحفر ، الحفر

المصدر	المـــادة	المعنى
كوبيدن	كوب	أن يدق ، الدق
كوشيدن	كوش	« يجتهد ، يسعى
كوفتن	كوب	« يدق ، الدق

(گ)

گاميدن	گام	أن يمشي ، يخطو
گـُداختن	گداز	« يذوب ، ينصهر
گدازيدن	گداز	« يذوب ، ينصهر
گذاردن	گذار	« يعبر ، يمضي
گذاشتن	گذار	« يترك
گذارندن	گذران	« يجعله يمر ، التمرير
گذارنيدن	گذران	« يجعله يمر ، التمرير
گذشتن	گذار ، گذر	« يمر ، يعبر ، يمضي
گردانيدن	گردان	« يحيل ، يصير
گرديدن	گرد	« يصير ، يدور
گرستن	گرى	« يبكي ، البكاء
گرفتن	گير	« يأخذ ، يمسك
گَرَويدن	گِرَو	« يتبع ، يطيع ، يقبل، يرهن
گريختن	گريز	« يهرب ، يفر
گزاردن	گزار	« يوفي ، أن يعبر ، يترك
گزاشتن	گزار	« يوفي ، أن يعبر ، يترك
گَزيدن	گز	« يعض
گُزيدن	گزين	« يختار ، ينتخب

المصدر	المـــادة	المعنى
گساردن	گسار	أن يترك – يشرب
گستردن	گستر	« يفرش ، يبسط
گسستن	گسل	« يقطع ، يمزق
گسليدن	گسل	« يقطع ، يمزق
گـُشادن	گـُشا(ى)	« يفتح ، الفتح
گـَشتن	گرد	« يدور ، يصير
گشودن	گشا(ى)	« يفتح ، الفتح
گفتن	گو(ى)	« يقول ، القول
گماشتن	گمار	« يُنفذ ، يوكل
گـُنجيدن	گـُنج	« يحتوي ، يشتمل
گندن	گن	« ينتن ، يفسد
گيراندن	گيران	« يجعله يمسك ، أو يأخذ
گيرانيدن	گيران	« يجعله يمسك أو يأخذ

(ل)

لاندن	لان	« يثير ، يحرك
لانيدن	لان	« يثير ، يحرك
لاييدن	لاي	« يتحدث ، يشكو
لرزانيدن	لرزان	« يجعله يرتعد
لرزيدن	لرز	« يرتعد ، يهتز
لغزانيدن	لغزان	« يجعله ينزلق
لغزيدن	لغز	« ينزلق

المصدر	المادة	المعنى
لنگيدن	لنگ	أن يعرج ، العرج
لوغيدن	لوغ	« يحلب

(م)

ماليدن	مال	أن يمسح ، يحك
ماندن	مان	« يبقى ، البقاء
مانستن	مان	« يشابه
مُردن	مير	« يموت ، الموت

(ن)

ناليدن	نال	أن يشكو ، يتنحب
ناميدن	نام	« يسمى ، التسمية
نبشتن	نويس	« يكتب ، الكتابة
نشاندن	نشان	« يرقم ، يغرس ، يجعله يجلس
نشستن	نشين	« يجلس ، الجلوس
نگاريدن	نگار	« يرقم ، ينقش
نگاشتن	نگار	« يرقم ، ينقش
نگرستن	نگر	« ينظر ، النظر
نگريدن	نگر	« ينظر ، النظر
نگريستن	نگر	« ينظر ، النظر
نُمودن ، نَمودن	نُما(ى) ، نَما(ى)	« يظهر ، الظهور

المصدر	المـــادة	المعنى
نِهادن	نِه	« يضع ، الوضع
نواختن	نواز	« يدلل ، يلاطف – الملاطفة
نوازيدن	نواز	« يدلل ، يلاطف – الملاطفة
نورديدن	نورد	« يطوي ، الطيّ
نوشتن	نويس	« يكتب ، الكتابة
نوشيدن	نوش	« يشرب ، الشرب

(هـ)

هشتن	هل	« يترك ، الترك
هليدن	هل	« يترك ، الترك

(و)

ورزيدن	ورز	« يمارس ، يواظب

(ي)

ياراستن	يار	أن يقدر ، يتمكن
يافتن	ياب	« يجـــد

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

معالم تاريخ الفرس القدماء وحضارتهم

التاريخ الفارسي القديم والحضارة الفارسية كان لهما أثرهما على تاريخ العرب والإسلام ، منذ اتصلت الثقافتان العربية والفارسية بعد الفتح العربي لايران . وازداد هذا الأثر عمقاً بقيام الدولة العباسية .

ولهذا ، فإن دارس الحضارة العربية والإسلامية يحتاج إلى شيء من الإلمام بتاريخ الفرس وحضارتهم .

وفي هذه الصفحات موجز يقدم للدارسين فكرة عامة عن هذا الموضوع .

جغرافية إيران

الهضبة الايرانية تشبه مثلثاً يقع بين منخفضين : أحدهما الخليج العربي وثانيهما بحر قزوين (الذي يعرف عند العرب ببحر الخزر) . ويقع الخليج العربي في جنوبها وبحر قزوين في شمالها .

ويحيط بهـــذه الهضبة ، سلاسل من الجبال ترتفع حولها ، ويذهب الجيولوجيون إلى أن هذه المنطقة عباره عن قاع بحر قديم جف ماؤه .

أما سلسلة الجبال الغربية ، فتعرف بجبال زاجروس ، وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ويبلغ طولها نحو ٦٢٠ميلاً وعرضها نحو ١٢٠ ميلاً. ويتراوح ارتفاع الجبال فيها بين ١٠٠٠ ، ١٨٠٠ متراً . وتقطع هذه الجبال أودية عديدة يتراوح طولها بين ٣٠ ، ٦٠ ميلا ؛ وعرضها بين ٦ ، ١٢ ميلا. وتغطي الأعشاب السفوح العليا لتلك الجبال ، أما السفوح السفلي فتظهر عليها بقايا من الغابات الكثيفة التي كانت تغطى هذه السفوح في وقت من الأوقات، وتنمو فيهـا أشجار الجوز والبلوط الدائم الخضرة واللوز البري والفستق . وفي أسفل هذه السفوح ، في الوديان العليا ، تنمو الأعناب والتين والرمان كما يزرع القمح بكثرة وكذلك الشعير والخشخاش والقطن والتبغ . وحين يشتد الحر في الوديان السفلى في فصل الصيف ، يصبح من المحتم نقل الأغنام والماعز والخيول إلى السفوح العليا حيث المراعي ولهذا نجد قسماً كبيراً من السكان يعيشون عيشة بداوة وارتحال في هجرة فصلية مـــا بين السفوح العليا والسفوح الدنيا .

أما الضلع الشمالي لهذا المثلث فتمثله جبال البرز وبها جبل دماونت أعلى جبالها، ويبلغ ارتفاعه أكثر من ٦٠٠٠ متر . والقسم الواقع بحذاء بحر قزوين من هذه الجبال يمثل حاجزاً مرتفعاً ضيقاً يفصل السهل الساحلي بخصوبته وخضرته عن الصحراء الداخلية . وتصل هذه الجبال من الناحية الغربيـة إلى أذربيجان الايرانية ، وهي الإقلـيم الذي تقع في وسطه بحيرة أرميا . وهذه المنطقة أكثر مناطق إيران ازدحاماً بالسكان ، ويزرع بها كثير من الحاصلات الزراعية من أهمها القمح والأرز والقطن والتبغ ويمكن اختراق أذربيجان من الشمال الغربي ومن الشمال ومن الشمال الشرقي،ومن ثم كانت من أسهل مناطق إيران اختراقاً ، فهي احدى الثغرات في الدرع الجبلي لإيران . وقد دخلها خلال عصور التاريخ الميديون والفرس والكرد والمغول والتتار والـتـرك . واستقروا في أوديتها حول البحيرة . وفي هذا الاقليم ظهرت الاسر الحاكمة للميديين والفرس ، وكانت الامبراطورية الفارسية في عصور قوتها تحرس هذا المدخل إلى إيران باقامة تحصينات من الأسوار تقف في وجه الغزاة الذين كانوا يتدفقون عبر القوقاز من الاستبس الروسي ، ولا تزال بقايا هذه التحصينات قائمة إلى اليوم . وقد أدى اختلاط السلالات وتطرف المناخ الصحي والتربة الخصبة إلى تكوين عنصر بشري نشط كان له فضل كبير على تطور هذا الاقليم الإيراني القديم .

وتمتد جبال البرز إلى الشرق مكونة جبال خراسان ، وهي ليست جبالا عظيمة الارتفاع ، فمن المستطاع عبورها بسهولة ، وتشتمل على أودية وافرة الخصوبة ينمو فيها القمح والشعير والارز والقطن والكروم والخشخاش . وتمثل هذه المنطقة الثغرة الثانية التي يمكن النفاذ إلى الهضبة الإيرانية من خلالها . وقد مرت عبرها موجات كثيرة من الغزاة جاؤوا من سهول آسيا الوسطى التي تمتد آلاف الأميال إلى الشمال والغرب والشرق . فخراسان مثل أذربيجان معبر للسلالات البشرية ، وكثيراً ما أغار عليها التركمان حتى آخر القرن التاسع عشر ويعتبر وادي أترك Atrek وسهول جرجان التي تقع بين

بحر قزوين وجبال البرز واحات طبيعية في طريق الهجرة إلى إيران. وقد حصن ملوك الدولة الساسانية هذه المناطق بأسوار حجرية لا تزال بقاياها تُرى حتى اليوم . وقد كان إقليم خراسان ، ذلك الاقليم الشمالي الشرقي من إيران ، مهداً لأسر حكمت إيران وهي الاشكانيون والصفويون والقاجاريون. وقد عرفنا كم كان لهذا الاقليم من أثر في تطور الدولة الإسلامية ، فان الخراسانيين كانوا أهم عنصر من عناصر الدولة الاسلامية عمل على قلب الدولة الأموية وإقامة دولة بني العباس .

أما الضلع الثالث من الجبال التي تحيط بالهضبة الإيرانية فهو سلسلة جبال مُكران ، ويخترقها ممران يؤدي أحدهما إلى بندر عباس ، وكان في وقت من الأوقات ميناء مزدهراً على خليج عمان . أما الممر الثاني فيتجه شرقاً إلى بلوخستان وكويتا Quetta .

أما القسم الأوسط من الهضبة فهو منخفض عظيم تميز باقفاره . وتمر به سلسلتان داخليتان من الجبال . وينقسم هذا المنخفض إلى قسمين : صحراء كفير في الشمال وصحراء لوط في الجنوب . فأما صحراء كفير فهي سلسلة من السبخات لا ينمو بها شيء ولا أثر للحياة فيها . وقد تكون الحياة ممكنة في بعض المنخفضات التي تقل بها ملوحة التربة ، وقد توجد بعض الواحات . أما صحراء لوط فليست إلا حوضاً جافاً وقد قال عنها الكشافون الذين كانت لديهم الشجاعة الكافية لاختراقها أن صحراوات آسيا الوسطى من أمثال صحراء جوبي تبدو خصبة إذا قورنت بصحراء لوط .

فالحيـاة في الهضبة الإيرانية لا تتيسر إلا في الوديان التي تشتمل عليها سلاسل الجبال أو في الواحات . ولكنها ازدهرت أيضاً في السهول التي تقع خارج سلاسل الجبال أو على حافاتها الداخلية . وأهم هـذه السهول سهل خوزستان الذي يقع في الجنوب الغربي (وكان يطلق عليه قديماً سوزيانا) ، وهذا السهل من الناحية الجغرافية امتداد لسهل العراق . وقد كان هذا

السهل خلال العصور مأهولاً بسكان متمدنين أثروا في البدو الذين كانوا يسكنون التلال المجاورة . ولما امتدت حدود الامبراطورية الايرانية غرب جبال زاجروس ازدهرت الحضارة في هذا السهل من جديد. وكانت مدينة سوسا عاصمة سوزيانا القديمة ، واصبحت عاصمه للامبراطورية . وقد ساعدها على بلوغ هذه المكانة موقعها الجغرافي الذي يسهل الاتصال منه بمدن العراق وآسيا الصغرى .

وهناك سهل خارجي آخر سبق أن أشرنا اليه وهو الواقع بين بحر قزوين وجبال البرز . وتجتذب الجبال العالية هناك سحباً تؤدي الى سقوط مقدار كبير من الأمطار على ذلك السهل الساحلي الضيق الذي يمتاز بفرط خصوبته . ويمثل هذا السهل المنطقة الحارة من إيران ، وتغطيه الغابات والمستنقعات والأحراش . وينمو هناك الأرز والقطن والشاي والتبغ وقصب السكر والبرتقال والليمون والتوت والتين والرمان ، وفيه يتم انتاج الغذاء لثلث سكان إيران .

ولكن هذه السهول الخارجية لعبت دوراً ثانوياً في تطور الحضارة الايرانية . فقد ظهرت تلك الحضارة في الواحات المتناثرة بين سلاسل الجبال التي تحيط بالهضبة الايرانية وتتمتع بقسط وافر من المطر .

ووسط الهضبة منطقة صحراوية الا في بقاع طينية التربة ، فمثل هذه المناطق وافرة الخصوبة ويمكن زراعتها بالري الصناعي . وعلى الرغم من مناخها القاسي الذي يمتاز بشدة الحرارة في الصيف وشدة البرودة في الشتاء فان الأرض تغل حاصلات وافرة اذا استطاع الانسان نقل الماء اليها . وقد شاع في إيران الري الصناعي منذ وقت بعيد . ففي ايام الاكمينيين كانت هناك سلسلة من القنوات تنقل الماء تحت الأرض . ويعمل اليوم آلاف من الرجال طول العام في حفر القنوات أو تطهيرها لنقل الماء الى الأماكن التي يمكن ان يستخدم فيها . وقد ينقل الماء المتجمع في أسفل جبل مسافة تبلغ ثلاثين ميلا لري بقعة من الأرض. ومن هذا الماء وكذلك من الأمطار الغزيرة التي تتساقط

في جبال البرز وزاجروس أصبحت الحافة الداخلية لتلك الجبال وقد رصعت بواحات كثيرة . وقد كانت عواصم إيران منذ ظهرت فيها مملكة ميديا الأولى تقع في مواجهة الصحراء على الطرق الرئيسية التي تمتد إزاء الحافة الداخلية لسلسلتي جبال زاجروس والبرز ، فمن الغرب الى الشرق تقع على طريق التجارة الممتدة بازاء جبال البرز مدينة إكباتنا (همدان) وقزوين وطهران والري ودامغان وهراة . أما الطريق الجنوبي فتقع عليه اصفهان والري واصطخر وبيرسيبوليس Persepolis وشيراز . وقد أثبتت الحفريات الجيولوجية ان هذا التجمع السكاني له أصل في عصور ما قبل التاريخ ، فان رجل إيران في العصر الحجري سكن هذه الأماكن عندما نزل من الجبال ، وقد كشفت مواقع كانت مسكونة في العصر الحجري عند كاشان وقم والري ودامغان .

وعلى الرغم من ان إيران دولة تعتمد أكبر الاعتماد على الزراعة والرعي فهي دولة غنية بمواردها المعدنية ، وقد بدأ الاهتمام بهذه الثروة المعدنية في العصور الحديثة .

هذه الدولة التي تحيط بها الجبال الشاهقة من كل جانب لم تكن منعزلة عن العالم الخارجي في عصر من العصور ، إذ يمكن النفاذ اليها من جميع الجهات : من سهول العراق ومن روسيا والهند والخليج العربي . وكان لوقوعها بين آسيا الوسطى والبحر المتوسط وأوروبا أثره في أن ظلت على مدى العصور معبراً لطرق التجارة . وكان يمر بها طريق الحرير أقدم طرق التجارة . غير أن هذه الممرات التي تتخلل سلاسل الجبال المحيطة بها لم تكن في صالحها في جميع الأحوال ، بل كانت طرقاً للغزوات المتكررة طوال عصور ضعفها ، على الرغم من تلك الجبال الشاهقة التي تحيط بها .

تاريخ أيران القديم

أول دولة توحد إيران تحت حكمها هي الدولة الاكمينية . وقد امتد حكمها من ٥٥٠ – ٣٣٠ ق . م وقبل ظهور هذه الدولة كانت في الإقليم

الغربي من إيران دولة قوية هي دولة الميديين ، وهي دولة آرية خضع لحكمها الفرس ، وهم أيضاً من الجنس الآري . كان الفرس في القرن السابع قبل الميلاد يسكنون المنطقة التي تقع في الطرف الجنوبي لجبال زاجروس وشمال الخليج العربي وشرقه مباشرة . كانوا يسكنون الوديان التي تقع بين الجبال ويحيون حياة مستقرة قائمة على الزراعة . وقد قبلوا أن يكونوا تحت ولاية أبناء عمومتهم الميديين الذين كانوا يسيطرون على البلاد الواقعة في شمالهم الغربي ، ثم جاء الوقت الذي نظمت أمورها فيه إحدى القبائل الفارسية التي كانت تقطن جبال عيلام، وأصبحت مملكة صغيرة اسمها أنشان . وفي نحو عام ٥٥٢ ق.م كان يحكم أنشان ملك فارسي يدعى قورش استطاع أن يوحد القبائل الفارسية تحت حكمه فجعل منهم أمة واحدة ، وثار على الملك الميدي ، واستطاع أن يهزمه بعد ثلاث سنوات ، وبهذا جعل نفسه سيدا لايران كلها . يعتبر قورش هذا مؤسساً للدولة الاكمينية وأول ملك يوحد إيران تحت حكمه ثم ينشىء في فترة قصيرة الامبراطورية الفارسية .

وقد فهم الاكمينيون معنى الدولة وحققوها .

وقد كانت هذه الامبراطورية تختلف في طابعها عن نظريتها في العالم القديم ، الامبراطورية الرومانية . فقد كانت الامبراطورية الرومانية (وهي التي ظهرت بعد ذلك بعدة قرون)تحاول أن تطبع الشعوب المفتوحة بطابعها. ولكن الامبراطورية الفارسية ضمت تحت سلطانها خليطاً من حضارات العالم القديم ، فقد اجتمع تحت حكم ملوك الفرس العراق وسوريا ومصر وآسيا الصغرى ومدن اليونان وجزائرها ثم قسم من الهند . ولم يحاول ملوك الامبراطورية الفارسية أن يطبعوا كل هؤلاء الناس بطابع واحد وإنما أقروا النظم القائمة في تلك البلاد وحافظوا على مظاهر مدنيتها .

كانت حيوية قورش مؤسس هذه الدولة من الأدوار التي لفتت أنظار العالم إذ ذاك، فقد ظهر خطره للدول العظمى في ذلك الوقت، فعقدت بابل (كلديا)،

ومصر ، وليديا ، (تحت حكم الملك كروسس Kroesus في غرب آسيا الصغرى) حلفا بينها وشمل هذا الحلف اسبرطة في بلاد الإغريق . ولكن قورش استطاع أن يهزم هذا الحلف ، إذ انقض على كروسس ملك ليديا وصاحب فكرة انشاء الحلف فانتصر عليه في مواقع متعددة،وسقطت ساردس Sardis عاصمة ليديا عام ٥٤٦ ق .م ووقع كروسس أسيراً في يدي قورش. وقد استعان قورش في حربه مع كروسس بالجمال ففزعت خيول ليديا حينما رأت تلك الحيوانات لأول مرة ، واحجمت عن التقدم وولى قورش حاكما فارسياً ، على ليديا ثم بدأ بمهاجمة المدن الاغريقية الغنية التي كانت واقعة على الساحل، ودعاها إلى التسليم، فرفض اليونانيون .حينذاك تقدم قورش نحوها وغزاها واحدة واحدة إلا مدينة ميليتوس(ملطية)التي سلمت له بدون حرب. وقد قسم قورش المدن اليونانية إلى ولايتين ، الولاية الأيونية وألحقت بساردس عاصمة ليديا ثم ولاية البحر الأسود وكانت تسمى الولاية البحرية. وقد ظلت هذه المدن اليونانية محور السياسة في عصر الأكمينيين،كما انها أدت في آخر الأمر الى حملة الاسكندر التي قضت على الدولة الاكمينية . وقد تمسك الأكمينيون بهذه المدن اليونانية التي أثرت من التجارة ، لما كان في استقلالها من إظهار دولة كبيرة كالدولة الاكمينية بمظهر الضعف الذي يسمح بقيام مثل هذه المدن الصغيرة المستقلة ، وكذلك لما كان لهذه المدن من قيمة عسكرية، ولحرص الأكمينيين على الاستعانة بسكان هذه المدن الأشداء في حروبهم ، والاستفادة من تقدمهم الفني الصناعي وقد كان لهذه المدن بالفعل شأن كبير في تطور تجارة الامبراطورية. وقد تخلص الفرس باستيلائهم على تلك المدن ممن لو تركوهم لكانوا منافساً لهم في التجارة ، وساعدهم على التخلص منها انقسام المدن اليونانية فيما بينها وتفضيل بعض سكان تلك المدن الدخول ضمن نطاق الامبراطورية الفارسية لما ارتأوه من أن هذا يزيد في ازدهار تجارتهم، ويوسع مصادر أرباحهم . ولما انتهى قورش من اخضاع آسيا الصغرى عاد الى الشرق فاستولى على بقية أقاليم إيران وعبر نهر جيحون ووصل الى نهر سيحون الذي أصبح الحد الشمالي

الشرقي لامبراطوريته ، وهناك بنى المدن المحصنة للدفاع عن هذه المنطقة ضد هجمات البدو من سكان آسيا الوسطى .

ولما رجع من آسيا الوسطى عاد لمهاجمة الأقاليم الواقعة غرب امبراطوريته فهاجم بابل التي سقطت أمام هجماته ولم تغنها حصونها الضخمة . وكان اليهود إذ ذاك منفيين في بابل بعد أن دمر الملك البابلي بختنصر بيت المقدس وقادهم أسرى الى بابل . وقد أسر قورش ملك بابل ولكنه أحسن معاملته وكانت تلك عادته مع الملوك الأسرى . ولما مات ملك بابل في العام التالي لسقوط عاصمته (٥٣٨ ق . م) أعلن الحداد عليه في أنحاء الامبراطورية الفارسية ، واشترك قورش نفسه في هذا الحداد .

وقد قدم قورش نفسه للبابليين على أنه محرر لا فاتح وأنه الوارث الشرعي لعرش بابل ولتأكيد هذا الأمر سمى نفسه ملك بابل ، وعظم إله البابليين . وكان انتصاره على بابل بالطبع انتصاراً على ممتلكاتها الأخرى وبخاصة سوريا فجاءه ملوك فينيقيا يعلنون ولاءهم ويضعون سفنهم تحت تصرفه ، وكان لهم أسطول يناظر أسطول المدن اليونانية مجتمعة . وفي أول عام لحكمه في بابل أصدر أمراً بالسماح لليهود بالعودة الى بيت المقدس وإعادة بناء معبدهم فيها، كما أعاد اليهم الأواني الذهبية والفضية التي كان البابليون قد غنموها منهم ، فخرج أربعون ألفاً من اليهود من بابل الى بيت المقدس، ولهذا يطلق اليهود في التاريخ على قورش لقب «الراعي الصالح». وكانت سياسته هذه، الى جانب ما قد يكون فيها من اتجاه انساني ، سياسة بعيدة النظر تهدف الى تمهيد الطريق لغزو مصر . فليس من شك في انه كان ينظر الى فلسطين على أنها مرحلة من أهم مراحل الطريق للوصول الى مصر .

وقامت حوادث في شرق الامبراطورية اضطرت قورش الى أن يعود لمحاربة البدو، فاتجه الى الشرق بعد أن وضع ابنه قمبيز على رأس حملة لمهاجمة مصر . وقد قتل قورش في الحرب . وحمل رفاته الى بازارجاده حيث اتخذ

عاصمته وأسس قصره. وكانت وفاته في عام٥٣٠ أو ٥٢٩ ق.م وبهذا نرى ان هذا الفاتح العظيم لم يمت إلا وقد اصبح غرب آسيا بأسره في قبضته. وفي عام ٥٢٥ أي بعد أربع سنوات من وفاة قورش غزا قمبيز أرض مصر ، فانتصر بذلك على آخر دولة قوية،وأصبحت حدود الأمبراطورية الفارسية تضم الشرق المتحضر كله من دلتا النيل جنوبا إلى البحر الإيجي شمالا ، متضمنة بلاد شرق البحر المتوسط ممتدة صوب الشرق إلى الهند وكل هذا لم يستغرق سوى خمسة وعشرين عاماً بعد هزيمة الملك الميدي .

قمبيز

كان أكبر عمل قام به قمبيز هو فتح مصر . وبينما كان في مصر يثبت حكمه فيها سمع أخبارا مقلقة عن الحال في ايران، فقرر العودة. وفي الطريق إلى بلاده تحقق ما سمعه من الأخبار وأصبح من المؤكد ان جاوماتا المجوسي الذي يسمى أيضاً برديا الكاذب[1] نادى بنفسه ملكا وريثا للعرش بعد قورش. وقد قبلت اكثر اجزاء الامبراطورية هذا الرجل امبراطورا عليها،وبخاصة بعد أن حبب نفسه اليهم بأن رفع عنهم الضرائب لمدة ثلاثة اعوام،وحاول ان يقوم باصلاحات دينية توافقهم . وقد أحرز هذا الرجل نجاحا سريعاً . وفي ذلك الوقت مات قمبيز متأثراً بجراح احدثها بنفسه.وليس من المعروف ان كان اقدم على الانتحار أو أنه جرح نفسه بعد فقد وعيه أثناء حالة من الحالات الصرع التي كانت تنتابه .

وقد بقى الجيش الذي كان يقوده قمبيز مواليا للأكمينيين، وسرعان ما نجح دارا في تولى قيادته.ودارا هذا الذي يعرف بدارا الأكبر يُعد من أعظم ملوك التاريخ فقد ظهرت كفاءته منذ البداية، إذ استطاع القبض على الثائر جاوماتا

---

(١) سبب تسميته برديا انه كان قريب الشبه بأخ لقمبيز كان يحمل الاسم نفسه ، وقد قتله قمبيز قبل خروجه لغزو مصر .

وإعدامه بعد شهرين من موت قمبيز . ولكن القضاء على جاوماتا لم يعدالنظام والاستقرار إلى سائر أنحاء الامبراطورية، فظل دارا مشغولا طيلة عامين بالقضاء على الثورات التي اضطرمت في كل مكان.ولما تم له القضاء عليها التفت إلى تنظيم الامبراطورية من جديد وتثبيت ملكه فيها،ثم امتدت فتوحاتهشرقا وغربا فوصلت في الشرق إلى قندهار وبيشاور وفي الغرب حاول غزو جنوب روسيا واليونان ففشل في غزوه لجنوب روسيا بسبب سوء الأحوال الجوية، وكذلك لم يستطع إحراز نصر حاسم على اليونانيين . وأخيراً نجح أهل أثينا في الانتصار عليه في موقعه ماراثون،وهي احدى المواقع الفاصلة في التاريخ كله.وتعد موقعة ماراثون أهم فشل صادفه دارا، ولكنه على كل حال لا يعني أن الامبراطورية الفارسية قد ضعفت،فهي كانت في ذلك الوقت في أوجقوتها، والجيش الذي هزم في ماراثون جيش صغير لا يقاس إلى ما كانت تستطيع الامبراطورية ان تجنده في ذلك الوقت . وقد شجعت هزيمة ماراثون مصرعلى الثورة،فقامت بها ثورة كبيرة شغلت دارا عن الانتقام لهزيمتهفيماراثون،ولكنه مات قبل ان ينفذ هذا الانتقام،وكذلك قبل ان يرى نهاية الثورة المصرية .

وسأترك الآن سرد حوادث التاريخ للتحدثعن مظاهر الحضارة الايرانية أيام ازدهار الدولة الاكمينية .

الادارة :

تبين لدارا أن السياسة التي سار عليها قورش مؤسس الامبراطورية في إدارته لم تكن سياسة مجدية . فقد آثر قورش أن يترك الشعوب المغلوبة تحكم نفسها . ولكن هذه الثورات التي اشتعلت في أنحاء الامبراطورية بعد موت قورش بمدة قليلة أقنعت دارا بأنه ليس من المستطاع ضمان ولاء الحكام غير الفرس،وأن الفرس وحدهم هم الذين يمكن الاعتماد عليهم والركون إلى ولائهم، فلا بد أن يولوا الحكم،وأن يعهد إليهم بإدارة شؤونالامبراطورية،فكانالفرس

وحدهم يحصلون على الأراضي الواسعة، ويعفون من دفع الضرائب، ثم كانوا بعد ذلك الجنس الوحيد الذي يعهد اليه بادارة الامبراطورية إلا في أحوال قليلة. وتذكرنا سيادة العنصر الفارسي في صدر الدولة الاكمينية بسيادة العنصر العربي أيام الدولة الأموية.

ولكن سياسة اختيار الحكام من بين الفرس لم تتسم بالقمع واستخدام العنف. فقد كان الفرس أقلية إذا قورنوا بالشعوب التي تغلبوا عليها. وإنما سلك دارا سياسة إدارية حكيمة. فترك كل شعب من الشعوب المغلوبة يحتفظ بلغته وطابعه وعاداته ودينه، وأن ينتفع بكل المزايا التي يمكن أن توفرها له الدولة الكبرى التي أصبح جزءاً منها.

ولتحقيق ذلك أخذ دارا في ادارة امبراطوريته بنظام الولايات. ومن المحقق ان قورش وقمبيز من بعده قد أنشآ بعض الولايات التي يليها حاكم فارسي ينوب عن الملك، ولكن دارا جعل هذا النظام أساس حكم الامبراطورية، وقسم أملاكه إلى ولايات كما أحكم نظام الحكم في تلك الولايات، فجعل على رأس كل ولاية والياً وإلى جانب الوالي قائداً للفيلق العسكري المقيم في الولاية وكان مسؤولاً أمام الملك مباشرة شأنه شأن الوالي. وإلى جانب هذين المنصبين خلق منصباً ثالثاً يشغله جابي الضرائب. وحددت الضرائب التي تجبى من كل ولاية بأمر ملكي وفقاً لموارد الولاية. وكانت الضرائب تدفع بالمعادن الثمينة وكذلك كانت هناك ضرائب نوعية منها الخيل والماشية والمواد الغذائية. وكانت هذه الضرائب التي تجبى تصرف على بلاط الملك الذي كان يضم آلاف الأشخاص، وكذلك تستخدم في الإنفاق على الجيوش. وقد كانت ولاية بابل وحدها تطعم جيوش الفرس مدة ثلث العام. وإلى جانب الوالي كان هناك مراقب يراقب أعماله ويقوم حلقة اتصال بينه وبين الحكومة المركزية. ولم تقف رقابة الملك عند هذا الحد بل كان هناك مفتشون يعرفون بآذان الملك. وكان لهؤلاء سلطة مستقلة، كما كانت تتبعهم قوات مسلحة. وكان هؤلاء الآذان أو العيون بعبارة

أخرى يتنقلون في أنحاء الامبراطورية ويزورون الولاة زيارات مفاجئة ويطلعون على إدارتهم للأمور .

كان دارا يهدف بنظامه هذا الى أن يقيم دولة متحدة الأجزاء تشرف عليها حكومة مركزية. لقد ربطت الانتصارات العسكرية التي أحرزها قورش بين شعوب مختلفة وأراض متباعدة ولكنها لم تنشىء فيها دولة موحدة بل في كثير من الأحيان ترك للشعوب المحكومة استقلالها الداخلي ، فأراد دارا أن يدخل الوحدة على تلك الدولة . ولكن النجاح الذي أحرزه دارا في ذلك السبيل لم يتعدّ الناحية الشكلية . وهنا يظهر لنا الفرق واضحاً بين عمل الامبراطورية الفارسية وعمل الامبراطورية الاسلامية بعد ذلك بستة قرون . فبينما لم ينجح الفرس في انشاء امبراطورية موحدة الثقافة واللغة نجح العرب في ذلك وتركوا للتاريخ أخبار الامبراطورية الاسلامية المتحدة وللواقع آثارها اللغوية والثقافية التي لا تزال قائمة حتى اليوم .

وقد اهتم دارا ببناء الطرق، وذلك ليوثق الصلة بين عواصم الامبراطورية ومراكزها المختلفة،فأنشأ شبكة من الطرق ظلت قائمة زمناً طويلاً بعد سقوط الامبراطورية،وقد كان اهتمام الاكمينيين عظيماً بهذه الطرق بوصفها احدى الضرورات الادارية. وقد ساعدت هذه الطرق على ازدهار التجارة ، وزيادة تداول البضائع بين أنحاء الامبراطورية ؛ وقد كشف علماء الآثار عن الطريق الذي كان يربط سوسا بافسوس في آسيا الصغرى،وقد كان من الطرق الرئيسية ويبلغ طوله ١٦٧٧ ميلاً،وكان مقسماً إلى مائة واحدى عشرة محطة بريدية، بكل منها خيول تتولى نقل أتباع الملك على طول الطريق. ويروي المؤرخون القدماء أن قوافل التجارة كانت تقطع هذا الطريق في تسعين يوماً ولكن قوافل الملك كانت تقطعه في اسبوع . وكان هناك طريق يصل صر بابل ثم إيران فأفغانستان ثم غرب الهند . وإلى جانب الطرق الرئيسية كانت هناك طرق فرعية وكان بعض هذه الطرق مرصوفاً،فنحن لا نزال نرى بقايا منها مرصوفة بالحجارة .

ولقد كان دارا ملكاً ذا كفاءة عظيمة من الناحية الادارية، وكذلك من الناحية العسكرية. وكان الاسكندر الاكبر عظيم الاعجاب بقورش وبه. وحينما غزا إيران زار قبري هذين الملكين اللذين أسسا الامبراطورية الفارسية . وقد رأى كتابات منقوشة على قبر دارا. ويروي سترابون انها ترجمت بناء على رغبة الاسكندر فكان معناها : « لقد كنت صديقاً لأصدقائي ، وقد تفوقت على غيري في ركوب الخيل والرمي بالنشاب ، كما أجدت الصيد ، واستطعت أن أعمل كل شيء » . وأهم شيء في هذه العبارة هو قوله : لقد كنت صديقاً لأصدقائي ؛ فالمعروف عن دارا انه على الرغم من انه قهر ملوكاً كثيرين فانه كان يحترم الشعوب المغلوبة ويعاملها معاملة الأصدقاء، ولم يكن في مجاملته ضعيفاً فقد أطاعه جميع من في امبراطوريته، وكانت إرادته هي العليا. ولما لم يكن من المستطاع أن تقوم دولة عظيمة كالدولة الاكمينية بدون قانون مكتوب فقد قام دارا بوضع القوانين. وفي آثاره المتعددة التي تركها في بيستون وبيرسيبوليس وسوسا ونقش رستم وجد العلماء تشابهاً كبيراً بين بعض ما نقش على هذه الآثار وبين قانون حمورابي . وكانت هذه القوانين تكتب على الاحجار أو الالواح أو البردى وترسل إلى أنحاء الامبراطورية . وقد وجد لوح في سوسا ويشتمل هذا اللوح على مضمون النقوش التي أمر دارا بنقشها على قبره عند نقش رستم ، وفيه يقول :

١ – « إن أهورا مزدا اله عظيم خلق هذه الأرض ، وخلق من فوقها السماء ، وخلق الانسان وخلق له السعادة ، وجعل دارا ملكاً، ملكاً واحداً للكثيرين، وسيداً واحداً للكثيرين .

٢ – أنا دارا الملك العظيم ، ملك الملوك ، ملك الممالك التي تشتمل على كل أصناف البشر ، ملك هذه الأرض الطويلة العريضة ، وابن هشتاسب ، أكميني ، فارسي ، ابن فارسي ؛ آري ، من سلالة آرية .

٣ – يقول دارا الملك : هذه هي البلاد التي ملكتها خارج فارس ،

وحكمتها، وقد حمل إلي أهلها الجزية،ونفذوا كل ما قلت لهم وعملوا بقانوني الذي منحهم الاستقرار (يلي ذلك تعداد الممالك) .

٤ – يقول دارا الملك : لقد أصلحت كثيراً من الشرور . لقد كانت الاقاليم مضطربة،وكان الرجل يطعن أخاه،وقد استطعت أن أنفذ ما يلي بفضل أهورامزدا : ألا يطعن المرء انساناً آخر ، وأن يبقى كل في مكانه . وقد خاف الناس قوانيني،فلم يعد القوي يطعن الضعيف أو يقضي عليه .

٥ – يقول دارا الملك : بفضل أهورامزدا أعدت كثيراً من المصنوعات التي نقلت من مواضعها الى أماكنها الأصلية (يعني أعاد المنهوبات) . وقد سقط حائط مدينة.. لقدمه ولم يصلح من قبل فبنيت لها حائطاً سوف يحميها الآن وفي المستقبل .

٦ – يقول دارا الملك : فليحفظني أهورامزدا والآلهة ، وليحفظوا بيتي الملكي ، وكل ما نقش بأمري .

وقد اهتم دارا اهتماماً عظيماً بالقضاء وظلت قوانينه تطبق الى ما بعد انتهاء عهد الامبراطورية بزمن طويل . ويروي المؤرخ اليوناني هيرودوت أن قضاة الفرس كانوا يلون مناصبهم مدى الحياة إلا اذا صدر منهم خطأ في تطبيق العدالة . وكان هؤلاء القضاة يفصلون في القضايا،ويفسرون قوانين الدولة ويلجأ اليهم في كل المنازعات . ولكن بعض الشعوب المغلوبة حافظت على قوانينها الى جانب قوانين دارا كما حدث في بابل . وقد أكثر دارا من تأكيد أهمية الصدق والعدالة، وسجل الكثير من ذلك في نقوشه التي تخلفت عن عصره، كما أن فكرة القومية واضحة فيما تخلف من تلك النقوش بصورة لم تكن معروفة من قبل في ممالك الشرق القديم .

« يقول دارا الملك : فليساعدني أهورا مزدا وآلهة البيت الملكي،وليحفظ أهورا مزدا هذه البلاد من جيوش الأعداء ومن الجوع ومن الكذب. لا أصاب

الله هذه البلاد بجيش ولا بجوع ولا بالكذب . واني لألتمس هذا نعمة من أهورا مزدا ونعمة من آلهة البيت الملكي . فلعل أهورا مزدا والآلهة ينعمون علي بها » .

ولكن هذا الشعور القومي الفياض الذي تجلى في نقوش دارا لم ينف اهتمام الاكمينيين بالشعوب التي كانت واقعة تحت حكمهم . والظاهر ان اتجاه دارا القومي أثر في نفس الفرس وتشبعت به أرواحهم. وقد لاحظ هذا هيرودوت المؤرخ اليوناني الذي يؤكد انه لم يوجد فارسي يلتمس الخير من الله لنفسه وإنما هو يلتمسه للملك وللشعب الفارسي كله، وهو بالضرورة فرد من هذا الشعب.

وقد كانت مدة حكم دارا من ٥٢٢ — ٤٨٦ ق.م.

الحياة الاقتصادية والاجتماعية :

إن توحيد غرب آسيا تحت حكم التاج الأكميني ، وتقسيم هذه الأراضي الواسعة الى ولايات تدار تحت إشراف الحكومة المركزية ، وخلق طرق برية وبحرية تصل أنحاء الامبراطورية ، ووضع نظام محكم لجباية الضرائب ، ثم انصباب الذهب في خزائن الحكومة ، كل أولئك كانت عوامل دفعت الاقتصاد الايراني إلى الامام دفعة لم يسبق لها مثيل . وقد أدى العمل بالمكاييل والموازين المحددة، واستخدام النقود الى تنشيط التجارة الخارجية .

لقد بدأ ظهور العملة الفضية الصغيرة في القرن السابع قبل الميلاد، ولكن لم يوجد نظام نقدي يقوم على معادن متعددة من الذهب والفضة الا في عهد كروسس ملك ليديا . وقد انتشر هذا النظام من ليديا الى بقية أنحاء آسيا الصغرى . واقتبسه دارا فيما بعد .

وقد وجدت ألواح في برسيبوليس يشتمل بعضها على قوائم بأجور العمال الذين كانوا يعملون في إنشاء القصر الملكي هناك ، وهذه القوائم تعطي صورة حية لفترة الانتقال التي أعقبت إدخال العملة في ايران . فقد كانت الأجور

تدفع من قبل بالبضائع من لحم وشعير وقمح ونبيذ وغير ذلك. وفي وقت إكزرسيس خليفة دارا كانت الأجور يدفع ثلثاها بالبضائع والثلث بالنقد، ولكن في أواخر عهد هذا الملك أصبح ثلث الأجور فقط يدفع بالبضائع . وبهذا يكون استخدام النقد بدلاً من البضائع في المعاملات قد استغرق إتمامه نحو نصف قرن . ولكن كانت هناك بعض معاملات نقدية صرفة منذ بدء إدخال نظام النقد .

وقد تم القيام بكثير من الأعمال العامة التي تزيد الإنتاج . وكان من أهم أعمال ملوك الاكمينيين حفر القنوات في باطن الارض، وكان لهذه القنوات قيمة حيوية للهضبة الايرانية ، كما تم حفر قنوات في البقاع التي تخلو من الماء مثل صحراء سوريا وبعض أقاليم آسيا الوسطى . كما يبدو محققاً أن الفرس قاموا بتجفيف المستنقعات اذ ان هذا كان معروفاً لليونان في ذلك الوقت. وتحسنت الزراعة نتيجة لتلك الحروب التي قامت بين ايران وغيرها من الدول فتم تبادل النباتات بين الأقاليم ، وكان دارا يهتم بهذا الأمر . وقد وصلنا خطاب كتبه الى أحد عماله يشكره فيه على نقل أشجار الفاكهة من غرب الفرات وآسيا الصغرى وزراعتها في ايران . ولم يكن المقصود بهذا نفع ايران وحدها ولكن نفع الشعوب الأخرى في الدولة . فقد عرفنا ان الاكمينيين حاولوا زراعة نوع من الكروم التي يحبونها في دمشق ، وقد أدخل الاكمينيون الفستق الى حلب كما أنهم أدخلوا السمسم إلى مصر والأرز الى العراق .

واستغل الاكمينيون الغابات، فاستخدموا الأخشاب في المباني الملكية وبناء البيوت وصناعة الزوارق وعربات القتال وعربات النقل والآلات ، وأدوات القتال . وكانت آسيا الصغرى وكريت وقبرص ولبنان والهند من أهم مراكز تجارة الأخشاب. وكان في الدولة كفايتها من الأخشاب والمعادن .

فكانت الفضة والنحاس والحديد تستخرج من قبرص والنحاس والفضة من آسيا الصغرى . وكانت هذه المعادن أيضاً توجد في فلسطين وكان النحاس

والحديد يستخرجان من لبنان وأعالي وادي دجلة والفرات ، وكان الذهب والفصة يستخرجان من كرمان ، وكانت سجستان معروفة بانتاج القصدير ، وجنوب القوقاز بالفضة والحديد وكذلك الساحل الجنوبي للبحر الأسود .

وكذلك دب العمل في المحاجر لتلبية حاجة الدولة الى إنشاء المباني العظيمة. وازدهرت كذلك صناعة الصيد وكانت ذات أهمية عظيمة في العالم القديم إذ أن كثيراً من الناس سواء منهم الغني والفقير كانوا يعيشون على الخبز والسمك وقليل من الزيت والنبيذ . وكانت مصايد الخليج الفارسي ودجلة والفرات تصدر السمك المملح أو المجفف .

وكان الانتاج الزراعي في الدولة يقوم على نظام الاقطاع حيث يعمل بفلاحة الأرض عبيد يباعون ويشترون معها وكذلك كانت العبيد التي تؤسر في الحروب تستخدم في فلاحة الارض . وكانت الزراعة أهم موارد الثروة في الدولة . ولم يكن هناك فلاحون يملكون أرضا الا في اقليم فارس وهو موطن الدولة الحاكمة حيث كان الناس يعفون من الضرائب أيضاً . ولكن الزراعة بوجه عام كانت تعتمد على نظام الاقطاع، وكانت الحاصلات الزراعية هي القمح والشعير والكروم والزيتون . وكذلك كانت تربى الماشية والاغنام والماعز وكذلك دواب النقل وهي الحمار والبغل والحصان . وكذلك كان النحل يربى ويستخدم العسل فيما يستخدم فيه السكر .

وبدأت الصناعة تزدهر في المدن وكذلك استمرت الصناعات التي كان يقوم بها العبيد في داخل الاقطاعات الزراعية . وكان من أروج الصناعات صناعة الملابس ومنها الأحذية والأثاث. وكان بعض هذا الاثاث فاخرا ليستخدمه الأغنياء وكذلك صُنعت آنية الذهب والفضة والبرنز التي كان يستخدمها الاغنياء ايضاً . وكان النساء يتزين بالحليّ ويستخدمن وسائل التجميل المختلفة . وفي بيوت الفقراء كانت تستخدم الآنية الفخارية بدلا من الآنية المعدنية .

وبازدهار التجارة شاع الرخاء وارتفع تبعا لذلك مستوى معيشة أهل

ايران وقد كان تاسيس الامبراطورية ايذانا بدخول العالم في مرحلة جديدة من مراحل الازدهار الاقتصادي، وقام التبادل التجاري بين بلدان لم تكن بينها تجارة من قبل مثل بابل واليونان .

وقد كانت السلع التي يتجر بها من ذلك النوع الذي يستخدمه عامة الناس. وكانت السلع المتبادلة في الماضي سلعا لا يستخدمها الا الأغنياء . وحين كثر الطلب على هذه السلع رخصت اثمانها وارتفعت ارباح الأموال لكثرة البيع .

وقد ساعد على ازدهار التجارة تمهيد الطرق التي كانت تربط انحاء الامبراطورية، واكتشاف الطرق البحرية . فقد كلف دارا احد قادته البحريين بأن يقوم برحلة بحرية من مصب السند إلى وادي النيل فقطع هذه الرحلة في عامين ونصف . ووصل بحار آخر إلى جبل طارق . وبهذا ازدادت الروابط وقويت العلائق بين أجزاء الدولة عن طريق البر والبحر .

وازدهرت صناعة السفن فبنيت سفن تجوب البحار حمولتها بين ٢٠٠ ، ٥٠٠ طن أما السفن النهرية فكانت حمولتها بين ١٠٠، ٢٠٠طن. والخلاصة ان الارتباط الوثيق الذي تحقق بين تلك البقاع الشاسعة التي كانت تشغلها الامبراطورية الايرانية تحقق على هذا النطاق الواسع لأول مرة في عهد الاكمينيين. وعرف نظام البنوك والتعامل عن طريقها وخاصة بعد ان قلت اخطار الطرق .

الدولة الاكمينية بعد دارا

وصلت الدولة الأكمينية إلى قمة مجدها في عصر دارا فبلغت أقصى درجة من القوة وازدهار الحضارة في امبراطوريتها الواسعة . وقد عاشت الامبراطورية ١٥٠ عاما بعد دارا. ويرجع الفضل في استمرارها هذه الفترة الطويلة من الزمن إلى الأساس المتين الذي أرساه قورش والبناء الضخم الذي رفع قواعده دارا على هذا الأساس . وقد ظلت الامبراطورية متماسكة ، ولكنها لم تتجدد ولم تتطور . وما وقف التطور في دولة من الدول إلا حكما

بالاعدام عليها. فقد اخفقت الامبراطورية بعد دارا في تحقيق مزيدمن التقدم، كما عجزت عن الدفاع عما خلفه لها المؤسسان العظيمان قورش ودارا، مما أدى إلى سقوطها في النهاية. وليس من شك في انه قد مرت بالامبراطورية بعد دارا فترات قصيرة من الرخاء بل والتوسع، كان السبب فيها يرجع إلى بعض الملوك البارزين الذين جلسوا على عرشها بعد دارا، والذين كانت لهم قدرة ديبلوماسية فائقة تمثلت في حسن تصريف سياستهم الدولية. ولكن هذه الفترات القصيرة من التقدم كانت تزيد من خطر السقوط. فلم يعد الملك في إيران يقود الجيش بنفسه كما كان يصنع قورش ودارا وذلك طوال القرن الأخير من حياة الدولة. وارتكزت المنافسات والمؤامرات والمشاحنات حول العرش، فكانت تحدث الاغتيالات بين أفراد الاسرة المالكة حين يلي ملك جديد عرش إيران. وقد كثرت إراقة دماء أبناء البيت المالك إلى حد أنه حين مات الملك السابق لدارا الأخير—وهو ابن أرتخشتر الثالث—لم يكن هناك أحد يلي الملك من سلالة الاكمينيين إلا رجل واحد يمت إلى الاسرة بقرابة بعيدة هو دارا الثالث الذي سقطت إيران في عهده أمام ضربات الاسكندر.

لم يكن نجاح الاسكندر في القضاء على الدولة الاكمينية ناشئاً عن عبقريته العسكرية الفذة وحدها، ولا قوة جنوده، ولا اندفاع اليونانيين لتحرير أنفسهم من سلطان الفرس، وانما كان لهذا النجاح سند من ضعف الامراء الاكمينيين الذين عملوا من جانبهم على تسهيل مهمة الاسكندر بانانيتهم وقصر نظرهم وسوء سياستهم وضعف وطنيتهم. فلم يكن يظهر على عرش إيران ملك قوي تبدو شجاعته وقوته وتظهر تباشير البعث على يديه حتى يغتال ويقضى عليه وعلى آماله في مهدها، كما حدث مع قورش الأصغر، فلم يكن من ملوك الدولة من تحلى بصفات مؤسسي الدولة قورش ودارا. ولم يقوموا بأية محاولة لتقوية العلائق بين بلادهم الحاكمة وبين الشعوب الاخرى التي كانت تتكون منها دولتهم، وانما حاولوا تثبيت ملكهم في تلك البقاع عن طريق الرشوة وشراء

الخيانة والفساد بالذهب . وكان ظاهر الامبراطورية يوحي بتماسكها، ولكن الحقيقة هي أن عوامل التحلل كانت تعمل في داخلها . وقد ظلت تحافظ على كيانها بالذهب الذي كانت تدره عليها ممتلكاتها الواسعة طالما انه لم يكن هناك خطر خارجي ذو شأن ولكن العالم تولته الدهشة إذ رأى الدولة تنهار حين سدد اليها الاسكندر أولى ضرباته. ولكن سقوط الدولة الفارسية لم يقض على العنصر الفارسي . فقد كان للفرس من قوتهم وحيويتهم ما مكنهم من المحافظة على خصائصهم الذاتية وبعث دولتهم من جديد في مستقبل السنين، على ما سوف نرى .

خشيار شاي (اكزرسيس)

لقد عين دارا خشيار شاي ليخلفه على عرش إيران. وقد ولي الحكم بعد أن ظل اثني عشر عاماً والياً على بابل . وكان من أول الأعمال التي قام بها القضاء على الثورة التي بدأت في مصر أيام أبيه . ولقد كان خشيار شاي قاسياً في القضاء على هذه الثورة مما أثار حقد المصريين وجعلهم يتحينون الفرص للأخذ بثأرهم . وقد تصرف بنفس القسوة إزاء ثورة قامت في بابل فهدم أسوار المدينة وحصونها وحطم معابدها وصهر تمثال الإله بل الذي كان مصنوعاً من الذهب. ومنذ ذلك التاريخ لم يعد يلقب نفسه ملك بابل، وإنما جعل لقبه مقتصراً على ملك «الفرس والميديين» ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الملك يمنح ثقته إلا للشعب الحاكم في إيران .

وبعد أن أعاد خشيار شاي السلام الى الامبراطورية لم يبذل أي جهد للمضي في سياسة الحرب ، فقد كانت ميوله تتجه الى حياة الترف في القصور، وفضل ان يتجه بجهوده لبناء القصور وغيرها من المنشآت .

ولكن القدر لم يتح له ذلك ، فقد وقع تحت تأثير الجماعة التي كانت تجنح الى الحرب، واستجاب لدفعهم إياه في ذلك الاتجاه . وكانت هذه الجماعة تضم

بينها المنفيين من أهل أثينا . وبهذا بعث خشيار شاي من جديد تلك القوة الحربية الهائلة التي أسسها أبوه . ولقد كون جيشه من ستة وأربعين شعباً وجعل على رأس هذا الجيش تسعة وعشرين قائداً .

وكان هؤلاء القادة جميعاً من الفرس . أما الميديون والبابليون فقد ولاهم مناصب ثانوية وسار خشيار شاي على رأس هذا الجيش قاصداً بلاد اليونان ، بعد أن قرر أن يقوم بهجومه عن طريق البر لا البحر . وقد أنشأ الفينيقيون جسراً من السفن عبر المضايق ، ومر من فوقه جنود الملك خلال سبعة أيام متوالية . ولم يلق الملك أية مقاومة تذكر من تسالي Thessaly ولا مقدونيا، كما خضع له القسم الشمالي من بلاد اليونان، فكان سكان هذه المقاطعات مضافاً اليها اليونان من سكان افريقيا وآسيا يمثلون نصف العالم اليوناني، وقد خضع هذا النصف كله للملك الفارسي . ولقد بدأ الديموقراطيون من أهل أثينا يفكرون في انهاء نزاعهم مع الملك الفارسي، لولا تحمس الوطنيين منهم الذين انشأوا اتحاداً يونانياً بزعامة اسبرطة وكمنوا للاقاة العدو عند ممر تيرموبيلاي Thermopylae . وهبت في ذلك الوقت عاصفة بددت الأسطول الفارسي الذي كان يؤيد هذه العمليات الحربية . وقد قام الجيش البري بالهجوم ، ولكنه وجد نفسه أمام مقاومة بطولية أبداها ذلك الجيش اليوناني الصغير ولقد وقعت معركة دموية بين الطرفين لم تكن حاسمة وكادت تنتهي في غير صالح الفرس، ولكن الخيانة حولت هذه المعركة الى نصر فارسي ، فقد ترك سكان اتيكا Attica بلدتهم ففتحها الفرس ثم استولوا على أثينا . وقد حاول بعض المكافحين ان يدافعوا عن مبنى الاكروبوليس ولكن المقاومة لم تجد وانتهى الأمر بأن حل الدمار بأهل المدينة ومعابدها وديارها

ولكن اليونانيين لم يفقدوا الأمل فركز اسطولهم دفاعه عند سلاميس وصمموا على الدفاع عن المضيق . وهناك أمام مرأى الملك العظيم الذي كان جالساً على عرشه فوق مرتفع من الأرض حطم الأسطول اليوناني الأسطول الفارسي ، كما فقد الملك ثلث قواته وذلك في عام ٤٨٠ ق.م. ولم تكن هذه

الهزيمة في واقع الأمر ذات أهمية بالغة بالنسبة للفرس ، فقد كانت لا تزال بأيديهم حتى ذلك الحين قوات كبيرة وكانت جيوش أعدائهم قليلة العدد ضئيلة بالنسبة لهم ، كما ان الأقاليم التي فتحت من قبل كانت كلها لا تزال في أيديهم . ولكن خشيار شاي الذي لم يكن ممن يثبتون للقتال تأثر بتلك الهزيمة ، وفقد اتزانه بسببها ، فأعدم قائد الاسطول الفنيقي وبذلك أغضب الفينيقيين الذين انسحبوا من الجيش وحذا حذوهم المصريون . وعاد الملك إلى آسيا تاركاً ماردونيوس Mardonius في اليونان على رأس ثلث جيشه . وقد غير هذا القائد من خططه فحاول أن يسلك سبيل المفاوضة فعرض على أثينا أن تحالفه لقاء الحكم الذاتي والحصول على تعويضات ولكن عرضه هذا رفض فعاد إلى العمليات الحربية وأغار على أتيكا وأثينا ، وقبل انسحابه أحرق كل شيء لم يكن قد احترق في الحروب السابقة . وقد نجح الحلفاء اليونان في تكوين جيش تقدم بحذر نحو العدو . وتقابل الجيشان في بلاتيا (٤٧٩ ق.م.) وقد اشترك ماردونيوس بنفسه في القتال فقتل وبقى جيشه بدون قائد فانسحب من الميدان . ولقد كان هذا نصراً عظيماً لليونانيين . ولكنه بالنسبة للفرس لم يكن يمثل هزيمة ساحقة ، إذ أن القسم الأكبر من جيشهم كان لا يزال قابعاً في آسيا . ولسوء طالع الفرس هاجم الأسطول اليوناني ما بقي من سفن الأسطول الفارسي فهزمه في نفس اليوم التي جرت فيه تلك الهزيمة البرية ، وبهذا تم النصر لليونانيين وقد شجع هذا النصر اليوناني بعض الأيونيين فانشئوا اتحاداً مع الهيلينيين، وبدأ هؤلاء معاً يتحولون من الدفاع إلى الهجوم، وفي النهاية أحرزوا نصراً جديداً على شواطىء نهر يورميدون Eurmedon (عام ٤٦٦ق م) وحرموا الفرس من كل ممتلكاتهم التي كانت واقعة خارج آسيا الصغرى، تلك التي كان قد فتحها لهم دارا. وهكذا كلف ضعف خشيار شاي بلاده ثمناً غالياً ، واستطاع الأوربيون اليونان أن يلقوا بالفرس الاسيويين إلى خارج المضايق (التي تفصل آسيا عن اوروبا)

إن هذا النصر الذي أحرزه اليونان على تلك الامبراطورية الضخمة ليبدو

مثار الدهشة ، ولكن التأمل في الأسباب الكامنة وراءه قد يزيل عجبنا . فعلى الرغم من شجاعة الجندي الفارسي كان القادة ضعفاء مترددين . وقد كانت أخطـــاء الفرس العسكرية والسياسية هي السبب في تلك الهزائم الفارسية . كما ان جيوشهم لم تكن منظمة على أحسن الطرق . فقد كانت هذه الجيوش تنقسم إلى فرق لا على أساس الأسلحة التي تستخدمها كما هو الشأن في الجيوش الموحدة، وإنما كانت مقسمة بحسب البلاد التي جاءت منها ، كما ان الاسطول الفارسي كان يضم قسماً من السفن الأيونية . وقد مال الأيونيون في الوقت المناسب إلى أبناء عمومتهم من اليونان الذين هاجمهم الفرس. كما انه مما يلفت النظر ذلك الضعف والتردد الذي تجلى في أخلاق قادة الجيش ومستشاري الملك الذي كان هو نفسه رجلاً واهن العزم .

ولقد أحزنت هذه الهزيمة خشيار شاي فلم يعد يفكر في الانتقام ، بل انه لم يبرح بعد ذلك عواصمه . ففي بيرسيبوليس وسوسا أكمل المنشئات التي لم تكتمل في عهد أبيه وشغل نفسه بإقامة المباني الشاهقة .

ولقد حاول بعض المؤرخين المحدثين أن يلتمسوا الاعذار لخشيارشاي وينسبوا ما علق به من سوء السمعة إلى أن المصادر اليونانية – وهي المصادر الوحيدة التي تروي لنا اخبار هذا الملك – ما كانت لتنصف محطم اثينا، وأنه قد يكون من الممكن ان هذه الهزائم التي مني بها لم تظهر لمعاصريه كما هي الآن أمام أعيننا . ولكن هناك من الادلة ما يثبت لنا ان الحرب التي قام بها ارهقت بلاده، اذ ان البناء توقف عشر سنوات كاملة في بيرسيبوليس ايام ذلـك الملك المولع بالبناء. وقد اكتشفت في الايام الاخيرة نقوش لهذا الملك في بيرسيبوليس تصوره لنا بصورة جديدة ، صورة الملك المتدين الذي لا تقتصر جهوده على حماية الدين وانما ينهض للتبشير به .

ولقد وفق بحق في القضاء على الثورات في مصر وبابل وسحق شعبي هذين البلدين بقوته الهائلة . وكانت هذه سياسة خاطئة اذ ان الشعوب المحكومة في

ذلك الزمان ما كانت لترضخ للعسف والطغيان كما كانت الحال قبل ذلك ، كما ان الفرس الذين كانوا قد دخلوا التاريخ في زمن يعد حديثاً بالنسبة الى الامم القديمة كمصر وبابل كان اجدر بهم واجدى لهم لو استعانوا بأهل هذين البلدين العريقين في ادارة شؤون امبراطوريتهم ، والانتفاع بما لديهم من تراث حضاري. وقد انتهى الامر بهذا الملك الى ان احاط به اغوات القصر وسيطروا عليه حتى اغتيل في قصره الشاهق (في عام ٤٦٥ ق م) .

اردشير الاول (ارتخشتر الاول)

بدأ عهد اردشير الاول بن خشيار شاي – وكان رجل ضعيف الشكيمة – بثورة قام بها اخوه حاكم بكتريا . ولكن هذه الثورة اخمدت سريعاً واعقبها اغتيال جميع اخوة الملك . وثارت مصر من جديد وساندتها اثينا في ثورتها ، وكانت تلك بحاجة الى القمح ولم يكن من اليسير لها الحصول عليه من آسيا عبر المضايق. وقد فشلت قوة ارسلها الفرس لاخضاع مصر ، فارسلوا امدادات جديدة واستطاعوا ان يقضوا على الثوار وان يحطموا الاسطول الاثيني في الدلتا . وقد نجح الفرس عن طريق الرشوة في ان يوقعوا بين اثينا واسبرطة فكانت تلك ضربة قوية سددت الى اثينا التي كانت اذ ذاك في اوج قوتها . ولكن اثينا نجحت في اعادة علاقاتها باسبرطة الى ما كانت عليه ودخلت الحليفتان الحرب ضد فارس وسددتا اليها هزيمة بحرية في قبرص كان من نتائجها ان تحررت من قبضة الفرس بعض المدن الايونية . ولكننا نلحظ ان الامبراطورية الفارسية كانت قد اصيبت بالضعف واصبح سلاحها لاحراز النصر استخدام الرشوة على نطاق واسع .

وقد كانت سياسة اردشير في بابل مشابهة في عمومها لسياسة آبائه . فعلى الرغم من سماحهم لرجال الدين المحليين ان يمارسوا شعائرهم ، فانهم شجعوا العنصر الايراني على احتلال البلاد ، ووزع الملك الاراضي على الفرس . كما عين قضاة

من الفرس وكاد يحول ادارة البلاد كلها الى ايد فارسية . وازداد شأن المجوس في تلك البلاد . وارهقت الضرائب سكان البلاد واصبحوا على استعداد للثورة في أية فرصة تواتيهم . ولقد قام حاكم سوريا بثورة زادت الامور تعقيداً . وقد استطاع الملك ان يأسر هذا الحاكم ، ولكنه تساهل في امره وعفا عنه . كما فقدت الدولة اجزاء من اقاليمها الشرقية .

ولم تكن علامات التحلل قد ظهرت مجسمة حينذاك ولكن كل ما حدث كان مقدمات وادلة على ذلك . وبعد ذلك النصر الذي احرزه الحلفاء اليونانيون ، لم يعودوا ينظرون الى الامبراطورية الفارسية على انها ذلك العدو المهيب وإنما نظروا إليها بشيء من الاستخفاف

وقد سار أردشير على سياسة آبائه قورش ودارا في ملاينة اليهود ، فاذن لعزرا أن يعود إلى فلسطين بألف وخمسمائة من العائلات اليهودية التي كانت في المنفى. وقد قام نزاع بين هؤلاء اليهود العائدين وبين أبناء دينهم الذين لم يكونوا قد هاجروا فارسل الملك ساقيه نحمياح لازالة الخلاف بين اليهود . وأقام هذا الملك على مودته لليهود الذين بقوا على ولائهم للتاج الفارسي .

ولم يقد اردشير جنوده بنفسه قط . وفي أواخر أيامه فقد اهتمامه بالعالم اليوناني وشئونه مما افقد الامبراطورية الكثير من هيبتها .

لقد بدأ بناء دارا يتحطم ببطء وبصورة غير محسوسة . ومع ذلك فقد شهد عصر اردشير توسعاً في العلاقات الثقافية بين فارس واليونان وهذا يفسر لنا بعض ما طرأ على الفن من تطور في ذلك الوقت . وقام المؤرخون والعلماء اليونان برحلات في مصر وبابل وإيران وعرفوا الشيء الكثير عن تاريخ الشرق وأديانه وعلومه . كان هذا هو الوقت الذي كتب فيه هيرودوت تاريخه . لقد أخذ العالمان في الاهتمام بتبادل المعارف وأخذت أوروبا التي كانت إذ ذاك في كفاح مع آسيا تنهل مما تجمع لتلك من تراث علمي وفني خلال القرون .

دارا الثاني

كان عصر هذا الملك متسما بالمؤامرات والفساد . واستخدم فيه الذهب على نطاق واسع لابعاد أثينا عن اسبرطة أثناء حرب البيلوبونيز . وقد ثار على الملك حاكم ساردیس فساندت أثينا هذا الحاكم مما قرب بين اسبرطة وبين الملك. وقد نجح الملك في إخماد هذه الثورة مستعيناً بجنود مرتزقة من اليونانيين. وعقد الملك حلفاً مع اسبرطة وحارب أثينا واستعاد سلطانه على عدد من المدن اليونانية مرغما إياها على قبول فرق احتلال من جيشه ودفع الجزية عن سنوات مضت . وبعد قليل وقّعت معاهدة اعترفت للملك بالسيادة على اليونانيين في آسيا ، ففقدت بذلك اسبرطة مركزها الممتاز بين هؤلاء وعوضت عن ذلك بالذهب

وقامت ثورة في ميديا اعقبتها ثورة في مصر . ولم يجرؤ الفرس في هذه المرة على إيقاع عقوبات بالأهالي نظراً لما كان عليه هؤلاء من قابلية للانفجار .

نجحت اسبرطة بمعاونة الفرس في إغلاق المضايق مما حرم أثينا من الحصول على القمح فاضطرت للتسليم. وهكذا استطاع الفرس بالرشوة أن يحققوا نصراً جديداً .

وكانت الأسرة الملكية منقسمة على نفسها . وقد حاولت الملكة باريساتس أن تقوي ابنها قورش ضد الوريث الشرعي ، فحصلت له على ولاية بضعة من الأقاليم الهامة وقيادة جميع جيوش الدولة في آسيا الصغرى ، فجعلت هذا الأمير في موقف يغريه بالثورة إذا سنحت له الفرصة . اما الملك فقد أقام في عواصمه ولم يخرج للقتال مع جيوشه إلا في أواخر أيامه . ومات تاركا عرشه لابنه الاكبر اردشير الثاني .

أردشير الثاني

بدأت ولاية هذا الملك بمحاولة للاعتداء على حياته ، فقد حاول أخوه

قورش الذي سبق ذكره أن يطعنه بخنجر اثناء حفـــلة تتويجه في معبد بازار جاده. وقد شفعت باريساتس أم قورش عند الملك فعفا عن أخيه بل انه مضى إلى أكثر من ذلك فسمح له بالتوجه إلى مقر ولايته حيث كانت كل جنود آسيا الصغرى تحت قيادته . وبعد قليل ثار قورش على أخيه وخرج على رأس جيش قوي يبغي الاستيلاء على الملك . وكاد يحصل على النصر قرب بابل، ولكنه قتل في اللحظة التي وجه فيها ضربة إلى أخيه الملك. وقد أمر الملك بتشويه جثة أخيه ، ذلك الأمير الشاب الذي أشادت كل السجلات بشجاعته .

وسمح أردشير للعشرة آلاف يوناني الذين كانوا في جيش أخيه المقتول بالعودة وذلك بعد أن قتل قادتهم باحدى الحيل . وقد عجز عن منع ذلك الجيش من التوجه إلى بلاد اليونان عبر ارمينيا .

ولم تعد قوة الجندي الايراني هي العامل الفعال في سياسة الدولة كما كان الحال أيام قورش ودارا . ولكن أصبح الذهب هو العامل الفعال الذي برع رجال الملك في استخدامه . وقد أخذوا يصبونه في خزائن اثينا واسبرطه ، ويقدمونه رشوة لأي شخص يستطيع بمؤامراته أن يضعف عدواً أو يحضره صاغراً أمام الملك .

ولقد ثارت مصر عند تولي هذا الملك وأعلنت استقلالها . وضعف الملك عن إعادة فتحها ، وذلك على الرغم من إدراكه بان الولاة في المناطق الغربية ما كانوا ليظلوا على تبعيتهم له لو نجحت مصر تماماً في انفصالها عن الدولة .

وكانت اثينا في ذلك الوقت قد ضعفت لكثرة الهزائم التي حاقت بها ولكن اسبرطة التي شجعها انسحاب العشرة آلاف ومسيرهم من قلب الدولة دون أن يستطيع الملك منعهم ، شجعها ذلك على أن تنهض لمحاربة الدولة . وقد تقدم القائد الاسبرطي اجيسيلوس في آسيا الصغرى ، وكان الولاة الفرس هناك منقسمين على أنفسهم فلم يستطيعوا إيقافه . وفي هذه المرة انضمت اثينا

إلى فارس واستدعي القائد الاسبرطي وهو في أوج نجاحه وانتصاراته إلى اسبرطه . وقد قال ذلك القائد ساخراً إنه انسحب أمام عشرة آلاف من رماة الفرس الذين لم يكونوا جنوداً حقيقيينبل كانوا صوراً مطبوعة على نقود الملك العظيم . وقد كلف هذا العمل اسبرطه هزيمة كبيرة وقضى على مكانتها في أيونيا .

ولقد أدت الحروب المتوالية والصراع بين اثينا واسبرطه ذلك الصراع الذي كان ذهب الفرس يعمل على اذكائه إلى أن ضعفت كل من المدينتين الكبيرتين. وقد أعلن الملك من قلب فارس قيام السلام على أساس من سيطرة الدولة . كانت كل المدن الايونية قد أصبحت في قبضته . أما المدن التي كانت تعارضه فقد أعلن أنه سيحاربها براً وبحراً. ولقد قرىء بيان الملك هذا على السفراء اليونان فأحنوا رؤوسهم في حضرته . وبذلك تحقق لاردشير الثاني بوسائله الدبلوماسية واستخدامه الرشوة لإغراء خصومه والإيقاع بينهم ما لم يتحقق لدارا الأكبر ولا لخشيار شاي يحبوشهم الجرارة .

لقد أصبح الأيونيون مرة ثانية تحت سلطان الملك وانتهت قوة أثينا وسلطان اسبرطة . ولقد فرض الفرس على المدن الأيونية ضرائبهم التي فرضتها عليهم من قبل أثينا واسبرطة أيام امتداد سلطانها على المدن اليونانية ، ذلك الذي وقع باسم تحرير اليونانيين .

وبدخول المدن الأيونية من جديد ضمن نطاق الدولة الفارسية عاد لها نشاطها التجاري مما أعاد لها الرخاء .

ولكن سياسة الملك البارعة لم تقف عند هذا الحد ، فقد استطاع ان يبعث الصراع القديم بين أثينا واسبرطة ، فوقعت بينهما حرب تخللها سلام قصير ثم استؤنفت من جديد وكانت هذه حركة منهكة لقوى كل من المدينتين . وعندما أوقفت المدينتان الحرب هبت طيبة لقتال عدوتيها القديمتين (أثينا واسبرطة) يؤيدها في ذلك اردشير . وعلى الرغم من اتحاد المدينتين للدفاع

فقد هزمتا ، وهكذا استطاع الملك الفارسي أردشير الثاني ان يمزق الوحدة اليونانية ، ولم يعد لأي من مدن اليونان قدرة على إعادة الوحدة إلى البلاد وإقرار الأمن والسلام .

وفي هـــذا الوقت الذي ظهرت فيه قوة اردشير وقـد حملت نفوذ الفرس إلى ما وراء المضايق في أوروبا قامت في القسم الغربي من الأمبراطورية متاعب خطيرة تمثلت في ثورة الولاة،فقد أصبحت عيون الملك وآذانه في عهد الاكمينيين المتأخرين لا تؤدي وظيفتها ، ونحن نذكر كيف كانت تراقب الولاة وتسيطر عليهم أيام دارا الأكبر .

كانت الأحوال الداخلية في الامبراطورية توحي بسوء العاقبة، فقد كانت الضرائب عالية ، وقد أدت إلى ثورة الأهالي. فمصر التي كانت قد تحررت من نير الفرس منذ تولى اردشير لم يُعد فتحها وقد أرسلت الدولة حمـلات عدة ولكنها جميعا باءت بالفشل . وبدأت اجزاء الامبراطورية تتفكك . فقد تبع مصر في مسلكها قسم من قبرص، ثم اعلنت فينيقيا وسوريا استقلالهما. كما قامت الثورات في كل البلاد التي كانت واقعة شرقي نهر الفرات . لقد تعقد الموقف بصورة عامة وكان الخطر عاما ، ولم تكن الوحدة الامبراطورية وحدها في خطر ، وانما كانت حياة الامبراطور نفسه عرضة للخطر .

وقد عقد الولاة الثائرون حلفا بينهم واصدروا نقودهم باسمهم ، وكان اصدار النقود حق ذلك الحين من حق الملك وحده . وقد أدت ثورة الأقاليم الغربية من الامبراطورية ، واستقلال مصر إلى حرمان الملك من نصف ايراداته. ورأى ذلك الملك ـالذي حقق الكثير من النجاح في اليونانـ عرشه يهتز في مهب الرياح. وكان الظاهر قبل ذلك بوقت قصير ان الامبراطورية قد استعادت وحدتها ، ولكن ذلك لم يكن يمثل حقيقة الحال ، فإن الدولة كانت على شفا التفكك والانحلال ولقد تحالفت مصر مع اسبرطة ومع الولاة الثائرين وهاجمت الملك ، وتقدمت جيوشها بقيادة الفرعون تاخوس إلى

سوريا في حين عبر داتامس Datames أحد الولاة الثائرين نهر الفرات . وبلغ الموقف من الخطورة حداً بعيداً ، فتولى أردشير بنفسه قيادة الجيش بعد أن عجز ابنه أوخُس Ochus عن وقف جنود اليونان المرتزقة الذين كانوا في خدمة الثوار . وقد بدا إذ ذاك أن الامبراطورية قد دنت نهايتها . ولكنها نجت في آخر الأمر نتيجة لانهيار مصر ، التي قامت بها ثورة ضد الفرعون تاخوس ، فترك حلفاءه واستسلم. وكذلك استسلم الولاة الثائرون نتيجة لظروف مختلفة ؛ فمنهم من خانه ابنه وقتله ومنهم من اغتيل. وهكذا انتهى الخطر الذي هدد الامبراطورية ، ولكن الاضطرابات كانت لا تزال في البلاد عند موت أردشير ، كما انتشرت عصابات السلب والنهب نتيجة لضعف السلطان الحكومي. لم يصف المؤرخون هذا الملك بالعدل ولا الكرم ولا الرحمة وإنما وصفوه بالغدر والتعطش للدماء ووقوعه تحت تأثير أمه . وقد حاول طوال مدة حكمه الطويل أن يحافظ على ممتلكات الدولة ، ولكن هذا الهدف كان فوق طاقته.

أردشير الثالث

لقد بدا أن القدر أراد أن يقدم لفارس فرصة أخيرة للخلاص من ضعفها وتحللها ، إذ جاء إلى عرشها هذا الملك الذي كان يتمتع بارادة قوية وعزم أكيد وبراعة في الحكم ، على الرغم من قسوته وطغيانه ووحشيته. لقد اقترن ارتقاؤه للعرش بقتل جميع إخوته وأخواته الذين بلغ عددهم بضع عشرات . لقد أخمدت ثورات الولاة بقوة. وأنذر اثينا التي كانت تؤيد بعضهم بالحرب فسحبت جيوشها . ووجه الملك جهده لاستعادة غزو مصر ، ولكن محاولته الأولى فشلت ، وتحالفت صيدا مع مصر وثارت ، فأحرق الملك المدينة وسكانها وتركها أطلالاً . وأرسل حملة إلى مصر معززة بفرق من المرتزقة نجحت في مهمتها نجاحاً تاماً ، وفر فرعون إلى اثيوبيا ، واستولى الملك على المدن ، وهدم أسوارها ونهب معابدها . وهكذا شاع الاستقرار من جديد في أنحاء الامبراطورية ، وبدت أقوى منها في أي وقت مر عليها منذ أيام دارا .

لقد كان بعث فارس على هذا النحو ضربة قوية لبلاد اليونان . وقبل ذلك بزمن قام في بلاد اليونان زعماء ذوو نزعة وطنية مثل إيسوكراتس Isocrates دعوا اليونانيين الى الاتحاد في صراعهم مع الفرس، وبدأوا يدخلون نغمة جديدة على دعوتهم. ففي نظرهم لم يكن اليونانيون هم من جاءوا من سلالة يونانية فحسب بل انهم عدوا من اليونانيين من شاركوا اليونانيين في حضارتهم. ولقد نقل هؤلاء دعوتهم من الحث على الدفاع عن المدن اليونانية – التي كانت كل منها تشكل حكومة قائمة بذاتها – إلى الدعوة للدفاع عن حضارة اليونان ومبادئهم .

ولكن اليونان التي كانت الحروب قد أنهكتها لم يبق لها من القوة ما يمكنها من تحقيق الوحدة التي كانت ضرورية لتحقيق مثل هذه الأهداف .

لقد كان الاكمينيون أول من حقق الوحدة الايرانية كما أنهم أول من حقق الوحدة بين بلاد الشرق التي كانت في ذلك الحين تمثل العالم المتمدن ، الذي ارتبطت أجزاؤه في ظل حكمهم وسيطرتهم السياسية بروابط أوثق . ولقد نجحت الامبراطورية الفارسية برغم اختلاف الأجناس واللغات – وحققت حضارة كانت ذات أثر بعيد في التاريخ القديم .

ولم يكن هذا التعدد في الجنس واللغة بين سكان الامبراطورية علامة من علامات ضعفها، فان الامبراطوريات الكبيرة اصطبغت بنفس الصبغة، وكانت روما ايضاً متعددة العناصر والشعوب . وكان الفرس ذوي كفاءة في ادارة دولتهم كما كانوا موفقين في ميادين الاقتصاد والتجارة . ولقد أثبت البحث الحديث ان الأقاليم النائية التي ادركها التوسع الفارسي تأثرت تأثراً كبيراً ، فخوارزم وغيرها من الأقاليم الشرقية نعمت بثلاثة قرون ونصف قرن من السلام والاستقرار ، وكان هذا امراً نادر الوقوع في تلك الاقاليم . وفي اثناء هذه الفترة تطورت فيها الزراعة وحياة المدينة . كما ان الواحات الواقعة في جنوبي مصر استخدمت طريقة الانفاق المائية لري الارض . وقد تجاوز الفن الايراني

حدود ايران فرأينا أثره في مصر وقبرص وعلى شواطىء البحر الاسود وعند السيذيين Scythians . وقد اهتم الاكمينيون بالعلوم وبخاصة الفلك .

واستخدم الاكمينيون لغة سامية هي الآرامية وجعلوها لغة رسمية للدولة كما استخدموا حروفها . وقد ادخلوا هذه الحروف الى الهند وهناك بتأثيرها ظهرت الحروف الخاروشتية اقدم حروف ظهرت في الهند . وفي الهند أيضاً ظهرت آثار الفن الاكميني وبخاصة في ميدان العمارة . فقد بيّنت الحفائر التي أجريت في بتنا Patna ان القصور التي بنيت في عصر اسرة موريا Maurya كانت على طراز قصور بيرسيبوليس . ومن المعتقد انه قد نشأ في وادي الهندوس لغة تشبه الكردية جمعت بين سكان هذا الوادي وجيرانهم الغزاة الاكمينيين .

إن الوحدة اليونانية تحققت – على الرغم من اليونانيين – على يد المقدونيين . لقد كان هؤلاء يمثلون شعباً قوياً من أصل غير يوناني ولكنه مثقف بثقافة اليونان . ومنذ عام ٣٦٠ ق.م وجه فيليب المقدوني جهوده ليضيف الى ملكه الاقاليم الواقعة شمال البيلوبونيز : تراقيا وتسالي . واصبح الشخصية المتحكمة بين اليونانيين كما اصبح يعتبر القائد الذي ينتظر ان يقود الصراع ضد آسيا .

ولقد كان فيليب حذراً، فانه حين رأى اردشير يستعيد فتح مصر فضل ان يخدع عدوه، فبدأ بمفاوضة فارس، تلك التي كانت في ذلك الوقت تخمد كل الثورات التي قامت ضدها حتى في قبرص . وفي أثينا كان ديموستين يعارض سياسة مقدونيا بقوة، ويرى ان سبيل الخلاص امام بلاده في التحالف مع ملك الفرس . وعندما لامه بعضهم على خيانة اليونانيين الأسيويين اجاب بقوله « وهل نحن حقاً مهتمون بهؤلاء الاغريق الاسيويين ، او ليس كل قائد عسكري يبحث عن منفعتة الخاصة ؟» ولقد ارسل وفد اثيني الى سوسا وعقد حلف. كان هذا الحلف خطراً على مقدونيا فارسل الملك جيشاً أخرج فيليب من بيرينتوس، ولذلك فقد قرر فيليب ان يقضي على اليونان ولو بالقوة. ولقد

ظفر بنصر حاسم على أثينا وحلفائها بمعـــاونة ابنه الاسكندر ، وقضى على استقلال اليونان عام ٣٣٨ ق.م . وفي العام نفسه مات اردشير مسموماً ، وكان قتله ضربة كبرى للامبراطوريه التي لم تعش طويلاً بعده .

ان من الخطأ ان نقتصر في نظرتنا الى الدولة الاكمينية على انها دولة كانت كل اعمالها مقتصرة على الغزو والسيطرة على الشعوب . لقد كان العالم أيام الأكمينيين منقسما الى معسكرين ، المعسكر الفارسي والمعسكر اليوناني ، وكان كل من هذين المعسكرين يعمل على نشر حضارتة في العالم . وكان الفرس متسامحين في الدين ، كما كانوا اميل إلى التوحيد ولذلك فقد سهلوا إقامة اليهود في دولتهم وعاملوهم بتسامح. كما أن دين الفرس أثر في غيره من الأديان وهناك أبحاث كثيرة تتحدث عن علاقات الزرادشتية بغيرها من الأديان ومنها اليهودية والمسيحية .

نهاية الأكمينيين وقيام امبراطورية الاسكندر

أغتيل ارتشختر (اردشير الثالث) الملك الأكميني في وقت كانت فيه قوة أخرى قد بدأت في الظهور على مسرح التاريخ ، تلك هي مقدونيا . فقد استطاع فيليب بعد أن وحد المدن اليونانية في مواجهة الفرس أن يجند جيشاً قوياً مؤيداً بالاسطول اليوناني . وفي الوقت الذي ظهرت فيه هذه القوة كانت فارس تدين بالولاء لحاكم ضعيف هو ابن الملك المقتول ، وكان العوبة في أيدي الخصيان الاقوياء . ولكن سرعان ما سقط فيليب صريعاً بخنجر مغتال . وهناك من المؤرخين من ربط هذا الاغتيال ببلاط الملك الفارسي في سوسا . وقد خلفه على العرش ابنه الاسكندر ذلك الشاب العبقري المتحمس الذي تابع أعمال والده بكل ما كان له من حماس الشباب. وقد مات الملك الجالس على العرش الاكميني مسموماً فخلفه دارا الثالث (وهو الأخير أيضاً) . وقد كان دارا هذا شجاعاً ولكن الظروف لم تعد مساعدة ، فقد ووجه لأول مرة في تاريخ الأمبراطورية الفارسية باتحاد اليونان ، ذلك الاتحاد الذي كان على رأسه تلك

العبقرية العسكرية التي كان يمثلها الاسكندر وجنوده المقدونيون الأشداء . وقد أخطأ دارا إذ ازدرى شأن الاسكندر الشاب ولم يحسن تقدير قوة عدوه . وقد قام الصراع بينهما وظلت المواقع تتوالى على تلك البقعة الشاسعة من الأرض الممتدة بين مدن اليونان ومقدونيا عبر آسيا الصغرى حتى إيران نفسها . كانت الامبراطورية الفارسية لا تزال تملك كل مواردها الوافرة وممتلكاتها الشاسعة ولكنها منيت ببعض الهزائم الجزئية من آن لآخر بعد موت دارا الأكبر وهذه الهزائم قللت بعض الشيء من هيبتها وأظهرتها بمظهر الضعف في بعض الأحيان. وقد كانت الأمبراطورية الفارسية تعتمد على عبقرية بعض القواد المرتزقة اليونان في غزواتها الحربية ، ولكن هؤلاء القواد كانوا لا يملكون حرية العمل لأن كل واحد منهم كان يخضع لرئيس أعلى من نبلاء الفرس الذين لم يكونوا في الغالب ذوي مؤهلات عسكرية عالية . وكذلك كان إخلاص هؤلاء القادة الغرباء للامبراطورية الفارسية موضع شك .

وكان مفكروا اليونان في ذلك الوقت منقسمين إلى فريقين . كان فريق منهم يرى أن خضوع مدن اليونان في آسيا لملك الفرس عار يجب محوه . فاذا لم يستطع اليونان انفسهم الاتحاد لتحرير اخوانهم في آسيا ، فلماذا لا يترك هذا الأمر لمقدونيا ، تلك التي كانت خاضعة للثقافة اليونانية والفكر اليوناني . لا بد إذن من استخلاص آسيا الصغرى من يد الفرس حيث يستطيع اليونان المرتزقة أن يستقروا وتصبح مدنها المزدهرة اسواقاً لتجارة اليونان

أما الفرق الآخر من مفكري اليونان فلم يكن يرى في الفرس مسيطرين ظالمين . فقد كانت مدن اليونان الاسيوية مزدهرة ، ولم ينلها من المتاعب في مدة ملك الفرس الطويلة مقدار ما عانته في فترة التحرير القصيرة حين قام الاسكندر بانتزاعها من الفرس كان ملك الفرس بعيداً عن بلادهم ، وسلطانه عليهم لا يمكن أن يقاس به سلطان المقدونيين القساة فقد كانت فكرة الانتقام من الفرس بأيدي المقدونيين ، واستبدال الفرس بسادة جدد هم المقدونون فكرة لا تنال قبولاً عند أنصار هذا الاتجاه لقد كان ملوك الفرس بالنسبة لهم

يقومون بمنزلة الحكم بين المدن اليونانية المتنازعة ويوجدون بينها نوعاً من توازن القوى . ولهذا وجد من فلاسفة اليونان في ذلك العصر من فضل وجود حاكم قوي يسيطر على الدولة على ترك أمور الدولة للجماهير تسيطر عليها بعقليتها غير المتزنة .

كانت مقدونيا وهي بلاد زراعية تشبه من بعض الوجوه اقليم فارس ، ذلك الاقليم الذي بدأت منه الدولة الاكمينية ، فقد كان سكان مقدونيا ينقسمون إلى قبائل وبطون (فروع للقبائل) . وكان المجتمع فيها يقوم على مجموعة من كبار الملاك يعيش في أراضيهم فلاحون أحرار . وكان يرأس الجميع ملك له عليهم سلطان ديني وقانوني وعسكري. وقد قام فيليب أبو الاسكندر بإعادة تنظيم البلاد فوحد الشعب حول العرش وقوى بذلك سلطة الملك . فقد كان أكبر عمل قام به خلق جيش متحد من المقدونيين الأحرار وكون منهم المشاة في جيشه من غير أن ينشأ عن ذلك فصم العرى التي تصل أفراد هذا الجيش بقبائلهم كما كون من النبلاء فرسان الجيش . فعند قيام الحرب أصبح الجيش جيش الملك يقوده ضباط ولاهم الملك بعد أن كان الجيش يتكون من جموع على رأس كل منها نبيل ينضم بعضها إلى بعض لتكوين الجيش. وحين ولي الاسكندر بعد أبيه فيليب كانت النبلاء ووراءها الشعب على استعداد لأن تتبع هذا البطل الشاب لتحقيق فتوحاته الباهرة .

لقد كثر الحديث بين المؤرخين عن غزوات الاسكندر، وكثرت اشاراتهم اليها على أنها غزوات تهدف إلى مثل عليا روحية إلى جانب الفتح والسيطرة. وكثر تشبيههم لها بالحروب الصليبية . والواقع أنه كان هناك شيء من الشبه. فالصليبيون هبوا لمحاوبة المسلمين مندفعين أو متظاهرين بالاندفاع وراء أمل ديني هو تحرير الأراضي المقدسة ، ولكن وراء هذا الأمل الديني كان هناك أمل دنيوي اقتصادي، هو رغبة بارونات فرنسا في الغزو، ورغبة الجمهوريات الإيطالية في التوسع التجاري. وكان الاسكندر هو القائد الوحيد بين قادة اليونان الذي جعل

تحقيق الوحدة اليونانية هدفـــاً له ومضى ليحققها جاعلاً من جيوشه اداة لتحرير اليونانيين . أما نبلاء مقدونيا فقد كانوا يحلمون بالغزو على أنه وسيلة لبسط سيطرتهم ومصدراً للغنائم الوافرة. أما اليونانيون فكان منهم من يحلم بمد تجارتهم إلى أسواق الشرق الغنية .

كان الاسكندر مدركاً للخلافات التي تفرق بين اليونانيين ولكنه مضى بعزم لإكمال ما بدأه أبوه ، وجعل نفسه مطالباً بثأر اليونانيين على الرغم منهم . وقد وجه انذاراً شديداً لهؤلاء اليونانيون الذين استطاع الفرس اكتسابهم الى جانبهم، وعامل بالعنف كل من ظفر به ممن لم يظهروا الولاء لهذا الاتحاد المقدوني اليوناني الذي جعل الاسكندر نفسه ممثلاً له حتى يضمن ولاء الجميع ويؤمن مؤخرة جيشه حين يتقدم لحرب العدو .

وقـد كانت ثمرة اتحاده باليونانيين سبعة آلاف مقاتل واسطول أثيني ضعيف لم يلبث ان سرحه لقلة المال في يده . على كل حال يمكن القول بان هذا الرجل الذي كرس نفسه للدفاع عن اليونان لم يلق من اليونانيين سوى تأييد ضئيل .

عبر الاسكندر الدردنيل بجيشه الصغير الذي كان أكثره من المقدونيين وكان معه عدد من العلماء والمؤرخين والجغرافيين وعلماء النبات فبدأت بذلك الحرب ضد آسيا .

ولم يهتم دارا بهذه الحملة، وبلغ من استهتاره بها ان امر بالقبض على الاسكندر واحضاره الى عاصمته سوسا (السوس) ، وأرسل جيشاً من الجنود المحليين وبعض فرسان الفرس ومرتزقة اليونان لايقافه . وقد كان رأي أحد القادة اليونانيين الذين كانوا يعملون في الجيش الفارسي ان ينسحب الجيش الفارسي إلى داخل البلاد حتى يتبعه الاسكندر فتبقى أمامه الأرض الخشنة تضنيه في تقدمه ، ولكن لم يعمل برأيه . وقد دارت موقعة عنيفة بين الجيشين عند بلدة جرانيكوس كاد الاسكندر يقتل فيها ولكن جيش الفرس منى بالهزيمة ولم

يهتم الاسكندر بتعقب فرسان الفرس ولكنه أحاط بالجنود المرتزقة اليونانيين، فذبحهم المقدونيون واحداً واحداً عقاباً لهم على خيانتهم لليونان . وبهذه الموقعة أصبح الطريق مفتوحاً إلى آسيا الصغرى . وتقدم الاسكندر في هذا الاقليم ، فاستولى على مدن اليونان الواحدة بعد الأخرى . وكلما استولى على إحدى المدائن أعلن تحريرها من سلطان الفرس . وقاومته إحدى مدن اليونان وهي مدينة **هاليكارناسوس** Halicarnassus وأرادت أن تبقى خاضعة للفرس ، فأحرقها في أثناء حصاره لها . وحاول الاسطول الفارسي أن يقطع على الاسكندر خط الرجعة الى قواعده في مقدونيا ، ولكنه فشل . وبهذا تم للاسكندر غزو آسيا الصغرى ، ونظمها على طريقة الفرس ، فجعل على كل إقليم والياً وقائداً للجيش وجابياً للضرائب .

واخترق الاسكندر بعد ذلك بلاد كيليكيا ، والتقى بجيوش دارا عند مدينة **إسوس** Issus وهنا أخطأ الملك الفارسي للمرة الثانية . فبدلاً من أن يبقى في مكانه حتى يصل إليه الاسكندر بعد سفر منهك تقدم دارا ليقابله . ولم يستطع جيش الفرس أن يقابل هجوم جنود الاسكندر ، ولما رأى دارا جيوشه تترنح من وقع الهجوم العنيف ترك القتال وفر . وتقدم أحد قواد الاسكندر واسمه **بارميئيو** Parminio بسرعة فاستولى على دمشق ، وهناك وجد قافلة ملكية بها أمتعة أسرة دارا، وكذلك أمه وزوجه وبنوه، فوقعوا جميعاً في أيدي جنود الاسكندر ، الذي عاملهم بما يتفق ومكانتهم . واستولى المقدونيون على غنائم كثيرة كما قبضوا على سفراء أثينا واسبرطة وطيبة الذين جاءوا للتفاوض والاتفاق مع الفرس ، وهذا يبين كيف أن اليونانيين لم يكونوا يحفلون كثيراً بسياسة الاسكندر .

وهكذا حقق الاسكندر آمال فيليب ، فقد حرر مدن اليونان وآسيا الصغرى ، فاستولى على القسم الغربي من الامبراطورية الفارسية .

ولم يتابع الاسكندر بعد ذلك دارا ، وإنما فضل تأمين مؤخرة جيشه ،

وتأجيـل غزو الأجزاء الشرقية من الامبراطورية الفارسية . وقد سلمت له المدن الفنيقية واحدة إثر أخرى . وبينما كان يستولي على مدينة **ماراثوس** Marathos أرسل إليه دارا خطاباً يعرض عليه فيه عقد معاهدة للصداقة والوفاق ، ويطلب إطلاق سراح أسرته مقابل مبلغ كبير من المال . وقد رفض الاسكندر هذا العرض ودعا دارا الى الاعتراف بسيادته . وأعاد دارا الكرة ، فانتهز فرصة مقاومة إحدى المدن الفينيقية لغزو الاسكندر ، وأرسل إليه يدعوه إلى الصلح ، ويعرض عليه مبلغا كبيرا من المال لقاء تسريح أسرته كما عرض التنازل للاسكندر عن قسم كبير من امبراطوريته وتزويجه ابنته ، ولكن الاسكندر رفض تلك الدعوة التي تقدم بها دارا برغم أن أصحابه دعوه إلى قبولها . إن الاسكندر كان يهدف إلى تأسيس ملك واحد ينتظم الدنيا بأسرها ، لا مكان فيه لملكين .

وبعد وقوف شهرين ، أمام أسوار غزة ، استطاع الاستيلاء عليها ، وتقدم بعد ذلك إلى مصر ، حيث قابله المصريون بابتهاج . ولم يبـــدوا أية مقاومة له . وهناك أسس الاسكندر بعد ذلك مدينة الاسكندرية ، التي أصبح لها شأن عظيم في تجارة العالم وثقافته . وزار الاسكندر بعد ذلك معبد آمون حيث أعلن الاله آمون أنه ابنه ، وألقيت على سمعه نبوءة مؤداها أنه سوف يمتلك العالم . وقد جعله اعتراف الاله آمون به حاكما قانونيا للبلاد . وأعاد الاسكندر تنظيم البلاد ، ووضع قسطا كبيرا من إدارتها في أيدي المصريين ، ولكنه في الوقت نفسه أبقى المقدونيين على رأس الجيش . واتجـه بعد ذلك إلى العراق ، فعبر الفرات ودجلة . ولم يحاول دارا الدفاع عن أي من هذين النهرين ، واستعد دارا ليقف وقفة أخيرة للدفاع عن بلاده ، وجمع أكبر جيش كان في استطاعته جمعه ، ولكنه مع ذلك حاول القيام للمرة الثالثة بعقد اتفاق ودي مع الاسكندر قبل وقوع القتال . وكان دارا حزينا لوفاة زوجه التي ماتت في أسر الأسكندر ، وكذلك لفراق أمه وأبنائه . وكان ما عرضه دارا يتلخص في أن يصبح نهر الفرات حدا بين دولة دارا ودولة

الاسكندر ، وعرض ابقاء ابنه رهينة عند الاسكندر ، وأن يدفع مبلغا كبيرا من المال لقاء تحرير أمه وابنتيه ، وأن يزوج الاسكندر إحدى بناته . ولكن الاسكندر كرر رفضه للاتفاق مع دارا . والتقى الجيشان في جاوجميلا Gaugamela بالقرب من أربيل الواقعة في تلال آشور ، وذلك في عام ٣٣١ ق.م . وكان الجيش الايراني مقسما إلى وحدات يمثل كل منها إقليما من أقاليم الدولة الايرانية ، ولم يكن لدى الايرانيين خبرة بالطرق الجديدة التي استحدثت في فن القتال ، وبخاصة في عهد فيليب وابنه الاسكندر . ولم تجد عرباتهم ولا أفيالهم شيئا ، ووقعت بهم الهزيمة على الرغم من المقاومة الباسلة والشجاعة التي أبداها نبلاء إيران . وفر دارا من الميدان إلى إكباتنا (همدان الآن) ، ولكن فراره لم ينه القتال ، بل استمرت المقاومة حتى مضى ردح طويل من الليل . ولكن الحرب على كل حال انتهت . وقد استغرق القضاء على كل حركات المقاومة في أنحاء الامبراطورية بضع سنين أخرى ولكن منذ هذه الموقعة اعترف قسم كبير من هذه الامبراطورية بسلطان الاسكندر ، ودان لملكه ، وعد فرار دارا من القتال نزولا عن عرشه . وهكذا فتح العراق أبوابه للاسكندر ، فدخل بابل دخول الظافرين ، فألقيت عليه الأزهار . وقد أبقى الوالي الفارسي على ولايتها ، وسلمت سوسا عاصمة الدولة بدون مقاومة . وجد الاسكندر في القصر الملكي كنزا كبيرا . وأنزل الاسكندر آل دارا في هذا القصر وأبقى والي سوسا الفارسي في منصبه ، ولكنه ولى على حصنها قائداً مقدونيا ، وكذلك عين خازنا للمال من بني قومه وبدأ الاسكندر في ذلك الوقت يدرك أنه من المحال حكم مثل هذه الامبراطورية الواسعة بحفنة من المقدونيين ، وبدت له ضرورة الاستعانة بالفرس . وقد بدا له أن مزج الأجناس المختلفة في الجيش يمهد السبيل لتوحيد الأجناس في امبراطورية واحدة ولهذا فقد أمر بتجنيد فرقة من الفرس تتكون من ثلاثة آلاف من الشباب الايراني ، وأمر بأن يدرب هؤلاء على فنون القتال الغربية .

وعندما ترك الاسكندر سوسا واجه إيران نفسها ، تلك البلاد الجبلية التي كان يسكنها شعب حاكم يستمتع بمزايا عديدة . وكان من الممكن أن يقابل بمقاومة شديدة ولكن لم يكن هناك اتحاد بين أقاليم إيران المختلفة ، كما أن الاسكندر كان له من خلقه وسلوكه وشخصيته وشهرته ما جعله يؤلف حوله أكثرية الفرس . ووصل الاسكندر إلى بيرسيبوليس العاصمة الثانية للدولة الأكمينية فوجد كنزاً آخر وقد أقام الاسكندر في بيرسيبوليس أربعة أشهر ، أرسل في أثنائها حملات صغيرة لاخضاع سكان الجبال . وزار قبر قورش وأمر بالمحافظة عليه . وقبل أن يغادر بيرسيبوليس بقليل وقع فيها حريق هائل أبادها . وقد اختلف المؤرخون في تعليل هذا الحادث فذهب البعض إلى أنه انتقام لحرق أثينا على يد خشيار شاي . وقال بعضهم إنه عمل يرمز إلى القضاء على عظمة الأكمينيين . وقال آخرون إنه لم يحدث عن قصد وإنما وقع قضاء وقدراً نتيجة لإهمال بعض جنود الملك أثناء ساعة من ساعات السكر والطرب التي كان يقضيها الاسكندر وصحبه ومن معهم من النساء اللائي كن يتبعن الجيش إلى كل مكان . ولعل الرأي الأخير أصح الآراء ، فقد كان الاسكندر في ذلك الوقت قد أصبح مالكاً لهذه المدينة وغيرها من المدن الايرانية ، فلماذا يحرق شيئاً هو ملك له . كما أنه لم يعرف عنه إحراق مدينة مفتوحة على كثرة ما فتح من المدن . لقد كان الاسكندر يحترم البيت المالك الايراني ، ولو أراد الانتقام منه أو القضاء على مظهر عظمته لكان إحراق سوسا أقرب إلى تحقيق ذلك ، لأنها كانت العاصمة الكبرى المعروفة في أنحاء العالم المتمدن ، كما أن الاسكندر قرب نفسه إلى الايرانيين باعتزامه الزواج من ابنة دارا ، وكذلك بمحافظته على احترام البيت المالك الايراني وعلى رأسه دارا الثالث ، الذي نال قاتله عقوبة قاسية على يد الاسكندر . فقد علم الاسكندر أن والي بكتريا قد أسر الملك دارا ، وأنه كان يتوجه به إلى المشرق ، فتابع الاسكندر هذا الوالي حتى أدركه بالقرب من دامغان ، وهناك وجد دارا قد فارق الحياة بطعنات خنجر تابعه القديم

والي بكتريا . ويروى أن الاسكندر غطى القتيل بقبائه الملكي ، وأرسله إلى أمه في سوسا وهكذا مضى على الاسكندر في هذه الغزوات أربعة أعوام ونصف عام . وقد عد أتباعه ما وصل اليه حتى ذلك الوقت تحقيقاً لجميع أهدافه ولكن الاسكندر ألقى فيهم خطاباً دعاهم إلى متابعة السير ، فانضموا إلى جانبه. وفي هذا الوقت بدأ الاسكندر يدخل على حياته مظاهر الأبهة الشرقية ، ويرتدي اللون الأرجواني الذي كان يرتديه الملوك الاكمينيون. واستمر الاسكندر في السير شرقاً وأخذ يحتل أقاليم إيران الشرقية ، معاقباً من قاومه من الولاة ، مبقياً على من لم تبد منه مقاومة . وكان حيثما سار يبني مدائن جديدة . وقضى عامين في تأمين الحدود الشرقية لملكه الواسع ، فقضى على ثورات الصغد ، كما لقي بعض المتاعب من أتباعه القدامى ، الذين أحفظ صدورهم ازدياد عدد الشرقيين في حاشيته. وتزوج الاسكندر روكسانا ابنة زعيم ايراني ولاه الاسكندر على بكتريا ، وواصل الزحف حتى نهر سيحون، أي إلى آخر العالم الايراني،وهناك بني سلسلة من القلاع، واسكندرية اخرى تعرف اليوم بمدينة خوجند .

وفي ربيع ٣٢٧ ق.م عبر الاسكندر إقليم هِندوكُش ، ودخل الهند ، وتقدم بها حتى نهر الهندوس . وكان هذا النهر آخر حدود الامبراطورية الفارسية ، فعبره الاسكندر ، وأخذ في التقدم ولكن أتباعه المقدونيين أخطروه بأنهم لن يتبعوه في الغزو إلى أي مدى بعد ذلك . وقد قضى الاسكندر على مقاومة الهنود ، وسار إلى الجنوب في وادي الهندوس ، وبنى أسطولا ، ثم عهد إلى **الاميرال نيركوس** بالوصول من هناك إلى الخليج العربي. وقسم الاسكندر جيشه بعد ذلك إلى فريقين ، فريق يعود بطريق **أراكوسيا** في داخل البر ، وفريق آخر يتبع الساحل ، ويحافظ على اتصاله بالاسطول . وبعد سير منهك طويل التقى الجيشان عند موقع بندر عباس الحالية على خليج عمان . ووالى الجيش السير إلى الري ثم وصل إلى سوسا في ربيع ٣٢٤ ق م .

كان قد مضى على إقامة الاسكندر الأولى في سوسا خمسة أعوام ، وفي أثنائها قوي في نفسه العزم على توحيد العالمين . وقد جعلته الثورة التي قام بها أتباعه القدامى في الهند شديد العزم على متابعة هذه السياسة . واستعرض نبلاء الفرس ، وزاد في عددهم . وتزوج ابنة دارا ستاتريا Statria ، وزوج ابنة دارا الأخرى لأحد قواده ، كما زوج أربعة وعشرين من رؤوساء جيشه ، وعشرة آلاف جندي يوناني بنساء فارسيات .

ترك الاسكندر بعد ذلك سوسا قاصداً إكباتنا (همدان) ، ومن هناك ذهب إلى بابل وكانت هذه آخر جولاته . وفي بابل مرض ومات .

وقد قضى الاسكندر الأشهر الأخيرة من حياته في تنظيم إمبراطوريته ، فحافظ على نظام المقاطعات أو الولايات الذي سار عليه الأكمينيون في حكم إمبراطوريتهم ، ولكنه أدخل على هذا النظام مبادىء إنسانية أوسع . وقد عمل على إبعاد خطر استقلال الولاة بولاياتهم عن الحكومة المركزية بأن جعل إلى جانب الحاكم الفارسي قائدا عسكريا من المقدونيين . وقد كان الاسكندر عالما بكل النظم الادارية التي اتبعها الاكمينيون في الحكم . وقد بينت له الظروف التي مر بها ضرورة اعتماده في الحكم وادارة الدولة على الشعوب المفتوحة ، وهي سياسة لم يحرص الاكمينيون على اتباعها . وكان اليونانيون والمقدونيون يعجبون كيف أن ملكهم يسوى بينهم وبين الإيرانيين ، ولكن ولاء الإيرانيين أكسبهم ثقة الاسكندر ، كما أن معارضة أتباعه له زادت من رغبته في الاعتماد على هؤلاء الناس ، فكان يحرص على أن يحكم لصالح الفرس ، وصالح المقدونيين واليونان على السواء . وقد أدخل الاسكندر في النهاية مبدأ تأليه نفسه ، والظاهر أن المصلحة السياسية دفعته إلى اتخاذ تلك الخطوة . فقد حكم بلاداً كانت تؤله فيها الملوك ، ففي مصر كان الملك يعد من من سلالة إلهية ، وقد رأينا كيف نال الاسكندر اعتراف الاله آمون بأنه ابنه ، وكذلك كان الملك في فارس يعد ظلاً لله على الارض كما أدخل

الاسكندر نظام البلاط الأكميني الذي كان يقضي بسجود من يدخل إلى حضرة الملك. وكان هذا التقليد موافقا لما تعودت عليه شعوب الشرق في ذلك الزمان.

وحين وصل الاسكندر إلى الهند ، كان ربع جيشه فقط من المقدونيين ، أما البقية الباقية فكانت من أنحاء أخرى من الامبراطورية الفارسية . فقد اقتضت الضرورات الإدارية والعسكرية إشراك العنصر الفارسي وكان الاسكندر ينظر إلى هذا التعاون لا على أنه خضوع من المهزومين لإرادة الفاتح ، وإنما على أنه تعاون بين أكفاء وهذا يفسر لنا مسلك الإيرانيين وشعورهم نحو حاكمهم الجديد ، فإنهم لم يشعروا بأنهم أمة مغلوبة يحكمها أجنبي ، وإنما ظلوا سادة لبلادهم . وليؤكد لديهم هذه الحقيقة فتح الباب أمامهم للدخول ضمن دائرة أصحابه المقربين . وكان من صحب الاسكندر عدد غير قليل من نبلاء الفرس كما تلقى ثلاثون ألفاً من شباب الفرس العلم على يد أساتذة يونان ، تعلموا من الأساتذة اللغة اليونانية والفنون العسكرية . وانضم جنود من الفرس إلى جيش المشاة . لقد حنق اليونانيون والمقدونيون لما رأوه من تقريب الاسكندر لأبناء الشرق ، وقاموا ببعض الثورات ، ولكن هذه الثورات لم تؤثر في اتجاه الاسكندر لتوحيد العالم، فمضى ينشىء المدن والمستعمرات لا لتقيم بها الجيوش وتخيف الثوار فحسب ، وإنما لتخلق حضارة يمتزج فيها الشرق بالغرب، وينعم بها أهل الشرق وأهل الغرب على السواء .

لقد ربط الاسكندر بين الشرق والغرب ، وحقق الحلم الذي كان يحلم به الأكمينيون . وقد ساعد هذا التوحيد على زيادة الرخاء في أرجاء هذه الدولة الواسعة ، ولكن لم يكن من الممكن أن تؤتي هذه السياسة ثمارها خلال حياة الاسكندر القصيرة ولكن الرجل عمل باخلاص لتلك السياسة ، فاهتم بالمواصلات كما صنع الأكمينيون من قبل ، وعرفنا عنه الاهتمام بانشاء الطرق ، واكتشاف الطرق البحرية ، كما صنع دارا الأكبر . ولم يعرف عن الاسكندر الاهتمام بحيازة الكنوز ، وإنما كان يأمر بتحويل ما يجده من كنوز في البلاد

التي يفتحها إلى عملات فضية ، وقضى بذلك على النظام الذي كان متبعاً أيام حكم الأكمينيين ، والذي كان يتيح صدور عملة امبراطورية وعملات أخرى محلية . ولما أصبحت عملة الاسكندر هي العملة الوحيدة المستخدمة في كل أرجاء امبراطوريته الواسعة ، فقد تحقق نوع من الارتباط الاقتصادي الوثيق بين هذه الأرجاء . وكان الاسكندر كريماً فأغدق عطاياه على كثيرين من أتباعه ، وأغنى أفراد جيشه ، فانتقل الثراء بذلك إلى أنحاء مختلفة من دولته. ووجد اليونان فرصاً جديدة أتيحت لهم في هذه الامبراطورية الواسعة الجديدة بعد أن كانت الحروب قد أفقرتهم ، فهاجر كثيرون منهم الى الخارج يبحثون عن العمل . وقد أقام أكثر اليونانيين المهاجرين في مدن أنشأها المقدنيون ليقيم بها المحاربون القدماء أو الجرحى من القوات المحاربة . وقد حضر التجار اليونانيون إلى هذه البلاد فوجدوا عملاء كثيرين من اليونانين والمقدونيين ، وكذلك من الايرانيين الذين تأثروا بالاغريق ، وساروا على نهجهم في الحياة . وازدهرت التجارة ، وساعدت الطرق والقنوات على سهولة المواصلات ، ووصول البضائع إلى أماكن لم تكن تصل إليها من قبل ، ولاح في الأفق أن هذه الوحدة بين اليونانيين والايرانيين مقضي لها بالدوام ، وأن هذه الوحدة التي سادت في ظل من السلام والأمن سوف تكون مصدر رخاء لشعوب الامبراطورية . ولكن موت الاسكندر غيّر مجرى الحوادث وقاد العالم الى مصائر أخرى .

السلوقيون :

لم تعش الامبراطورية التي أنشأها الاسكندر بعد وفاته ، واختفت فكرة الوحدة التي دعا اليها الاسكندر وحارب لتحقيقها . وغرق العالم بعد وفاته في حروب طاحنة بين أتباعه ، دامت أربعين عاماً . وحاول رؤساء الجيش أن يصلوا إلى حكم الممالك ونسي أمل الاسكندر الذي كان يهدف اليه ، وهو تحقيق الوحدة بين الشعوب ، وإزالة الفرقة بينها. وبعد واقعة ابسوس التي جرت في عام ٣٠١ ق . م . انقسمت دولة الاسكندر الى ثلاث ممالك : مملكة مقدونيا ، ومملكة البطالسة في مصر ، ومملكة السلوقيين في آسيا .

كان سيلوقس مؤسس هذه الدولة من أقرب أتباع الاسكندر وأكثرهم تشبعاً بآرائه . كما أنه كان خبيراً بالعالم الايراني ، فقد تزوج سيدة إيرانية ، كما ولاه الاسكندر جيش الفرسان المكون من نبلاء الفرس . وقد حاول أن يسير في ملكه على سياسة الاسكندر بخلق دولة متحدة من الايرانيين والمقدونيين . وأنشأ مدينة سيلوقيا على نهر دجلة،ومدينة أنطاكية بسوريا . وجعل سيلوقيا مركزاً للقسم الشرقي من دولته وأنطاكية مركزاً للقسم الغربي. وقد ظل خلفاؤه ينظرون بأمل الى المستقبل طالما كانت العاصمة الشرقية سيلوقيا في أيديهم. ولكن دولة جديدة ظهرت في اقليم پارثيا بايران تعرف بدولة البارثيين استولت على سيلوقيا بعد قرن ونصف ، فلم يبق من امبراطورية السلوقيين سوى سوريا . ولم تلبث هذه ان وقعت تحت سلطان روما .

دولة البارثيين: نشأت دولة البارثيين من قبيلة پارني parni إحدى قبائل البدو التي كانت تعيش في المراعي الممتدة بين بحر قزوين وبحر آرال . كان هؤلاء الناس فرساناً ومحاربين أشداء ، ووصفهم الكتاب القدماء بأن أقصى سعادتهم كانت في الموت أثناء القتال . أما الموت لأسباب طبيعية فكان يُعد عاراً لديهم. والظاهر أن هذه الدولة بدأت في الظهور نحو ٢٥٠ ق. م. وقد قامت بين البارثيين وبين السلوقيين منازعات وحروب انتهت بانتصار البارثيين ، وأصبحت دولتهم تمتد في عهد ميتريداتس Mithridates المتوفي سنة ١٣٧ ق. م. من نهر الفرات إلى هراة (الواقعة في أفغانستان الآن) . وعلى الرغم من أن دولة البارثيين كانت دولة إيرانية إلا أنها كانت متأثرة بالحضارة اليونانية ، والثقافة اليونانية . وكانت في أنحاء هذه الدولة مدن يونانية تنتقل منها آثار اليونان الثقافية والاجتماعية إلى أنحاء أخرى .

وقد دارت بين هذه الدولة وبين الدولة الرومانية – التي كانت في ذلك الوقت دولة فتية – منازعات وحروب كثيرة ، ولكن لم تستطع إحداهما القضاء على الاخرى. وكانت أرمينا أهم المناطق التي كثر تنازع الدولتين عليها.

الساسانيون

كان اقليم فارس موطن انبعاث الحضارة الايرانية من جديد في القرن الثالث الميلادي . فقد أقام الساسانيون في ذلك القرن دولة إيرانية الطابع ذات دين قومي هو الدين الزردشتي وكذلك أقاموا حكومة مركزية قوية استطاعت أن تكبح جماح الحكام الاقطاعيين ، كما جندوا جيشاً قوياً مدرباً وأنشئوا نظاماً إداريا محكماً . وبظهور الدولة الساسانية على مسرح التاريخ أصبح العالم في ذلك الوقت تتنازعه قوتان هما روما وإيران .

لقد كان الساسانيون يحاولون أن ينفذوا سياسة خارجية أساسها القوة والمحافظة على دولتهم ، ولذلك فقد وقعوا في حروب كثيرة، فكانوا يحاربون الرومان في الغرب ، والكوشيين والأفثاليين في الشرق ، ثم قبائل البدو في الشمال . وقد ظلت الحروب قائمة بينهم وبين الدول المجاورة من آن لآخر ، خلال مدة دولتهم التي تزيد على أربعة قرون . وقد أنهكت هذه الحروب المتوالية قوى الدولة ، وزادت من ضعفها الخلافات الداخلية . فهناك الحكام الاقطاعيون الذين كانوا يتربصون بالدولة الدوائر لاسترداد سلطاتهم التي قضت عليها السلطة المركزية القوية . ثم هناك بعد ذلك القادة العسكريون الذين تنـــازعوا السلطان فيما بينهم ، حين ضعف الملوك ، وكذلك المؤمرات التي كانت تحاك حول العرش ، ثم الظلم الذي انتشر وأدى إلى قيام ثورة شيوعية أريقت فيها الدماء ، وزلزل كيان المجتمع الايراني . وقد سهلت هذه الأمور مهمة العرب الذين ظهروا على مسرح التاريخ ، بعد أن وحد الاسلام بينهم ، فسددوا الى دولة الفرس ضربة قضت عليها .

كان ساسان جد هذه الاسرة سادنا من سدنة معبد الإلهة أناهيتاAnahita، في اصطخر وقد ورث ابنه بابك وظيفته هذه ، وتزوج ابنة أحد الأمراء المحليين ، ثم غلبه على الامارة، وذلك في عام ٢٠٨ ميلادية ، فلم يعترف الملك البارثي بعمله هذا ، ورفض الموافقة على أن يخلفه ابنه شابور في هذه الامارة. فوقعت الفرقة بين الأمير وملكه .

وعندما مات بابك كان ابنه اردشير قائداً عسكرياً في بلدة دارابجرد Darabgerd ، وهي إحدى مدن إقليم فارس وقد رفض الاعتراف بأخيه شابور أميرا ، وكادت تقع الحرب بينهما ، ولكن شابور مات فخلا الجو لأردشير الذي بدأ يخضع الحكام الاقطاعيين في اقليم فارس حتى دان له الاقليم كله ، ثم امتد نفوذه بعد ذلك خارج الاقليم الى اصفهان وكرمان . وفي هذه اللحظة ذعر الملك البارثي ارتبانوس الخامس Artabanus للنجاح الذي أحرزه أردشير ، وأمر ملك الأهواز بأن يحاربه ، ولكن أردشير انتصر على ملك الأهواز ، ثم هزم جيش الملك البارثي في ثلاث وقائع متتالية ، وأخيراً قتل الملك البارثي في الموقعة النهائية التي جرت بينه وبين أردشير في سوسيانا ، وذلك في عام ٢٢٤ م ، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام أردشير للتقدم الى طيسفون (المدائن) ، وهناك توج ملكاً بعد عامين ، أي في عام ٢٢٦ م . وقد تم ذلك بعد خمسة قرون ونصف من هزيمة الاكمينيين على يد الاسكندر. وقد ذكر الساسانيون أنهم من سلالة الأكمينيين ، فكان ظهورهم بعثاً للقومية الايرانية ، والحضارة الايرانية التي كان الاكمينيون أول ممثل لها على مسرح التاريخ .

ولم تكن هزيمة الملك البارثي أرتبانوس الخامس نهاية لمتاعب أردشير ، فقد نهض لمقاومة عدد من الملوك تحالفوا عليه ، وكان منهم ملك أرمينا والملك الكوشي ، ومعهما حلفاء آخرون ، ومن وراء الجميع روما . ولكن أردشير استطاع ان يهزم هذا الحلف . فانسحب الجميع من الميدان إلا ملك أرمينا

الذي قاوم عشر سنوات ثم لحقت به الهزيمة . وبهذا أصبح ملك أردشير يمتد من الفرات الى مرو وهراه وسجستان . وبعـــد ان انتهى من القضاء على الاضطرابات في داخل بلاده ، التفت الى حدوده يقويها ويحصنها . وقد أدى هذا الى الصدام مع الرومان ، ولكن أردشير خرج من هذا الصدام ظافراً بقلعتي حران ونصيبين .

ولقد دام ملك أردشير نحو ١٥ عاماً استطاع في خلالهـا أن يقضي على أعدائه الواحد بعد الآخر ، وأن يبني الامبراطورية الايرانية من جديد. وكان أعظم عمل قام به توحيد الجيش ، فأصبح بذلك أداة قوية لتحقيق سياسته . وقد أشرك معه في الحكم ابنه شابور ، كما أن الروايات تشير إلى كثرة اعتماده على ابنه قبل أن يموت ببضع سنوات .

وقد ورث شابور من أبيه دولة بقي فيها كثير من نظم البـارثيين ، وفي مقدمتها نظام الاقطاع ، ولكن الساسانيين نظموا هذا الاقطاع ، وذلك بأن أخضعوه لقدر كبير من الادارة المركزية. وقد قامت هذه الدولة على دعامتين قويتين هما الجيش المنظم والادارة الحازمة

وقد وجه شابور اهتمامه الى الشؤون الخارجية منذ بـــدء حكمه . لقد ظهرت الدولة الكوشيةمصدر خطر سياسيواقتصادي بالنسبة للدولةالجديدة. وقد تقدم شابور لمحاربتها ، يحدوه الأمل في تأمين حدوده الشرقية ، وكذلك الاستيلاء على الثروات التي تراكمت في هذه الدولة نتيجة لازدهار تجارتهـــا الخارجية . وقد نجح شابور في إيقاع الهزيمة بالأسرة الكوشية ، ووصل في غزواته الى سمرقند وطشقند . وكان من نتائج هذا الغزو القضاء على الأسرة الكوشية ، وإضافة قسم كبير من أملاكها الى الدولة الساسانيـة ، وإحلال أسرة موالية للفرس محل هذه الأسرة المغلوبة .

وبعد أن تم لشابور انتصاره في الشرق ، اتجه الى الغرب ، فوقعت بينه

وبين الروم حروب انتهت باستيلائه على جزية كبيرة[1] وضم العراق وأرمينيا إلى أملاكه . وكان ذلك في عام ٢٤٤ م . وبعد خمسة عشر عاماً من هـذا التاريخ استؤنفت الحرب بين الفرس والروم ، وانتصر الفرس انتصاراً باهراً بجوار الرها، ووقع الامبراطور فاليريان أسيراً في قبضة شابور، وكذلك أسر ألوف من الرومان،سيقوا الى النفى في إيران حيث استقروا في مدن بنيت على طريقة المعسكرات الرومانية ، وذلك في عام ٢٦٠ م . وقد أمـد هؤلاء الامبراطورية بالاخصائيين والمعماريين والمهندسين والفنيين الذين استخدموا على نطاق واسع في الأعمال العامة ، وبخاصة بناء الجسور والقناطر والطرق التي سببت رخاء عظيماً لاقليم خوزستان الغني . ومن العجيب أن بعض بقايا هذه المنشآت لا يزال يستخدم حتى اليوم .

والى جانب فتوحاته العسكرية فان شابور أكمل ما بدأه أبوه من تنظيم داخلي للامبراطورية . ولقد كان واسع الاهتمام بالمعارف ، ولذلك فقد أمر بترجمة كثير من المؤلفات اليونانية والهندية التي تتعلق بمختلف مسائل العلم كالطب والفلك والفلسفة . ولما كان هذا الامبراطور منشئاً لدولة واسعة فقد اهتم اهتماماً كبيراً بماني وديانته. وكان ماني هذا داعية آسيويا ، ظهر في ايران بمذهب جديد اقتبست عناصره من الزردشتية والمسيحية والبوذية . وكان يهدف بدينه الى توحيد العالم في ظل دين واحد . وقد اهتم شابور بهذا الدين وقرّب ماني وأيده . ولكن دعوة ماني بما اشتملت عليه من حث على الزهد، وتنفير للناس من الاهتمام بالمادة ، واعتبارها شراً لا بد من التخلص منـه ، جعلت هذا الدين عاجزاً عن الوفاء بحاجة دولة عظيمة، تقوم على أساس دنيوي مكين . ولهذا فقد انعكس الحال بالنسبة لماني بعد وفاة شابور ، (٢٧٢م) ، حيث اضطهد ثم قتل أيام حكم بهرام الأول .

لسنا نعرف الكثير عن حكم ابني سابور هرمز الأول وبهرام الأول . وفي عهد بهرام الثاني (٢٧٦ – ٢٩٣ م) وقعت حرب جديدة بين إيران وروما،

---

(١) تعويضات حرب .

كما وقعت في الوقت نفسه ثورة في شرق الامبراطورية ، ذلك لأن أخا الملك الذي كان حاكما لاقليم سجستان حاول الاستيلاء على الملك ، وقد أيده في ثورته الأمير الكوشي الذي حاول أيضاً أن يستعيد استقلاله عندما أحس بضعف الدولة الحاكمة . وهكذا اصبح بهرام الثاني مهددا من جهتين . وكان الخطر على تاجه هو أهم الاخطار ، ولكى يتفرغ لمواجهة هذا الخطر عقد صلحا مع روما وتنازل لها بمقتضى هذا الصلح عن شمال العراق وأرمينية . أما بهرام الثالث فقد حكم بضعة أشهر ثم خلعه عن عرشه نرسه أحد أبناء سابور الأول . ولم يفتتح عهد هذا الملك افتتاحا سعيدا ، فقد انتهت الحرب بينه وبين روما بكارثة ، ووقع كل أفراد أسرته أسارى في أيدي الأعداء ، كما حدث لدارا الثالث . وقد اضطر إلى توقيع صلح أفقد إيران بعض الاقاليم الواقعة إلى شرق نهر دجلة . ولم يسبق لروما أن أحرزت مثل هذه المكاسب من إيران، ولذلك فقد قنعت بهذا النجاح ، وظلت مبتعدة عن الحرب أربعين عاما . ولم تعد لإيران القوة الكافية لتقاوم بقوة السلاح انبعاث المملكة الكوشية ، وإنما حاولت أن تبعد هذا الخطر عن طريق المصاهرة ، فتزوج هرمز الثاني ابن نرسه (٣٠٢ – ٣٠٩) من أميرة كوشية ، وكانت هذه المصاهرة تعبيرا عن مودة الكوشيين للساسانيين .

وقد أدى موت هرمز الثاني إلى ترك العرش لشاب صغير هو سابور الثاني الذي حكم سبعين عاما ، وكان في عهده الطويل ما يماثل عهدي جديه أردشير وسابور الأول ، ففي أيام حداثته وجد الكوشيون الفرصة سانحة لمهاجمة الامبراطورية وذلك لما كانت تعانيه إيران من ضعف وتفكك فاستعادت الدولة الكوشية قوتها السابقة ، بل وقامت بغارات على إيران أفقدتها بعض الأقاليم التابعة لها . ولكن عندما بلغ سابور الثاني أشده تبع سميه سابور الأول ، وقام بمحاربة الكوشيين ، وقضى على إمبراطوريتهم ، وجعلها إقليما تابعا لإيران ، ثم عهد بحكمها إلى ملوك اختارهم من بين الأمراء الساسانيين الذين كانوا يقيمون في بلخ. ولقد أعقب النصر العسكري توسع ثقافي وسرعان

ما انتشر الفن الساساني شرقا ، وذلك من خلال الباب الذي فتحته أمامه الجيوش المظفرة وقد وصل هذا الفن في امتداده إلى تركستان الصينية ، بل إلى الصين نفسها .

وبعد أن أمن نفسه في الشرق اتجه سابور إلى الغرب ، وكان هدفه من وراء ذلك أن يقضي على الاتفاقيتين المهينتين اللتين عقدهما سلفاه بهرام الثاني ونرسه مع الرومان . وقد فقدت إيران بمقتضاهما أكثر أقاليمها الغربية. وقد طالت الحروب وامتدت ، وكان النصر في أول الأمر للرومان ، ولكنه تحول إلى الإيرانيين وقد توقفت الحروب قليلا عندما وقعت غارات قام بها البدو على الأقاليم الشرقية من الدولة ، وانتهت حملات سابور على البدو بالاتفاق معهم على أن يقيموا على أرض الكوشيين كحلفاء ، ويتعهدوا بإمداد الملك بجنود يعاونونه في حربه مع روما . وقد حاول الرومان الاتفاق مع الفرس ، ولكن الايرانيين رفضوا وتجددت الحرب . وقد نجح سابور آخر الأمر في الاستيلاء على أرمينية ،وسلك سابور تجاهها نفس السبيل الذي سلكه تجاه بلاد الكوشيين ، فولى عليها حاكما عسكريا من الإيرانيين .

وبدأ عهد جديد من الصراع بين روما وإيران وذلك باعتناق قسطنطين الأكبر ، وكذلك أرمينية ، للديانة المسيحية فقد أدى هذا إلى إيجاد علائق وثيقة بين أرمينية وبيزنطة ، وذلك على الرغم من أن بعض نبلاء أرمينية حاولوا أن يحافظوا على علاقات وثيقة مع إيران التي كانت حضارتها قد أثرت في بلادهم تأثيراً عميقاً وقد أصبحت أرمينية ، وهي التي كانت محور الصراع بين روما وإيران ، أصبحت وقد أنقسم سكانها إلى قسمين ، قسم يؤيد روما ، والآخر يؤيد إيران . ولم تفلح سياسة سابور في أن تهدىء من حدة ذلك الصراع . وعندما أصبحت المسيحية هي الدين الرسمي للأمبراطورية الرومانية أصبح ولاء الرعايا المسيحيين في الامبراطورية الإيرانية موضع شك بالنسبة للفرس ، وكثيراً ما اضطهد المسيحيون وأريقت دماؤهم خلال السنوات التي تلت من حكم الأمبراطور الفارسي .

وفي القرن الذي تلا وفاة سابور الثاني وقعت منازعات قوية بين العرش الذي جلس عليه حكام ضعفاء وبين الحكام الاقطاعيين الذين تحالفوا مع رجال الدين الزردشتي الأقوياء . وعلى الرغم من أن الملوك الأقوياء قد حاولوا من قبل القضاء على ما كان يتمتع به هؤلاء الأمراء الاقطاعيون ورجال الدين من سلطات ، فان هؤلاء قد استطاعوا استعادة سلطانهم ، بل ووسعوا نفوذهم ، وأصبحت بعض المناصب الكبيرة التي تولوها وراثية في أسرهم . وقد أضعف هؤلاء من سلطة الملوك بمعارضتهم القوية المنظمة لهم ، وفي النهاية لم يعد للملك الحق في أن يعين خليفته ، كما كان الحال أيام الساسانيين الأقوياء، وبذلك أصبحت إيران مملكة يختار ملكها من بين أفراد الأسرة الساسانية ، مما فتح السبيل أمام الانقسامات الداخلية التي جعلت منها شيعا وأحزاباً ينضم كل منها إلى أحد المطالبين بالعرش .

لقد بدأت قوة النبلاء تظهر أيام أردشير الثاني ، وتوطدت أيام سابور الثالث وبهرام الرابع . وكان من الصدف ان قوة هؤلاء النبلاء قد زادت في وقت أرادت الدولة فيه أن تحل مشكلة أرمينيا ، فقد حاولت إيران أن تتفق مع روما بتقسيم أرمينية (عام ٣٨٤) ، وحصلت إيران على السيادة على أربعة أخماس هذه البلاد ، وولي حكمها ملك أرميني ، ولكن لم يدم الحكم الوطني في أرمينية طويلاً إذ انها أصبحت في عام ٤٢٨ إقليما يديره الموظفون الساسانيون . وهذا ما حدث للمنطقة التي اعترف لروما بالسيادة عليها . وقد كانت معاملة المسيحيين أيام هؤلاء الملوك الثلاثة تتسم بالتسامح أو تتجه إلى التسامح ، على العكس مما كان عليه الحال أيام سابور الثاني ، ولكن سياسة إيران في تلك المسألة كانت على أية حال بحسب الموقف الخارجي، وشخصية الأمير الحاكم ، ولهذا فقد حدث تغير كبير في معاملة المسيحيين أيام حكم يزدجرد الأول . فلقد كان هذا الملك متزوجاً من يهودية، وأظهر من العطف على النصارى ما جعلهم يسمونه بالملك المسيحي ، وجمع لهم مجلساً وولى جاثليق في سلوقيا وخمسة من رجال الدين أصغر رتبة من الجاثليق في

خمس مدن اقليمية. وقد سمح بحريّة انتقال رجال الدين خلال البلاد . ولكن النصارى لم يحسنوا استخدام هذه الحقوق ، واتهموا حينذاك بالعدوان على بعض معابد الزردشتيّين وموابذتهم . وازاء ذلك اضطر الملك الى أن يغير سياسته نحو النصارى .

بيد أن الصدام الأول كانبين إيران والدولةالجديدة التي ظهرت في الشرق وهي مملكة الافثاليين وقد وقع في أيام يزدجرد الأول.فبعد أن أقام هؤلاء في بلاد الكوشيين باذن من سابور الثاني بوصفهم حلفاء له ، نجحوا في طرد الكوشيين ، وكونوا مملكة قوية في أوائل القرن الخامس ، وانتهزوا فرصة الضعف الإيراني ليتوسعوا على جانبي اقليم هندوكش مهددين بذلك الهند .

وعند موت يزدجرد الأول قام صراع عنيف بين أبنائه على وراثة العرش . وقد فاز بالعرش من بين هؤلاء بهرام الخامس (٤٢١ – ٤٣٨ م) ، وذلك بفضل المساعدة العسكرية التي تلقاها من أمير الحيرة ، تلك الإمارة العربية غربي الفرات التي كانت خاضعة للنفوذ الساساني . وكان هذا الأمير قد تربى هناك . وقد كان تدخل الأجانب في شؤون الدولة على هذا النحو سابقة تكررت فيما بعد وأدت إلى انهيار الدولة في نهاية الأمر . وكان بهرام الخامس أشهر الملوك الساسانيين ، وقد تركزت شهرته حول براعته في الصيد والشعر والموسيقى . وتحدثت الأساطير كثيراً عن براعته في الشعر وذكر بعضها أنه أول من نظم الشعر الفارسي . وقد ظلت سيرته موضوعاً محبباً الى قلوب فناني إيران خلال العصور حتى بعد سقوط الدولة الساسانية .

وقد تجنب هذا الملك الصدام مع الأمراء الاقطاعيين ، وذلك بالتنازل عن حقوق الملكية إزاءهم . أما في الخارج فقد حارب الأفثاليين وأوقف أطماعهم في التوسع ، ولكنه لم يوفق في حرب صغيرة وقعت بينه وبين بيزنطة . وكانت العودة إلى اضطهاد المسيحيين سبباً في هذه الحرب التي انتهت باتفاق على منحهم حرية العبادة . وقد حلت مشكلة المسيحيين في عهده حلاً حاسماً

وذلك بأن دعا الجاثليق الى عقد مجمع للمسيحيين الإيرانيين أعلن فيه إنفصال الكنيسة المسيحية في إيران عن كنيسة بيزنطة ، وبذلك لم يعد الملك الفارسي ينظر إلى المسيحيين الإيرانيين كمتآمرين على عرشه لصالح بيزنطة .

وجاء من بعد بهرام الخامس يزدجرد الثـــاني (٤٣٨ – ٤٥٩) الشهير بالأثيم . وقد نجح المسيحيون كثيراً في اكتساب ثقة هـذا الملك الذي أظهر اهتماماً بمسائل الدين ، ودرس الاديان التي كانت منتشرة في إيران . ولكن هذا الملك ظل زردشتياً مخلصاً ، وفي النهاية اضطهد اليهود ، والنصارى. وقد أدت محاولته لتحويل أرمينيا من المسيحية الى الزردشتية الى قيام ثورة هائلة حينما كان الملك مشغولا بحرب الأفثاليين ، وهزم الجيش الايراني في أرمينيا ، فأقبل اليها يزد جرد ، ودخلها وهزمها وجردها من قادتها ، وذلك بنقله آباء الأسر ورجال الدين الى إيران .

وجاء من بعده فيروز (٤٥٩ – ٤٨٤) فساءت حالة الامبراطورية في عهده . ولقد افترست المجاعة المدن والقرى سنوات عدة مما اضطر الملك الى رفع الضرائب ، وتوزيع القمح ، كما مزقت الخلافات الدينية وحدة البلاد . كان الملـك يضطهد اليهود في حين انقسم النصارى إلى نساطرة (وهم الذين يعتقدون بطبيعتين للمسيح : طبيعة آدمية وطبيعة إلهية) ، ويعاقبة (وهم الذين كانوا يعتقدون أن هاتين الطبيعتين اتحدتا في شخص المسيح) . وأدت الحرب التي قام بها هذا الملك ضد الأفثاليين إلى ما يشبه الكارثة . وقد هزم هذا الملك وأسر ولم يسترد حريته إلا بعد أن دفع دية كبيرة . وقد ترك ابنه قباذ رهينة عندهم على حين عمل هو على جمع الدية بفرض ضرائب ، ولجأ إلى روما لمساعدته .

ولقد كانت سياسة بيزنطة تجاه فارس في ذلك الوقت تهدف إلى الابقاء على شيء من قوة فارس، ذلك لأنه كان من الصعب عليها الاحتفاظ بممتلكاتها في الشرق إذا ضعفت فارس أمام هجمات المتبربرين من الشرق . كانت فارس

تمثل حاجزاً بين هؤلاء وبين ممتلكات الدولة البيزنطية. وكذلك فإن الروايات البيزنطية تذكر أن الامبراطور زينو قد دفع للأفثاليين الفدية التي طلبوهـــا لاطلاق سراح فيروز . وكانت فارس تهاجم بلاد ما بين النهرين عندما تشعر بقوتها ولكنها كانت تكف عن ذلك الهجوم حينما تشغل بغارات المتبربرين في الشرق ، ولذلك فقد كان من المهم للدولة البيزنطية ان تبقى فـارس ، لكن بشرط ألا تكون قوية تستطيع تسديد الضربات اليها . فإذا قويت وخلصت من المشكلات في وقت من الأوقات عملت بيزنطة على إضعافها بتسديد بعض الضربات اليها وقد هدأت الأمور بين الافثاليين وبين الفرس بضع سنوات أعانت فيروز على إعادة تنظيم مالية البلاد . فلما شعر بشيء من القوة عزم على مهاجمة الأفثاليين وعلى الرغم من نصحه بالعدول عن ذلك أصر على القيام بالهجوم ، ونفذه فعلاً في عام ٤٨٤ ، فهزم وقتل في المعركة .

وبعد موت فيروز، أصبح الأفثاليون هم القوة المسيطرة على إيران بعد أن كانوا من قبل يمثلون قوة خاضعة للنفوذ الايراني . ولم يقتصر الأمر على فرضهم جزية كبيرة كان يحصل عليها ملك الافثاليين من إيران، وإنما تعدى ذلك الى تدخلهم في الشئون الداخلية للبلاد ، وبخاصة فيما يتعلق بولاية العرش ، إذ كثيراً ما كانو يساندون أحد المطالبين بالعرش ضد الآخرين ، ويسيطرون عليه حين يصل الى حكم إيران . وقد دامت هذه الحالة نصف قرن بعد وفاة فيروز ، حكم خلاله أربعة ملوك .

ولي الملك بلاش (٤٨٤ — ٤٨٨) ، بعد فيروز ، ولم يلبث في الملك إلا أربع سنوات ثم خلفه قباذ ولما كان قباذ هـــذا قد قضى شبابه عند الأفثاليين ، فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنهم هم الذين أعانوه على ولاية العرش، وذلك في عام (٤٨٨) .

وقد كانت الحرب الفاشلة التي قام بها فيروز سبباً من الأسباب التي أشاعت الاضطرابات في البلاد. كانت المجاعات المتوالية وهزائم فيروز مما جعل الدولة

على شفا الإفلاس . وكانت الدويلات التابعة لها ثائرة ، وحدودهـا معرضة لهجمات البدو. وكان الهون البيض يغيرون على حدودها الشمالية، والأفثاليون يتقاضون منها الجزية المالية ، في حين كانت خزانة الدولة خالية . وقـد حاول قبـاذ أن يستعين بالدولة البيزنطية ، فوالى إرسال السفراء الى القسطنطينية ، ولكن ذلك لم يجده نفعاً . وكان عليه ان يختار في الجبهة الداخلية بين تأييد النبلاء وبين عامة الشعب الذين تابعوا مزدك في دعوته التي كانت ذات طابع ديني واجتماعي . وقد ساند قباذ مزدك محاولاً بذلك ان يضعف سلطة النبلاء ، ويكتسب العامة الى جانبه .

كانت دعوة مزدك دينية تشتمل على عقائد عن خلق العالم وطبيعته وعن الحياة الأخرى . وقد استمدت هذه العقائد من دعوة ماني ، كما أنها دعت أتباعها إلى الابتعاد عن العنف وتجنب الحقد على الغير أما دعوتها الاجتماعية فكانت تتلخص في وجوب تقسيم الممتلكات الدنيوية بين الناس بالتساوي ، وعدم الاختصاص بالنساء . وقد كانت هذه الدعوة ثورة بالنسبة لايران التي لاحظنا كيف أنها كانت تقوم الحياة فيها على نظام الطبقات ، ذلك النظام الذي كان قائماً على الأسرة وعلى المال والاقطاع. وقد تحدث البعض عن حركة مزدك هذه ووصفها بأنها الشيوعية الإيرانية . ولكن هذه الدعوة كانت قائمة على الدين وعلى الاعتقادات الدينية السابقة ، فبينها وبين الشيوعية الحديثة فرق شاسع . ولعل هذه الثورة كانت احتجاجاً من الفقراء والعبيد — الذين تحرروا بعض الشيء — على ذلك الاقطاع الذي كانت تعيش فيه إيران، واحتجاجاً على حريم النبلاء الذي كان يضم الكثير من النساء .

لقد أيد قباذ هذه الدعوة ، وسن قوانين جديدة تتعلق بالوضع الجديد للنساء في ظل هذه الحركة ، ولكن مؤامرة قامت ضده أقصته عن العرش وانتهت به إلى السجن . وقد أنقذ من الموت ولجأ إلى الأفثاليين ، ثم عاد إلى إيران ومعه جيش أفثالي، ونجح في إقصاء أخيه جاماسب عن العرش،

واسترد الملك . وقد اضطر بعد عودته إلى إيران على هذا النحو أن يبقى على ولائه للأفثاليين ويدفع لهم الجزية ، كما يدفع مرتبات جنودهم الذين ظلوا في خدمته .

وقد والى أتباع مزدك ثورتهم ، وأحدثوا ألواناً من العنف والعدوان ، مغتصبين أملاك النبلاء ، معتدين على النساء. وعندما عاد قباذ إلى عرشه كان له موقف آخر من قادتهم ، فلم يظهر تحمسه لهم ، وكان من بينهم بعض النبلاء الذين أظهروا إيمانهم بهذه الحركة وتبنوها . ولما عارض هؤلاء في تعيين ابنه كسرى (خسرو) وريثاً لعرشه قرر أن يقطع صلته بهم وتأييده لهم . وعقدت مناظرة بين المزدكيين من جانب والزرادشيين والمسيحيين من جانب آخر ، وقد غُلب المزدكيون ، وقبض عليهم وقتلوا ، وأُحرقت كتبهم ، ولكن هذا لم يكن يعني نهايتهم،فقد أخذوا يظهرون من جديد خلال عصور التاريخ ، وكثرت الفرق التي اعتنقت مذهبهم في إيران أيام العباسيين . ولم تمض هذه الدعوة من غير أن تؤثر في اتجاه قباذ إلى الاصلاحات الاجتماعية ، وتخفيف الظلم عن الفقراء . ولم يتح له أن يحقق شيئاً من ذلك لأن الموت لم يمهله طويلاً ، ولكن خليفته أنوشروان حاول أن ينهض بذلك . وفي أيام قباذ أصبح المذهب النسطوري هو المذهب المسيحي الوحيد الشائع في إيران ، كما أن الكنيسة المسيحية في إيران سمحت للقساوسة بالزواج ، واستطاعت بذلك أن تواجه حملات الزردشتيين الذين كانوا دائماً يحاربون هذه الرهبنة .

وفي عصر كسرى الأول (أنوشروان) ٥٣١ – ٥٧٩ تم النصر للعرش على النبلاء ، بعد أن أضعفهم الصراع مع عامة الشعب . لقد بلغت قوة العرش الساساني أيام هذا الملك أقصى درجات قوتها ، وأيده الجميع ، واعترفوا بسلطانه ، بما في ذلك رجال الدين. وكان من أول ما قام به من أعمال إعادته الممتلكات – التي اغتصبت أيام الثورة المزدكيه – إلى أصحابها،وسنه القوانين التي صححت أوضاع النساء والأطفال الذين اختطفوا من بيوت النبلاء أثناء

هذه الثورة . وقد تولت الدولة تعليم هؤلاء الاطفال ، وأصبحوا بمرور الوقت يمثلون ارستقراطية مرتبطة بالعرش بطريقة أخرى تخالف ما كان من صلة بين النبلاء القدماء وبين العرش .

وقام أنوشروان بإصلاحات في الريف الإيراني، فأعاد بناء القرى والطرق والجسور ، وطهر القنوات ، وزود القرى بالماشية التي كانت تنقصها . وأصلح كسرى النظام الضرائبي وذلك بمسح الاراضي ، وتقدير الضرائب على إيراداتها الفعلية ، مع مراعاة حالة المحصول ونوعه . أما الضرائب على الافراد فقد عدلت أيضاً بحيث تتناسب مع الطبقة التي كان ينتمي إليها الفرد ، ومنزلته في هذه الطبقة . وعلى الجملة فقد حاول هذا الملك أن يدخل شيئا من العدالة في نظامه الضرائبي الذي كانت تعتمد عليه الدولة في الحصول على الإيرادات اللازمة لتصريف شؤونها في الداخل والخارج ولتنفق على الحروب .

وقد أدخل كسرى إصلاحات على الجيش أيضاً ، فعين له أربعة من القادة قسم الجيش بينهم وذلك بدلاً من قائد واحد. وفرض على الناس الخدمة العسكرية، كما خلق طبقة من الفلاحين المحاربين ونهض بوسائل الدفاع عن الدولة ، وذلك باسكان قبائل موالية على حدودها ، كما بنى التحصينات لبحر قزوين ، وذلك ليحمي سهل جرجان الذي يمثل نقطة الضعف في الحواجز الطبيعية التي تتمثل في الجبال المحيطة بايران .

وقد وقّع كسرى اتفاقاً على السلام الدائم مع بيزنطة ولكنه على الرغم من ذلك أغار على سوريا في عام ٥٤٠ ، واستولى على أنطاكية وحرقها ، ونقل أهلها الى مدينة جديدة صممت على غرار أنطاكية ، وبنيت بالقرب من طيسفون . وعقد الصلح بعد ذلك فكان من شروطه دفع جزية مالية كبيرة لقاء إرجاع الحدود الغربية بين الدولتين إلى ما كانت عليه، كما مُنح المسيحيون الحرية الدينية بمقتضى هذا الاتفاق . وفي هذا العام نفسه أحس كسرى بقوته أمام الافثاليين ، فرفض دفع الجزية التي كانوا قد فرضوها على إيران ، وكان

هؤلاء قد أصبحوا حينذاك غير قـادرين على فرض إرادتهم على إيران وبعد ذلك بعشرين عاماً عقد كسرى اتفاقاً مع الأتراك الغربيين،ثم هاجم الأفثاليين وقضى على قوتهم . وقسمت أملاكهم بين القوتين الحليفتـين . وبذلك وصلت حدود إيران الشرقية إلى نهر جيحون . وفي الشمال صدّ كسرى هجوم الهون البيض ؛ أما في الجنوب فقد أضيفت اليمن إلى الامبراطورية.وقد أدى خوف بيزنطة من اتساع دولة الفرس وازدياد قوتها إلى أن عملت على تكوين الأحلاف ضدها ، فاتصلت بالأتراك الغربيين وبالعرب وبالحبشة . وقام صدام في أرمينية بين فارس وبيزنطة برهن على قوة الفرس ، وما لبث كسرى أن أغار على بلاد ما بين النهرين وخرّبها . وبينما كانت مفاوضات الصلح جارية ، مات كسرى بعد أن حكم خمسين عاماً وقد علا صيت هذا الملك في التاريخ الشرقي، واشتهر بمحبته للعدل ، وحرصه على الرعية . ويمكن أن يعتبر عصره قمّة لما وصل إليه العصر الساساني في كل النواحي ، فقد تحققت في هذا العصر أعظم الانتصارات السياسية والعسكرية ، كما ازدهرت فيه حضارة الايرانيين وعلومهم وآدابهم .

ولي بعده ابنه هرمزد الرابع (٥٧٩ — ٥٩٠) .

توالت بعد ذلك الأحداث في الأعوام الباقية من حكم الدولة الساسانية . وكان من أهم هذه الأحداث الصراع بين الفرس والروم في عصر امبراطور الروم هرقل ، وملك الفرس خسرو برويز . وتعاقب على عرش إيران بعد برويز ملوك ضعاف ، وأخذت الدولة تزداد ضعفاً وانهياراً ، وفي النهاية قضى عليها العرب بعد ما تم لهم غزوها في عام ٦٥٢ م .

وسوف نتوقف هنا عن سرد حوادث التاريخ ، لننتقل إلى الحديث عن نظم الفرس في العصر الساساني .

التنظيم والادارة والجيش

نستطيع أن نحصل على فكرة واضحة عن التنظيم الاجتماعي للدولة الساسانية من مصادر ترجع إلى أوائل العصر الساساني . لقد نظم المجتمع في نظام هرمي جامد يتكون من عدة طبقات . ولم يكن من الممكن الانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى . كان الملك على رأس هذا النظام. وجاءت وراءه أربع طبقات تزداد عدديا كلما اقتربنا من القاعدة .

الطبقة الأولى كانت تتكون من الحكام الدائرين في فلك الدولة الإيرانية. هؤلاء الذين سمح لهم بالاحتفاظ باستقلالهم نظير اعترافهم بسيادة إيران . وكان من ضمن هؤلاء أمراء الأسرة المالكة الذين عهد إليهم بحكم الأقاليم الكبرى مثل سجستان وكرمان أو حكم الأقاليم المفتوحة التي الحقت بالدولة كبلاد الكوشيين . هذه الأسر المستقلة قد قلّ عددها بصورة واضحة عنه في أيام البارثيين الذين سماهم العرب ملوك الطوائف لأن الحكم في أيامهم قام على حكام إقطاعيين . كان هؤلاء الأمراء التابعون ملزمين بتقديم الجنود للدولة وكذلك بحماية أقاليمهم ، وبذلك كانوا يكونون قوات الدفاع التي تحرس حدود الإمبراطورية .

الطبقة الثانية التي تلي هؤلاء تتكون من رؤساء الأسر السبع . ووجود أسر سبع لها مثل هذه الأهمية تقليد يرجع إلى العصر الاكميني ، ظل ساريا خلال العصر الساساني . وقد ورث الساسانيون هذا النظام الإقطاعي من البارثيين مباشرة ، فإن قوة النبلاء في أيام هؤلاء قد حرمت العرش من

الاستقرار السياسي . وعلى الرغم من أن الساسانيين قد تقبلوا هذا النظام الإقطاعي فإنهم عملوا جهدهم على إضعاف سلطة النبلاء . ولقد نجحوا في ذلك في أول الأمر ، فضعفت سلطة النبلاء أيام حكم الملوك الأول ، وظلت كذلك حتى وفاة سابور الثاني ، ولكنها عادت فقويت من جديد خلال فترة الضعف والاضطراب التي دامت ١٢٥ عاماً حتى ولي الحكم كسرى الأول (أنو شروان) فهذا الملك وابنه هرمزد الرابع يمثلان آخر ملكين عظيمين في هذه الدولة ، وقد استطاعا اخضاع النبلاء لسلطانهم وقد كان كفاح هؤلاء النبلاء من أجل استرجاع سلطانهم من أكبر الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة وانحلالها وسقوطها في نهاية الأمر . ولسنا نعرف الكثير عن سلطات رؤساء هذه الأسر السبعة . ولكن من المحقق أنهم كانوا ذوي سلطان على أقاليم كاملة، وكان الفلاحون يؤدون لهم ضرائب إلى جانب تلك التي كانوا يؤدونها للملك . وكان هؤلاء النبلاء ملزمين بأن يقدموا الجنود للملك إذا دعت الضرورة إلى ذلك . وقد كان هذا شأنهم أيام البارثيين . وكان بعض هذه الأسر يتوارث بعض المناصب المدنية أو العسكرية ، ولكن الأمر لم يستمر على وتيرة واحدة بالنسبة لاحتفاظ الأسر بالمناصب ، خلال القرون الأربعة التي حكمتها الدولة الساسانية .

الطبقة الثالثة بعد ذلك هي طبقة الكبراء والعظماء ، وقد كانت وظيفة هؤلاء أن يواجهوا نفوذ أبناء الأسر السبع ويوقفوا طغيانهم . وكانت هذه الطبقة تتكون من كبار موظفي الدولة والوزراء ورؤساء الادارات وموظفي البلاط . وكان نمو هذه الطبقة وتطورها عاملا على ادخال عنصر جديد في المجتمع . وقد استطاع الساسانيون باعتمادهم عليهم وعلى الجيش أن ينظموا الدولة ويمنحوها قوة لم تكن لها أيام البارثيين .

والطبقة الرابعة طبقة الرجال الأحرار الذين كانوا يمتلكون الأرض القليلة أو يرأسون القرى ، وهؤلاء كانوا يمثلون حلقة الاتصال بين الفلاحين وممثلي

الحكومة المركزية ، وكانوا أيضاً مسئولين أمام الحكومة عن جمع الضرئب من الفلاحين .

وقد كان الفلاحون يمثلون السواد الأعظم من الأمة ، وهؤلاء كانوا أحراراً من الناحية النظرية إلا انهم في الواقع كانوا في حالة استعباد،مرتبطين بالأرض، وكانوا يباعون معها . فكانت الأرض أو القرية تباع بمن عليها من فلاحين .

هذه هي طبقات الشعب .

ولكن الحكومة الساسانية كانت ذات نظام اداري هرمي أيضاً . كان على قمة هذا النظام كبير الوزراء (بزرگ فرماندار) ، وقد كان هذا الموظف صاحب السلطة الكاملة ، يمارسها تحت اشراف الملك . وكان ينوب عن الملك في غيابه ، كما كان مسئولا عن سياسة الدولة وعلاقاتها الخارجية مع الدول الأخرى وكذلك توقيع المعاهدات والأحلاف . وكانت قيادة الجيش تسند إليه أحياناً، كما كان يرأس الوزارات (وكانت تسمى بالدواوين) التي كان يديرها كتاب ذوو خبرة في كتابة التقارير واعداد المعاهدات وتحرير الرسائل الرسمية . وكانت الدواوين ذات اختصاصات مختلفة ، فمنها ديوان للمحفوظات والرسائل ، وديوان للتوظيف والتشريف أي لاختيار الموظفين ومنح الرتب ، وديوان للقضاء ، وديوان للحرب ، وديوان للمالية . وكان هذا الديوان الأخير أهم الدواوين . كان يرأسه مدير الضرائب الذي كان يعمل تحت إمرته جيش من الصيارفة وجباة الضرائب .

وكان القسم الأكبر من الضرائب يحصل في بلد زراعي كإيران من الخراج الذي يفرض على الأراضي الزراعية ، تضاف إليه الضرائب التي تفرض على الأفراد . ولكن جباية الضرائب في الدول القديمة كانت دائما تتسم بالظلم ، ويصحبها الشيء الكثير من الجور على الأهالي مما كان يسبب اضطرابات وثورات .

وكان الملك أحياناً يحاول أن يخفف الأعبـــاء عن الاهالي بإلغاء

ما عليهم من ضرائب متأخرة أو بالعمل على إصلاح طرق التحصيل .

ولقد كان الملك هو القاضي الاكبر . وكان الفرد يستطيع أن يلجأ اليه إذا لم ينل العدالة في جهة اخرى . وكان للإيرانيين في ذلك الوقت اهتمام بالعدالة وإعجاب بها . وكان القاضي العادل ذا مكانة عالية بينهم . وعلى الرغم من أنه كان هناك ديوان للقضاء، فقد كان رجال الدين هم الذين يفصلون في القضايا، ذلك لأن القوانين والأخلاق كانت مرتبطة بالدين ارتباطاً شديداً.

وبينما كان رجال الدين هم الذين يفصلون في القضايا داخل المدن، كان الرؤساء أو ملاك الأرض المحليون هم الذين يفصلون في القضايا داخل القرى . ولسنا ندري هل كان لتلك البلاد قانون مكتوب أم لا ، ولكن الكتابات الزردشتية على أية حال تتضمن فصولا خاصة بالقوانين ، نص فيها على الجرائم التي ترتكب ضد الملك ، أو ضد الدولة أو ضد الجار . وكان التعذيب ، والامتحان بالآلام لاثبات البراءة أموراً شائعة حينذاك. ولو صحت الكتابات التي تركها شهداء النصارى، لكنا ندرك منها كيف أن الحكام إذ ذاك أفتنوا في ضروب التعذيب والامتحان .

وقد ظلت الإدارة الداخلية للبلاد مبنية على تقسيمها إلى أقاليم أو وحدات إدارية ، كان يحكمها موظفون كبار، يختارون من بين أعضاء الأسرة المالكة أو النبلاء، وفي أواخر أيام الأسرة كانوا يختارون من بين قادة الجيش أحيانا . ولم تكن حدود هذه الاقاليم محددة تحديداً دقيقاً وإنما كانت هناك حدود مفتعلة ، كانت تسبب سوء الإدارة في كثير من الاحيان . وكانت الأقاليم مقسمة إلى مراكز أو وحدات إدارية أصغر ، لكل منها حاكم . وكان كل مركز مقسما أيضاً إلى وحدات أصغر ، يحكمها أشراف صغار كان رؤساء القرى تابعين لهم . وقد بقي هذا النظام متبعاً أيام الحكم العربي لإيران ، ولا تزال بقايا منه باقية حتى يومنا هذا . ويرجع هذا النظام في جوهره إلى أيام البارثيين، حين كان الأشراف يشتركون في الحكم مع السلطة العليا في البلاد .

ولكن الساسانيين يرجع اليهم الفضل في خلق حكومة ذات موظفين إداريين كانوا يمثلون حلقة الاتصال بين السلطة المركزية وبين حكام الأقاليم . لقد قامت الامبراطورية الساسانية على أنقاض دولة كانت منقسمة الى عدد من الاقاليم المستقلة ، التي انفرد بحكم كل منها أمير أو ملك ، فكان توحيدها في ظل نظام مركزي موحد هو مصدر عظمة الدولة .

وكذلك كان البلاط الملكي منظماً على تلك الطريقة الطبقية . كان موظفو البلاط منقسمين إلى طوائف ثلاث بحسب أسرهم ووظائفهم ، وكان أمراء الأسرة المالكة ، وفرسان الحاشية الملكية ، أعلى هؤلاء الموظفين رتبة. وكان البلاط يتضمن أيضاً موسيقيين ومهرّجين وكان الموسيقيون أيضاً مقسمين بحسب الآلات التي يعزفون عليها ، كما كانت لهم أهميتهم الكبرى في حياة البلاط .

وقد كان للبلاط نفقات كثيرة ، إذ أنه كان يتكون من آلاف الأفراد. وكانت نفقات الإدارة والجيش والأعمال العامة تقوم بها الضرائب المختلفة ، وكذلك الإيرادات التي كانت تتجمع من الأراضي التابعة للملك ،ومن المناجم، وكذلك من الإيرادات الجمركية ، تلك التي تمثل قسطاً كبيراً من إيرادات الدولة ، وذلك لازدياد النشاط التجاري حينذاك . وكذلك كانت غنائم الحرب تغذي خزانة الدولة من حين إلى حين .وكان التصرف في هذه الأموال من حق الملك . وكان من بين الملوك من دفعته حكمته إلى إنفاق الأموال في شؤون تهم رعيته ، ولكن كان منهم من أولع باختزانه . وقد بقي الكنز الذي وقع في أيدي العرب عند فتحهم المدائن ذكرى أكثرت من ترديدها كتب التاريخ .

وظلت قيادة الجيش خلال القرون الثلاثة الأولى من حكم الدولة الساسانية تحت إمرة قائد أعلى من أمراء الأسرة المالكة . وكان هذا المنصب وراثياً . ولكن كسرى الأول غيّر هذا النظام وذلك بأن عهد بقيادة الجيش إلى أربعة

من القادة فرّقهم على جهات الامبراطورية الأربع (الشمال والجنوب والشرق والغرب) . وجعل لكل قائد نائباً ، وكان الهدف من وراء ذلك ألا يجعل السيطرة على الجيش في يد رجل واحد،ولكن هذا الإجراء كان له أثر ضارّ بعد عصر كسرى ، إذ أن هؤلاء القادة لعبوا دوراً فعالاً في إضعاف الدولة .

وكان الجيش أيام الساسانيين ، كما كان في عصر البارثيين ، مبنياً على الفرسان المسلحين تسليحاً ثقيلا ، وهؤلاء كانوا في العادة من كبار النبلاء . ويلي هؤلاء فريق آخر من الفرسان ، يتكون من صغار الأشراف ، وكانوا مسلحين بالقسيّ والرماح . وبعد هذه الفرق السريعة تجيء فرقة الفيلة، وهذه لم تكن تستخدم أيام البارثيين . ومن بعد الفيلة يجيء المشاة في المؤخرة ، وهم حشود من الفلاحين لم يكونوا مسلحين تسليحاً جيداً ، ولا كانت لهم قيمة من الناحية العسكرية . وكانت هناك دول كثيره خاضعة لنفوذ الفرس تقع على حدود إيران وهذه كانت تقدم لهم فرقاً عسكرية مساعدة. ومنذ أوائل عصر الأكمينيين كان لفرسان هذه الفرق المساعدة شهرة عظيمة في القتال . وكانت هذه الفرق أيام الساسانيين تتكون من رجال ينتمون الى شعوب مختلفة . وكان الفرسان الأرمن ذوي مكانة عظيمة في الجيش الساساني .

وكان الجيش مقسماً إلى فرق تنقسم بدورها إلى فيالق . ولم يكن البارثيون يعرفون حرب الحصار ، ولكن الساسانيين أتقنوا ذلك الفن ، وأصبحوا فيه نظراء للرومان وكان الدفاع عن الحدود يتم بانشاء مستعمرات عسكرية من مجموعات من الناس ينقلون من بلادهم الأصلية ويعهد إليهم بذلك. وممن ارتبط اسمه بتطبيق هذه السياسة كسرى الأول . وعلى هذا فقد كانت الامبراطورية محاطة بدويلات واقعة تحت نفوذها ، يقف من ورائها الجيش الإيراني .

والظاهر أن الفن العسكري كان موضوعاً لكتابات كثيرة ، ولكن هذه الكتابات لم تصل إلينا ، وإنما اطلعنا عليها اطلاعاً غير مباشر في مصادر

نقلت عنها ، وكان من هذه الكتابات ما تعلق باستخدام سلاح الفرسان ، والهجوم على العدو ، واختيار مكانه وزمانه ، وباستخدام الأسلحة المختلفة ، إلى غير ذلك . وقد ثبت لدى المؤرخين المحدثين أن الفرس في العصر الساساني لم يكونوا أقل من الرومان خبرة بفنون القتال .

أديان الفرس القدماء

ننتقل الآن الى ناحية أخرى من نواحي البحث ألا وهي دراسة العقائد الفارسية قبل الاسلام .

منشىء الدين الفارسي القديم هو زردشت ودراسة دينه مسألة ذات أهمية لدارسي تاريخ الفرس وأدبهم قبل الاسلام وبعده . فحياة الأمة سلسلة متصلة الحلقات يرتبط فيها الحاضر بالماضي . كما أن لهذه الدراسة أهمية كبيرة لأن الدين الزردشتي وغيره من مذاهب الفرس القدماء أثر في المجتمع الاسلامي وكان سبباً في ظهور فرق دينية ، كما كان لهـذا الدين صلات باليهودية والمسيحية جعلت المهتمين بدراسة هـذين الدينين يهتمون بدراسة دين زردشت . والى جانب هذا فان دراسة هذه الديانة لها قيمتها من الناحية العقلية البحتة ، فان هذا الدين المغرق في القدم يشتمل على عقائد وشعائر وتشريع ، وكلها جوانب تستحق البحث والاهتمام. وقد تحدث اليونان القدماء كثيراً عما امتاز به الدين الفارسي القديم من نزعات روحية مثالية . فاهتمامنا بدراسة هذا الدين يرجع إلى ما له من قيمة تاريخية ولما لدراسته س فائدة من الناحية العقلية البحتة .

وقد اطلق على الدين الفارسي القديم أسماء عدة منها المزدية نسبة الى أهورا مزدا وهو اسم الله في هذا الدين ، وأطلق عليه أتباعه فيما بعـد « بەدين » أي الدين القيّم وقد أطلق على هذا الدين أيضاً المجوسية والدين البارسي والدين الثنوي وعبادة النيران .

وأحسن أسماء هذا الدين وأصوبها هو الزردشتية نسبة الى مؤسس هذه الديانة

زردشت كما يسمى دين يوذا بالبوذية ودين ماني بالمانوية وهكذا . كما أن بعض هذه الاسماء التي يسمى بها الدين مثل المجوسية والپارسية والثنوية وعبادة النيران أسماء بعضها خاطىء وبعضها أسماء قد اطلقت على هذا الدين بعدموت زردشت بفترة طويلة .

والدين الزردشتي دين جاء به فرد،فهو مطبوع بطابعه وتفكيره،ولكنهمع ذلك لا يخلو من عناصر قديمة دخلت هذا الدين، كما لا يخلو غيره من الأديان من عناصر سابقة على ظهوره .

ويمكننا ان نتبين في تاريخ الدين الفارسي ثلاث مراحل :

(١) الأصول الآرية (الهندية الاوربية) لهذا الدين وترجع إلى ما قبل ظهور زردشت

(٢) الجانب الايراني لهذا الدين وهو الذي تمثله تعاليم زردشت
(٣) العناصر الغريبة التي دخلت هذا الدين بعد زمان زردشت .

وأهم خصائص هذا الدين هي :

الاعتقاد بنوع من التثنية المؤقتة ، تلك التي تتمثل في الحرب بين إله الخير (اهورا مزدا) أو أرمزد Ormazd وبين الشيطان Anra Mainyu (أهرمن) وبين مُلكيهما . ولكن هذه الحرب تنتهي بانتهاء هذا العالم ويسود بعد ذلك الخير وعالم الخير. ويعتقد هذا الدين بالبعث وبحياة أخرى بعد البعث. وهناك بعد ذلك عقائد عن نشأة العالم وطبيعته واعتقاد بملائكة وشياطين ، واعتقاد عن الحياة الأخرى وما يجري فيها .

ولهذه الديانة جانب آخر هو عبادة الطبيعة والعناصر الطبيعية ، يضاف إليها تأليه الشمس والقمر والنجوم ، وتعظيم النار والأرض والماء والحرص على طهارة تلك العناصر . والأجسام الميتة عندهم أهم مصادر التلوث . وهذه

العقائد التي تتصل بعبادة الأجرام الطبيعية وتقديس عناصر الطبيعة ترجع إلى الدين الآري القديم ، فهي بقايا من هذا الدين علقت بدين زردشت ، وأصبحت عند اتباعه جزءاً منه .

ويمتاز الدين الزردشتي بعد ذلك بالحرص الشديد على نقاء الجسم ، والعناية بالحيوانات النافعة، والزراعة، وببعض الشعائر والطقوس التي يمارسها أتباعه .

وسوف نتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الموضوعات المختلفة .

وأظن أن أحسن طريقة نبدأ بها دراستنا لهذا الموضوع هي تحديدالمراحل المختلفة التي مر بها .

لقد مر الدين الإيراني بمراحل ثلاث هي :

أولاً – العصر السابق لظهور زردشت .

ثانياً – عصر زردشت .

ثالثاً – العصور التالية لعصر زردشت وقد تطور فيها الدين الإيراني .

ولا نستطيع القول إن هناك حدوداً فاصلة بين هذه العصور فقد بقي في دين زردشت بقايا من العقائدالايرانية التي كان يدين بها الايرانيونقبل زمانه. أما التطور الذي حدث لهذا الدين بعد زردشت فهو لم يمح معالمه وإنما أضاف إلى ما جاء به زردشت أو غيّر في مفهوم بعض ما جاء به ، وسوف نبين ذلك .

وقد تأثر الدين الزردشتي في مراحله تلك بالأحداث السياسية تأثراً كبيراً إلى حد أننا يمكننا ان نميز العصور التاريخية التي مرت به على النحو الآ تي :

(١) العصر الآري – الهندي الأوروبي – السابق على زردشت .

(٢) عصر ميديا وبكتريا وهو الدي تمثل لنا الجاثات [١] ما بقي لنا منه.

---

(١) الجاثات هي أقدم قسم في كتاب الأفستا .

(٣) العصر الاكميني (٥٥٩ — ٣٣٠ ق م)

(٤) هزيمة الزردشتية واضمحلالها بسبب غزو الاسكندر وحكم السلوقيين الذي استمر من ٣٣٠ — ٢٥٠ ق.م .

(٥) عصر البارثيين وهو من العصور المظلمة التي مر بها هذا الدين . وقد استمر من ٢٥٠ ق.م إلى ٢٢٦ م .

(٦) العصر الساساني وفيه بعثت الديانة الزردشتية وازدهرت وظلت مزدهرة أربعة قرون .

(٧) الفتح الإسلامي لايران عام ٦٥١ م وما أصاب الزردشتية من جرائه ومصيرها بعد هذا الفتح .

دين الفرس قبل زردشت :

ما العقائد التي يشتمل عليها هذا الدين؟ ليست لدينا معلومات وافية عنه، ولكنا نستطيع أن نعرف شيئاً عن طبيعته بقراءة الافستا [1] وبالرجوع إلى ما قاله المؤرخون اليونان عن دين الفرس .

ففي الأفستا نرى دعوة حارة إلى نبذ السحر والتطير وعبادة الشياطين . وفي الأفستا نرى بقايا من عبادة الأجرام الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم . وفي الأفستا نرى تعظيماً لعناصر الطبيعة من ماء ونار وتراب ، وكل هذه بقايا من الدين الآري القديم الذي كان قائماً على عبادة الأجرام الطبيعية وتقديس عناصر الطبيعة .

وقد روى المؤرخ اليوناني هيرودوت أيضاً أن الفرس كانوا يعبدون الشمس والقمر والأرض والنار والماء والنجوم منذ أقدم الأزمنة (حـ ١ ص ١٣١) .

---

(١) الافستا هي الكتاب الديني المنسوب الى زردشت ، ويسمى بالعربية « الابستاق » في بعض الأحيان .

وقد قال المؤرخون المسلمون الذين تحدثوا عن زردشت ودينه إن أتباعه يعبدون الشمس والقمر والنجوم ويقدسون عناصر الطبيعة، وهذا يدل على أن تلك البقايا الآرية قد لازمت هذا الدين طوال العصور ، وليس هذا بغريب ، فأكثر المصلحين الدينيين لم يستطيعوا أن يقضوا قضاء تاماً على العقائد التي كان يعتقد بها أقوامهم قبل زمان ظهورهم . فكان المصلح الديني يستبقي بعض العقائد السائدة،وهذا بالطبع كان يساعد على نجاح دعوته إذ أن المخالفة التامة الكاملة لما يعتقد به الناس وقت الدعوة تجعل مهمة النبي أو المصلح الديني عسيرة بل مستحيلة .

وقد قال المؤرخ اليوناني اجاثياس Agthias نقلاً عن مصادر سابقة لزمانه إن الفرس كانوا يدينون بآلهة اليونان قبل ظهور زردشت وإن كانوا قد سموا هذه الآلهة بأسماء غير تلك التي أطلقها عليها اليونان . ولعل سبب الاتفاق الذي أشار اليه ذلك المؤرخ اليوناني هو أن هذه الشعوب قد ورثت عقائد متشابهة من الدين الآري القديم واحتفظت بها بعد أن تفرقت إلى شعوب مختلفة من هندية وإيرانية واوروبية

والخلاصة ان مصادرنا لا تعطينا صورة دقيقة للحياة الدينية في ايران قبل وقت زردشت ، ولا نستطيع أن نقطع بشيء أكثر من أن في دين زردشت بقايا من الدين الآري القديم تتمثل في تقديس الأجرام الطبيعية وتقديس عناصر الطبيعة، كما أن به دعوة حارة إلى نبذ السحر وعبادة الشياطين،وإلى ترك أمور أخرى مرتبطة بمعتقدات القوم قبل زمانه .

زردشت : والآن ننتقل إلى الشخصية المهمة في تاريخ الدين الفارسي ، شخصية النبي زردشت أو الحكيم زردشت ثم نتبع ذلك بالحديث عن دينه . وأهم المصادر التي نستمد منها معرفتنا بهذا الموضوع هي : ١ — كتاب الاڤستا والكتابات البهلوية (أي المكتوبة باللغة البهلوية ، لغة الدولة الساسانية) التي كتبها الزردشتيون فيما بعد، وكذلك النقوش الايرانية القديمة . ٢ — ما كتبه

الساميون من سريان وعرب عن زردشت ودينه ٣ - ما كتبه اليونان والرومان عن هذا الموضوع، وبعض ما كتبوه مبني على مشاهداتهم الشخصية. ٤ - الاشارات إلى دين الفرس في العهدين القديم والجديد وفي الآثار القديمة لبابل وآشور . ٥ - الكتابات الهندية القديمة ، وهذه لا تقدم معلومات عن دين زردشت ، ولكن للهنود قربى وثيقة بالايرانيين اذ يرجعون معا الى أصل واحد. وتساعد الثيدا الهندية مساعدة فعالة في فهم المراحل الأولى للدين الآري، تلك التي ترجع إلى ما قبل انفصال الهنود والايرانيين. ولكن هذه المصادر لم تحل لنا كل مشكلة من مشاكل البحث، بل لا تزال هناك أسئلة يكاد يكون من المستحيل ان نجيب عليها الآن . ولكن البحث قد وصل إلى كثير من النتائج التي يمكن اعتبارها نتائج صحيحة .

حياة زردشت : يعتبر زردشت المؤسس الحقيقي للدين الفارسي القديم فشخصيته وتعاليمه قد صبغت هذا الدين بصبغة قوية ميزته عن غيره من الأديان الآرية. وقد أظهر بعض العلماء شكا في وجود زردشت ، ولكن البحث اثبت أن زردشت شخصية تاريخية ، وأنه حكيم من أكبر الحكماء الذين ظهروا في الشرق القديم . وتمثله لنا الجاثات رجلا قوي الشخصية ، يعلم ويعظ ويؤثر في كل من يتصل به أما الأجزاء المتأخرة من الاڤستا فتضفي عليه لوناً من التقديس والتعظيم يكاد يخفي معالم شخصيته الحقيقية . وقد كانت الاڤستا الأصلية تشتمل على فصل عن حياة زردشت، ولكن هذا الفصل قد فقد وقد حفظت اجزاء منه في الكتابات الدينية البهلوية . أما العصر الذي ظهر فيه زردشت فقد كان موضعا لخلاف كثير .

فقد ذهب الكتاب القدماء من اليونان واللاتين إلى أنه ظهر عام ٦٠٠٠ق.م وإن كان قد يفهم مما قاله بعضهم أنه ظهر بعد ذلك. أما الروايات الزردشتية والكتابات البهلوية فتقول بظهوره بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد . وقد اختلف الباحثون المحدثون في تحديد هذا التاريخ . وتوصل أحدهم وهو

الاستاذ West إلى القول بأن زرادشت عاش من عام ٦٦٠ إلى عام ٥٨٣ ق.م. ولقي تحديده هـذا قبولاً من أعلام الباحثين ، ومنهم وليامز جاكسون Williams Jackson العالم الأمريكي الذي اهتم كثيراً بهذا الموضوع .

وقد سبق أن ذكرنا أن حياة زردشت كانت موضوعاً لفصل من فصول الاڤستا . وقد ضاع هذا الفصل ، ولكن معلومات كثيرة منقولة عنه حفظت باللغة البهلوية . اسم أبيه پورشاسپا (پورشاسب) . وقد تحدثت الكتابات البهلوية عن العجائب التي ظهرت حينما ولد زردشت ، كما تحدثت عن محاولة السحرة قتله في طفولته ، ولكن هذه المحاولات لم تنجح وكبر الطفل . ونقرأ في الاڤستا أن الطبيعة ابتهجت بمقدم زردشت ، فالأشجار تهتز والأنهار تنساب رقراقة عذبة . أما الشيطان وأتباعه من الجن فقد فروا هاربين إلى باطن الأرض . وحين ولد زردشت ضحك ولم يبك كما يفعل الأطفال ساعة يولدون .

ولما بلغ سن العشرين انقطع عن الناس وخلا بنفسه يتفكر ويتأمل،وحين بلغ الثلاثين نزل عليه الوحي وبدأت بذلك نبوته . ويظل زردشت يدعو الناس إلى دينه ويعرضه على الأمراء المختلفين فلا يؤمن به أحد . وبعد عشر سنوات من قيامه بالدعوة يفلح في أن يجتذب تابعاً واحداً . ويكاد اليأس يدب في نفس زردشت لهذا الاخفاق الكبير لولا أن أهورا مزدا يأمره بأن يذهب إلى بلاط الملك گشتاسب ملك إيران في ذلك الوقت . وهناك يقضي زردشت عامين محاولاً اقناع هذا الملك ، وبعد تعب شديد يفلح في اقناعه بعد أن يظهر أمامه بعض المعجزات.وهناك يؤمن به الملك وأسرته وحاشيته وأتباعه نحو ٦١٨ ق. م. بناء على تاريخ وست West ، ويتلو ذلك انتشار الدين في إيران وفي جزء من توران (بلاد الترك التي كانت على الحدود الشرقية لايران). ثم نسمع عن انتشار هذا الدين في أجزاء من الهند وآسيا الصغرى) ويظهر أن دين زردشت قد انتشر عن طريق الفتح خارج إيران ، فهناك

روايات تنبىء بذلك ، بل وتنبىء بأن زردشت نفسه قد قتل في إحدى هذه الحروب الدينية ، بالغاً من العمر سبعة وسبعين عاماً .

تعاليم الزردشتية :

اتفق الباحثون على أن الفرس قد بلغوا مرحلة دينية ما قبل أن يظهر زردشت ، فليس من المعقول أن يظهر دين متطور كالزردشتية من غير أن تسبقه مراحل من التطور الديني كما بينا من قبل .

وعلى العكس من ذلك نعرف الكثير عن تعاليم زردشت وسنقدم هنا دراسة موجزة لهذه التعاليم .

أهم خصائص دين زردشت هي التثنية ، أي الاعتقاد بوجود قوتين تسيطران على هذا العالم : قوة الخير وقوة الشر ، أو إله الخير والشيطان . وقد نادى بعض أعلام الباحثين في القرن الماضي وأوائل هذا القرن بأن دين زردشت دين توحيد . وأول من قال بذلك المستشرق الالماني هاوج Haug الذي يؤكد أن دراسة الجاثات – وهي الجزء الوحيد من الأفستا الذي يمكن أن ينسب إلى زردشت نفسه – تقنعنا بأن زردشت لم يجعل الشيطان نداً للإله ، كما يفهم من النصوص المتأخرة من كتاب الأفستا .

نظرية الإله والشيطان كما يفهمها هاوج من الجاثات هي أن الله واحد لا شريك له ، وأن سپنتا مينيو Spenta Mainyu الروح الطيب ، وأنرا مينيو Anra Mainyu الشيطان ليسا إلا صفتين من صفات الله يخلق بهما الاضداد من خير وشر ، ونور وظلام ، وصحة ومرض ، ونضرة وذبول ، وما إلى ذلك. وقد تحمس البارسيون المحدثون – وهم أتباع زردشت الذين يقيمون بغرب الهند في الوقت الحاضر – تحمس هؤلاء لهذه النظرية ، وعملوا على ترويجها ، منادين بأن دينهم دين توحيد . واتخذوا من هذه الدعوى سلاحاً يواجهون

به نشاط المبشرين المسيحيين الذين كانوا يصفون الدين الزردشتي بأنه دين شرك يدعو إلى الاعتقاد بوجود إلهين .

على أن هذه النظرية لم تصادف قبولاً من جميع الباحثين الذين يرى القسم الأكبر منهم أن التثنية هي أهم خصائص دين زردشت . فالمفهوم من تعاليمهم أن العالم منقسم إلى قسمين كبيرين بينهما هوة واسعة . وعلى جانبي هذه الهوة تقوم مملكة النور ومملكة الظلام ، أي عالم الخير وعالم الشر . وهناك في ذلك النور اللانهائي يقيم الله ، وفي ذلك الظلام اللانهائي يقيم الشيطان .

وعالم الدنيا من خلق الله ، ولكن الشيطان يفسد هذا الخلق ويتلفه . ولولا هذا لكان عالمنا الدنيوي عالماً خيّراً ، لأنه من خلق إله الخير (أهورا مزدا) . إن هذا العالم الدنيوي هو نقطة الاحتكاك بين الخير والشر ومسرح الحرب بينهما . ومحور هذا العالم هو الإنسان .

وبرغم ما يؤكده الدين الزردشتي من الاعتقاد بسلطة الشيطان في هـذا العالم، وقدرته على أن يفسد ما يخلق الله من خير ، فهو يؤمن بأن الشيطان في النهاية سينهزم، وسيختفي الى الابد ، وبذلك تسود مملكة النور ، وهنا تقوم القيامة ويبعث الناس ، ويكافأ الخير ، ويعاقب المذنب .

نظرية الخير والشر في دين زردشت

ان نظرية الخير والشر في دين زردشت هي المحور الذي تدور عليه تعاليمه.

ولقد دافع المجوس عن عقيدتهم طوال العصور ، وقالوا بأنها الحل الوحيد لمشكلة الشرّ في العالم .

إن هذا العالم مليء بالأمراض والآفات . فمن الذي خلق هذه الآفات ؟ وما غرضه من ذلك ؟ وفي هذا العالم قد نجد الرجل الصالح شقياً قليل الحظ ونجد الطالح سعيدا منعما ظافراً من الدنيا بكل ما يريد .

يرى الدين الزردشتي أن خالق كل خير في العالم هو الله ، وأن خالق كل شر فيه هو الشيطان . الشيطان يخلق الجراثيم الضارة ليفسد بها ما يضفيه الله على خلقه من صحة وسلامة . وينفي الزردشتيون أن يكون الله خالق هـذه الآفات ، لأنه لا يمكن أن يصدر الشر عنه ، فهذا يتنافى مع ما اتصف به من إرادة الخير المطلق ، فالألوهية منزهة عن الشر بطبيعتها ، ولا قدرة لاله الخير على فعل الشر .

هذه النظرية – وإن حلت إلى حد ما مشكلة الشر ، وحاولت أن توجد لها تفسيراً – أدت في الوقت ذاته إلى الاعتقاد بان هناك من يستطيع منازعة الخالق في ملكه ، كما أنها أدت الى لون من الشرك إذ ان العقيدة الزردشتية تشرك الشيطان مع الله في الخلق . وقد سخر أحد متكلمي الاسلام من هذه العقيدة فقال : إنه بناء على هذه النظرية يكون الشيطان أقوى من اللهسبحانه وتعالى لأن هذا العالم يغلب عليه الشر ويقل فيه الخير .

وتحدثت الزردشتية عن موقف الانسان من هذا الصراع بين الخير والشر، فذهبت إلى أن الانسان حر الارادة ، يفعل ما يشاء ، وأنه ، كلما فعل الخير ساعد على انتصار قوى الخير . وكلما فعل الشر أعان بذلك قوى الشر . وزردشت يدعو الانسان إلى فعل الخير حتى يعجل بانتصار قوى الخير على قوى الشر ، وشعار دينه من الناحية الخلقية : فكر خيّر ، وقول خيّر ، وعمل خيّر .

وتؤمن الزردشتية بالبعث ، وكذلك بالحساب ، ويكون حساب الانسان يوم البعث منوطاً بما قدمه في الدنيا من خير أو شر . ومن هنا ظهر بين المسلمين الحديث المشهور الذي ينسب إلى الرسول – عليه السلام – قوله : « القدرية مجوس هذه الأمة » . فالقدرية – وهي الفرقة الاسلامية التي آمنت بحرية إرادة الانسان وقدرته على خلق أفعاله – قد شبهوا بالمجوس . وهذا الحديث يتقبل تفسيراً آخر وهو أن القدرية يشبهون المجوس بجعلهم الانسان

قادراً على خلق الأفعال ، فهم يشركون الانسان مع الله في الخلق ، كما فعل المجوس حين جعلوا الشيطان شريكاً لله في الخلق .

إلى جانب الله والشيطان يعتقد الدين الزردشتي بوجود عدد كبير من الملائكة يمثلون جنود الله لكل منهم عمل خاص من أعمال الخير . تقابل هؤلاء مجموعة من الشياطين ، لكل منهم عمل خاص من أعمال الشر ، ويمثلون جنود الشيطان الأكبر .

مملكة النور :

تميز الديانة الزردشتية تمييزاً واضحاً بين قوى الخير وقوى الشر . فالخير والنور والعالم العلوي تشن حرباً لا تنتهي على الظلام والشر والجحيم . وفي الديانة الزردشتية إيضاح واف لجيش الخير ، ووصفٌ متعدد الصور . لكن جيش الشر لا يلقى من الزردشتية مثل هذا التفصيل والوضوح .

ويتقابل جيش الخير وجيش الشر ، ولكل منهما قائد يواجه الآخر ، كما ان كل جيش منهما يتكون من فرق لكل منها ما يواجهها ويضادها في الجيش الآخر .

ولقد نجح الفرس القدماء في تصوير معبودهم بصفات روحية مثالية . ولفت هذا أنظار المؤرخين اليونانيين فتحدث به هيرودوت ومن جاء بعده من المؤرخين .

وفي الدين الزردشتي – كما ذكرنا – بقايا من عبادة الأجرام الطبيعية شاعت عندهم قبل عصر زردشت ولكن الفرس أضفوا على تلك المعتقدات كثيراً من روحانيتهم ، فكان مما لفت أنظار اليونان أن الفرس لم يتخذوا آلهة من الأحجار أو التماثيل . ولقد جاء وقت صور فيه الفرس بعض معبوداتهم ، كما صوروا إلاههم أهورا مزدا ، ولكن هذا التصوير لم يكن

للعبادة بقدر ما كان عملاً فنياً ، له مثيل في بعض هياكل الديانات التي يحتفل أهلها بالفن ، ويعنون بالنحت والتصوير .

يتكون جيش الخير –كما ذكرنا– من إله الخير، ومن عدد كبير من الملائكة والأرواح الطيبة ، وليس جميع الملائكة من مرتبة واحدة ، فهناك ملائكة كبار ، وآخرون أدنى منزلة منهم .

أهورا مزدا أو أورمزد ، إله الايرانيين القدماء :

وهو كما ذكرنا قائد جيش الخير، وهو الحاكم المطلق في عالم الخير والحقيقة والنور ، ومعنى كلمة « أهورا مزدا » « الإله الحكيم » . وأهم صفاته العلم والحكمة . أهورا مزدا كائن روحي رفيع ويتضح هذا في صفاته وأعماله . ومن هذه الصفات أنه كلّه حكمة وعلم وخير وصواب لا يتغير ولا يخدع ولا يُخدع . وهو حارس يقظ ، يحمي ويقي ، يكافيء ويعاقب، وهو أب لكل شيء حسن ، وخالقه . وهو بوجه خاص خالق النور والبقرة . وعرشه في السماء في عالم النور الخالد . وحضرته تمتاز بالعظمة والجلال . وحوله عدد من الملائكة يتلقون أوامره وينفذونها . وأهورا مزدا هو الكائن الخالد الذي كان ويكون وسوف يدوم أبداً . والخلاصة أنه ليس في الأديان التي ظهرت بين الشعوب الآرية في التاريخ القديم إله يمتاز بتلك الروحية السامية التي أضفاها الفرس القدماء على إلاههم أهورا مزدا .

الملائكة الكبار (Amesha Spentas)

يقف أمام عرش أهورا مزدا عدد من الملائكة الكبار ، يتلقون أوامره وينفذونها . وقد تبدو صورة أهورا مزدا وحوله الملائكة في الدين الزردشتي شبيهة بملك شرقي قديم يحيط به وزراؤه وحاشيته وكبار رجال دولته . وهؤلاء الملائكة الكبار شبيهون بالوزراء. والاسم الايراني الذي أطلق عليهم يعني الكائنات المقدسة الخالدة . وعدد هؤلاء الملائكة الكبار الذين يمثلون أمام

أهورا مزدا ستة . وأوصاف هؤلاء تجعل منهم أنصاف آلهة ، وتتكون من أهورا مزدا ومنهم قيادة مملكة النور .

هؤلاء الملائكة ليسوا كائنات حسية وإنما هم أسماء تعبر عن مُثُل أو تصور فضائل مجردة مطلقة . وهذه الفضائل هي : الفكر الخيّر ، الصواب الأعظم ، الملك أو الكون المرتجى ، التقوى الخيّرة ، الصحة المنجية ، الخلود .

ونقرأ أسماء هؤلاء الملائكة في أناشيد الجاثات ، وهم يذكرون في الجاثات بالترتيب الذي ذكرناهم به . وكل الصفات التي تضفيها الكتابات الدينية على هذه الملائكة – التي لا تعدو أن تكون رموزاً لمعانٍ مجردة – تناسب طبيعتها النقية ، وكيانها الذي لا يعدو أن يكون من قبيل الرمز .

أما عن أصل هذه الملائكة ووظيفتها ، فلا بد لنا أن نذكر أن أهورا مزدا هو أبوها وخالقها . وقد أوجدها لتعاونه في عمله . وكل ما لها من قوة خالقة أو منظمة يلائم وضعها بوصفها عمالاً عند الله ، الذي يمضي إرادته ومشيئته عن طريق هذه الملائكة ، ويكل اليها رعاية كثير من العناصر في الدنيا . فالفكر الخيّر موكل برعاية الحيوانات النافعة . والصواب المطلق موكل برعاية النار . والملك المرتجى موكل برعاية المعادن . وأما التقوى الخيّرة فهي إلهة الأرض . والصحة المنجية موكلة برعاية الماء . وأما الخلود فموكل برعاية النباتات . وهذه العقيدة التي تجعل لكل موجود راعياً عقيدة قديمة سابقة للجاثات بغير شك، ولكن لم نعرف حتى الآن الصلات المحددة بين هذه المعاني التي ترمز اليها الملائكة وبين العناصر أو الموجودات التي تنسب إليها رعايتها .

ويضرع الزردشتيون إلى هذه الملائكة في صلواتهم . ويروي « دينكرت» وغيره من كتب الزردشتيين أن هذه الملائكة ظهرت أمام الملك گشتاسب وعاونت على اقناعه بالدين الزردشتي . وقد وصفت في بعض الكتابات الزردشتية بانها تمتطي خيولاً عجيبة وليس هذا بغريب فقد صور أهورا مزدا على بعض الصخور الساسانية ممتطياً جواداً . وتجلس هذه الملائكة الكبار على عروش

من الذهب في الجنة وهي جميعها جديرة عندهم بالعبادة . ويخصص لكل من هذه الملائكة شهر لتعظيمه ، كما أن لكل منها يوماً مقدساً . كما أن لكل من هذه الملائكة نوعاً من الزهور يناسبه ويُهدى إليه . فالياسمين مثلاً يهدى لملك الفكر الخيّر . ولكل من هذه الملائكة شيطان يعارضه . ولكن كل ملك منها سوف ينتصر على الشيطان الذي يعارضه حينما تقوم القيامة ويقع الحساب .

الملائكة الاخرون :

ويعرف هؤلاء « باليزاتات » Yazatas . ويمثلون الطبقة التالية للملائكة الكبار في مملكة السماء . ومعنى كلمة « يزاتا » الكائن المعبود . ومهمة هؤلاء الملائكة أن ينقلوا أوامر الله إلى الناس ، وأن ينفذوا إرادته . وعدد هؤلاء الملائكة (اليزاتات) كبير . فهنـــاك فصل في الأفستا (اليَشْت السادس) يذكر أنهم مئات بل آلاف . ويروي يوناني معاصر عن الفرس أنهم كانوا يعتقدون بأن الهواء مملوء بالأرواح .

وليست هذه الملائكة كلها متساوية في أهميتها .فبعضها له أهميته واعتباره عندهم أكثر من غيره . هذا البعض هو الذي ينسب اليه يوم من أيام الشهر أو الذي ينسب إليه فصل أو موسم أو الذي تدخل عبادته ضمن شعائرهم .

وتنقسم هذه الملائكة (اليزاتات) الى فريقين ، فريق سماوي وفريـق أرضي . وعلى رأس الفريق السماوي إله الخـير أهورا مزدا ، الذي يوصف احياناً بأنه اليزاتا الأعظم . وعلى رأس الفريق الأرضي زردشت . وكلمة يزاتا هي أصل كلمة « إيزد » في الفارسية الاسلامية ومعناها « الله » . فبعض هذه الملائكة يحرس الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض والهواء والنار والماء. وبعضها رموز لأفكار مجردة مثل النصر ، والبركة ، والحقيقة ، والاستقامة والسلام ، والقوة ، وما إلى ذلك

الارواح الخيّرة : Fravashis

هذه الأرواح الخيرة (الفرافاشات) جيش كبير . والمفرد من هذه الأرواح يمثل عند الزردشتيين عنصراً روحيا في تكوين الانسان . فكلمة « فرافاشا » تعني ملـكا حارساً أو راعياً . وكان هذا الملك في السماء قبل أن يولد الانسان. وقد خلق أهورا مزدا كل الكائنات الروحية قبل الـكائنات المادية . وظلت مقيمة في حالتها الروحية البحتة حتى خلق أهورا مزدا العالم المادي . وعند موت الانسان تتحد الروح بنفسه ولهذا فان نفوس الموتى تعد أرواحاً من هذا النوع .

ويرجع الاعتقاد بوجود جيش من الأرواح إلى ما قبل عصر زردشت ، إذ أن الميديين القدماء كانوا يعتقدون بوجود مثل هذه الارواح .

يعتقد الزردشتيون أن هذه الأرواح تعاون أهورا مزدا ، كما تعاون البشر في محاربة الشر ، وتحرس كل ما هو نافع مفيد في هذه الدنيا .

وتدخل هذه الأرواح ضمن عبادات الزردشتيين ، فهم يقدسون الشهر الأول من السنة تعظيما لها . ويعظمونها أيضـاً في اليوم التاسع عشر من كل شهر ، وفي الأيام العشرة الأخيرة من السنة .

هذه الأرواح تعتبر ضمن الملائكة المعروفين باليزاتات .

وهناك بعد ذلك ملائكة آخرون ومن أمثلتهم الملك الذي يرمز إلى شجرة الهوما Hooma والشراب الذي يستخرج منها ، وهو شراب مسكر يقول الزردشتيون بأن من شرب منه في الدنيا يخلد بعد البعث .

وعدد الملائكة المعروفين باليزاتات – سواء منهم من كان سماوياً أو أرضياً – يبلغ الآلاف . ومنهم من يرتبط في العمل بأحد الملائكة الكبار . كما أن كل يزاتا له مجموعة من الملائكة أقل مكانة منه ، تأتمر بأمره ، وتعاونه في النهوض بواجباته . والكثرة الغالبة من هذه الكائنات الروحية رموز للفضائل .

كائنات خرافية :

إلى جانب الملائكة هناك كائنات خرافية خيرة تضمها مملكة السماء . وهذه الكائنات بقايا من معتقدات قديمة بقيت عالقة بدين زردشت .

فمن هذه الكائنات حمار ضخم الجسم ذو أرجل ثلاث ، يقف وسط بحر فورو كاشا Vouru Kasha وهذا الحمار يعاون في حسن إدارة العالم .

وهناك بعد ذلك الثور هـذياش (النقي الطاهر) ، الذي سوف يصنع شراب الآخرة من ذهنه ممزوجاً بعصارة شجرة الهومـا . وهذا الثور كائن عجيب نصفه ثور ونصفه إنسان .

ومن هذه الكائنات أيضاً الطيور الخرافية مثل « سيمرغ » ذلك الطائر الذي يجلس فوق شجرة الشفاء ويجعلها تنثر بذورها على الأرض .

وهكذا ينتهي حديثنا عن مملكة السماء في الدين الزردشتي . وقد ذكرنا فيها عقيدة إله الخير والملائكة الكبار والملائكة الأخرى ثم بعض الكائنات الأسطورية التي نسب اليها بعض الأعمال الخيّرة. وتشتمل الأفستا على تفصيلات واسعة لهذه العقائد .

وأهم خاصة تمتاز بها هذه المعتقدات الفارسية القديمة هي تلك النزعـة الروحية المثالية التي جعلتهم يقدسون الفضائل الصفات الكريمة ، ويتخذون رموزاً لها يعدونها ملائكة جديرة بالعبادة والتعظيم ، أو يصورونها كائنات روحية يقيمون لها الطقوس الدينية ، ويبتهلون اليها ، او يتوسلون بهـا إلى الله .

مملكة الظلام :

قلنا إن الدين الزردشتي يؤمن بقوة الشر في العالم فالشر والخطـأ يقفان في مواجهة الخير والصواب . وقوى الظلام والجحيم تحارب على الدوام قوى

النور والسماء وهـذه الحرب ستظل مستمرة الأوار حتى تنتهي بانتصار الخير والنور .

وأكثر أسماء الشياطين ذيوعاً في الأفستا Daéva ، وهي التي تطورت في الفارسية إلى ديو بمعنى شيطان . وهذه الكلمة هي ذات الكلمة السنسكريتية Deva ، ولكن معناها في السنسكريتية « إله ». وهذه ظاهرة غريبة جعلت بعض الباحثين يقولون بأن هذا المدلول السيء لكلمة Daéva نشأ منذ انفصل العنصر الإيراني عن العنصر الجنس الآري المشترك فبدأت آلهة الهند تعـد شياطين عند الإيرانيين .

وأما الكلمة التي تطلق على الشر في الافستا فهي دروج Druj ومعناها الكذبة . وهذه الكلمة أصبحت تطلق في النصوص الزردشتية المتأخرة على جماعة من إناث الشياطين . وهناك أوصاف كثيرة وتسميات توصف بها الكائنات الشريرة .

ويقول المؤرخ اليوناني بلوتارخ Plutarch إن أهورا مزدا خلق أربعة وعشرين إلهاً فخلق الشيطان Ahriman عدداً يقابلهم من الأرواح الشريرة . ولكن هذا العدد الذي يشير إليه بلوتارخ قليل بالنسبة لما ذكر في الأفستا والنصوص الدينية المتأخرة من الشياطين الذين يكونون جيشاً كبيراً . وهذه الشياطين الكثيرة ليست مرتبة ترتيباً محكماً على طريقة جنود مملكة السماء . إن الشياطين أكثر عدداً من الملائكة ولكن الملائكة أقوى من الشياطين . وكذلك لم توصف الشياطين بوضوح كما وصفت الملائكة في الكتابات الزردشتية . وبعض هؤلاء لا يعدو أن يكون اسماً ، فأشخاصهم غير واضحة المعالم . وهم يعملون معاً في صورة جماعات . وأوضح شيء يتصفون به هو الشر الذي يسيطر عليهم . وجيش الشر يتكون من جماعات منها الشياطين والعفاريت وحشود من أتباعهم الشريرين من كفار ومنافقين .

وهناك أتباع للأرواح الشريرة منها الوحوش والسحرة . ويقود الشيطان

الأكبر أنراميينيو (أهريمان) جيش الشياطين ، وجميع هؤلاء يذعنون لأمره ، ويعملون على إشاعة الفساد في هذا العالم .

الشيطان الأكبر :

الشيطان الأكبر يدعى أنراميينيو ، وكذلك يدعى أهريمان . ويمثل ظاهرة مهمة في الدين الزردشتي . وليست فكرة الشيطان الذي يضل الناس ، ويحاول أن يقودهم إلى فعل الشر وارتكاب الآثام غريبة على أتباع الديانات السماوية . فهذه الديانات تقر بوجود شيطان يفسد في الأرض ويحاول أن يضل الناس ، وتدعو هذه الديانات الناس إلى مقاومة وساوسه . ومن هنا كانت دراسة فكرة الايرانيين عن الشيطان مما يستهوي الباحثين وبخاصة من يهتمون بمقارنة العقائد .

وأول شيء يجب الحديث عنه هنا هو العلاقة بين أهورا مزدا ، وسپنتا مينيو (الروح الطيب) ، وأنرا مينيو (الشيطان) . وكنا قد أشرنا إلى هذا الموضوع من قبل ، وسنعود إليه هنا لنبحثه بشيء من التفصيل .

ما العلاقة بين أهورا مزدا والروح الطيب والشيطان ؟ إن الروح الطيب جزء من جوهر أهورا مزدا .

وقد سبق أن ذكرنا أن كثرة الباحثين رأوا أن أهريمان خصم وضد لأهورا مزدا ، وأن سپنتاميينيو ليس إلا صفة من صفات أهورا مزدا ، وأن أهورا مزدا يسمى سپنتاميينيو حينما يراد إظهار الفرق بينه وبين أهريمان ، كما يحدث مثلاً حين مقارنة القوة الخالقة لكل منهما أو حين النظر إلى مخلوقات كل منهما . فأهريمان هو العدو المباشر لأهورا مزدا ، وهو الذي يحاربه حرباً دائمة لا هوادة فيها .

ولقد حاول البارسيون أن يصوروا دينهم على أنه دين توحيد يؤمن بوحدة الله ووحدة الخالق . وهم يقولون إن الاعتقاد بقوتين خالقتين خطأ .

ويقولون إن الجاناث (أقدم أجزاء الأڤستا) لا يفهم منها وجود خالقين . فأهرمن عندهم ليس عدوا مضاداً لأهورامزدا نفسه . وهم يؤكدون أن الجاثات يفهم منها أن الروح الطيب سپنتامينيو والشيطان أنرا مينيو ليسا سوى روحين يكونان جزءا من جوهر أهورامزدا . فأهرمن ليس ضداً لأهورامزدا نفسه ، وإنما هو ضد لروحه الطيب . وهم يقولون إن أهورامزدا يخلق الأضداد بهاتين القوتين . أما إطلاق اسم سپنتامينيو على أهورامزدا في بعض الأحيان فهذا في رأيهم لا يوجد إلا في النصوص المتأخرة ، وأما النصوص القديمة فلا يوجد بها مثل هذا الخلط . وقد أيدهم المستشرق الألماني هاوج Haug في نظريتهم تلك . وكذلك صور المستشرق الألماني گيگر Geiger الصلة بين أهورامزدا والشيطان بصورة مماثلة فقال إن سپنتامنيو وأنرامينيو قطبان متضادان ، فأولهما يخلق الخير وثانيهما يخلق الشر ، وهما توأمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر ، ولكن كلامنهما موجود بحالة مضادة للآخر . وكلاهما يفنى في الوحدة الجامعة ، وحدة أهورامزدا . وهذان الروحان كانا موجودين قبل أن يوجد العالم ، ولكن أعمالهما لا تظهر ولا تتضح إلا في عالم المرئيات ، ويتجلى في هذه الأعمال تضادهما . إن أهورامزدا هو خالق العالم ، ولكنه حين يصنع الخير بروحه الطيب يقوم الروح السلبي المضاد للروح الطيب بخلق الشر .

فنحن إذن بين اتجاهين في فهم موقف الشيطان من إله الخير في دين زردشت : اتجاه يفهم من كتابات الزردشتيين أنها تعتبر الشيطان خصما لإله الخير ، وأنه في حرب دائمة معه . واتجاه إلى اعتبار الشيطان خصما للروح الطيب وهو الأداة التي يخلق أهورا مزدا بها الخير . ولكن الاتجاه الأخير لا يختلف عن الأول في بيان سلطان الشيطان وسيطرته في هذه الدنيا . والاعتقاد بأن الشيطان ضد لإله الخير يؤدي إلى الثنوية الصريحة ، إذ أنه يتضمن القول بأن كلا من إله الخير والشيطان وجدا منذ البداية أما الاعتقاد بأن الشيطان ضد للروح الطيب ، وأن الشيطان صدر عن أهورا مزدا فهو لون من التوحيد

لذات إله الخير ، مع الاعتقاد بوجود لون من الثنوية يسيطر على العالم . ولكن الزردشتية متفائلة ، تؤكد أن قوة الشر موقوتة ، وأن الغلبة في النهاية ستكون للخير ، حيث تسود مملكة النور ويزول الشر والظلام . وهذا هو الذي دعا بعض الباحثين – الذين يرون أن الدين الزردشتي دين ثنوي – إلى القول بأن الثنوية فيه مؤقتة . فأهرمن وإن كان يحارب أهورا مزدا إلا أن قوته ليست أبدية كقوة أهورا مزدا ، وإنما مصيرها إلى الزوال ، وحينذاك يسود العالم الخير ، ويكون الحكم فيه لأهورا مزدا وحده ، ولا يكون للشر حينذاك سلطان .

ومما هو جدير بالذكر أن الكتاب العرب فطنوا إلى هذا التناقض في فهم العلاقة بين أهورا مزدا وأهرمن

يقول المقدسي : « فزعمت المجوس بأن فاعل الخير لا يفعل الشر ، وأن الشرير لا يفعل الخير ، لأن الجنس الواحد لا يقع منه إلا الفعل الواحد ، كالنار لا يكون منها إلا التسخين ، والثلج لا يكون منه إلا التبريد . فسموا الإله الخير هرمز والشرير الخبيث أهرمن . وأضافوا كل حسن وجميل وفعل حميد إلى الخير ، وكل قبيح وذميم إلى الشرير الخبيث المضاد له . ثم اختلفوا – بعد إجماعهم على أن الخيّر منهما قديم لم يزل – وزعم بعضهم أن الشرير قديم أيضاً ، كقول الثنوية بقدم الكونين من النور والظلمة . وزعمت طائفة أخرى أنه حادث . ثم اختلف الذين قالوا بحدوث الشرير الخبيث كيف كان حدوثه ، فزعمت فرقة منهم أن القديم الخير تفكر فكرة رديئة فاسدة فحدث من فكرته هذا الخبيث الشرير . وهذا نقض أصلهم بأن جوهر القديم جوهر خير لا يشوبه شيء من الزور والآفات . وزعم آخرون أن الخيّر هفا هفوة فحدث هذا الضد بلا إرادة منه ولا مشيئة ، فجعلوا الخير كالمقود الجاهل الذي لا يملك نفسه وأمره . . وزعمت فرقة ثالثة منهم أنه لا يُدرى كيف حدث هذا الشرير المنازع للخير القديم فأفصحوا بالحيرة

ونادوا على أنفسهم بالشبهة . . . وقد زعموا جميعاً أن هذا الشرير كايد الخير ونازعه الأمر ، وجمع الخير جنوده من النور ، والشرير جنوده من أبعاض الظلمة فاقتتلا مدة من الدهر طويلة . ثم توسطت الملائكة بينهما ودعوهما إلى الهدنة والموادعة . . . مدة سبعة آلاف سنة ، وهي مدة قوام العالم ، فاصطلحا على أن يكون أكثر الأمر والحكم والغلبة في هذه المدة المضروبة للجوهر الشرير ، فاذا انقضت المدة أفضى الأمر إلى القديم الخيّر [1] » .

وينبغي الانتباه هنا إلى أن الشيطان في الدين الزردشتي ليس كالشيطان في العقائد السماوية . فالشيطان في هذه الأديان ملك ضل . أما في الدين الزردشتي فهو بطبيعته شرير منذ البداية . وهو في الأديان السماوية يخدع ويوسوس ولكنه في الديانة الزردشتية يخلق الشرور والآثام ، ويبدع كل ما يضر ويفسد .

ويختلف تصوير الشيطان الأكبر باختلاف النصوص الزردشتية . فالجاثات – أقدم النصوص – تذكر أن صفاته تتلخص في كلمة واحدة هي أنه شرير ، وهو على الدوام يختار أسوأ أمر ممكن . وهو مضاد بكل معاني الكلمة للروح الطيب ، وغايته تخريب العالم. وهو يقف إلى جوار دروج Druj وهي شيطانة الكذب والغش والخديعة . وهذه الشيطانة هي الضد المواجه للملك الصواب آشا Asha الذي يتخذه أهورا مزدا عوناً له. والجحيم هو مستقر شيطانه الخديعة. وقد وردت كلمة الروح الشرير مرة واحدة في الجاثات ، والمعتقد أنها تشير إلى الشيطان الأكبر ذاته . وقد أشير إليه أيضاً بأنه الفكر الشرير ، فمن هذا الفكر الشرير تتولد الشياطين . وسوف يذهب الأشرار في الدنيا إلى مقام الفكر الشرير ، وهو عين المكان الذي تقيم فيه دروج شيطانة الكذب والخديعة والغش . والفكر الشرير أيضاً هو أبو الأرواح الشريرة أو الشياطين التي ترمز إلى صفات الشر وتمثلها .

أما الأجزاء الأخرى من الأفستا فتصوره متعقباً أهورا مزدا ، يتلف في

---

(١) البدء والتاريخ ، ج ١ ، ص ٨٨ – ٩٠ .

إصرار ما يخلقه أهورا مزدا . وهو يحاول أن يضعف سلطة الخير ، وإن كان لا يستطيع القضاء عليها . ومنذ خلق عالم الخير اتخذ أهريمن منه موقفاً معادياً، وحاول أن يقضي عليه . فما خلق أهورا مزدا خيرا إلا خلق أهريمن شراً يقابله . ولهذا سميت أعماله بالأفعال المضادة ، وعرف أهريمن بخالق الشر، فمخلوقات أهريمن هي المخلوقات التي قدر لها سلفاً أن تضاد مخلوقات الروح الطيب . فحينما خلق أهورا مزدا الحياة خلق أهريمن الموت . ولهذا سمي بالمميت في الأجزاء الأحدث من كتاب الأفستا، كما سمي أيضاً بالشرير والخبيث، وصانع الشر إنه يمنع المياه من أن تجري في مجاريها الطبيعية . إنه يخلق الجرائم والأوبئة والأمراض ليؤذي الناس ويؤلمهم .

أهريمن ، شيطان الشياطين، المخادع قائد الجن ، يقيم في ظلمة لا نهاية لها . وهو يجمع الشياطين حوله في جبل أريزورا (من جبال البرز) ، وهو باب الجحيم ، ومن هناك ينطلقون لمهاجمة البشر، ويسعون في الأرض فساداً. وكان مولد زردشت إيذانا بانهزام أهريمن . فقد أصبح لزاماً عليه أن يلتجىء هو وأتباعه إلى باطن الأرض . ولقد جاء الشيطان الأكبر من الشمال وحاول أن يخدع زردشت ، لكن زردشت قاوم خداعه وصمد لكل ما أظهره له من ضروب الاغراء ، واستطاع في النهاية أن يدفعه الى الفرار .

إن أنراميئيو (أهريمن) يكره ملك النور مثرا Mithra . وهو لا يمل من إيذاء أهورا مزدا ، ولا يتوقف عن السعي الى إطفاء النار ، ولكنه سوف ينهزم في النهاية أمام إله الخير ، وحينذاك يهرب مع أتباعه الى باطن الأرض ، أو يقضى عليهم جميعاً قضاء كاملا .

أهريمن ، كما تصورة الكتابات البهلوية :

اللغة البهلوية ، لغة الفرس في العصر الساساني ، قدمت للدراسين نصوصاً كثيرة عن الدين الزردشتي . وقد صورت هذه النصوص أهورا مزدا بذات

الصورة التي رسمتها له الأجزاء الأحدث من الاڤستا . فهو دائماً ذلك الخسيس المذنب الجاهل الجبان الشرير المخادع المهلك . وهو أزلي مثل أهورا مزدا . وقد كان يقيم منذ الأزل في الظلام اللانهائي، ولكنه نهض ورأى أهورا مزدا، فبدأ يهاجم النور الذي يقيم فيه أهورا مزدا . ويتقابل أهورا مزدا وأهريمن في الهواء ، ومنذ ذلك الحين يبدأ الصراع بينهما . ويتغلب أهورا مزدا على أهريمن فيفر مضطرباً إلى الجحيم ، ولكنه لا يكاد يسترد صوابه حتى يبدأ بخلق مجموعة من الشياطين ، وهؤلاء هم أتباعه ومعاونوه في تنفيذ الشرور التي يرسمها لهم . ولكن النصوص البهلوية تتفق مع النصوص القديمة في قولها بانهزام الشيطان أو هلاكه في نهاية الأمر .

الشياطين Daévas :

تتحدث الأڤستا عن أنواع مختلفة من الشياطين والعفاريت الشريرة وغيرها من صناع الشر . وليس هناك جيش مرتب من هذه الشياطين ، كما هو الحال في مملكة السماء . إن الثنوية الدقيقة غير واضحة حين نوازن بين أفراد هذا الجيش وبين أفراد مملكة السماء . حقاً إن هناك ستة شياطين عتاة يواجهون الملائكة الكبار . ولكن الشياطين الآخرين الذين هم أدنى شأناً من هؤلاء القادة لا يقفون تماماً في مواجهة الملائكة (اليزاتات) ، فهذه الملائكة لا يواجه كلاً منها شيطان يحاربه . وفوق ذلك فان أفراد الشياطين لم يصوروا بوضوح كما هو الحال بالنسبة لأفراد الملائكة؛ بل إن الكثير منهم لا يعدو أن يكون مجرد اسم .

وقد ذكرت تلك الشياطين في الجاثات،وفي الأجزاء الأحدث من الأڤستا، وفي الكتابات البهلوية وفي كتاب الشاهنامه للفردوسي. ووصفت هذه الشياطين بأوصاف تدل على شرها وخستها . وهذه الشياطين التي يطلق عليها Daévas مكونة من أفراد من ذكور الشياطين، ويستدل على هذا من أن كلمة Daéva

تدل على المذكر. ولكن الأمر لا يخلو من وجود أنثى بين أفرد هذه المجموعة. أما العفاريت الإناث فهي التي يطلق على كل منها دروج .

وقد تولدت هذه الشياطين من الفكر الشرير، ومن الشيطان الأكبر، ومن العقل الخاطىء ، هذا ما تقول به الأفستا وكل من هذه الشياطين ينطوي بطبيعته على بذرة الظلام . وقد خلقها أهريمن لتحارب الخير ، وتؤذي الإنسان . والشياطين ليست كلها كائنات روحية ، لكن منها ما يتجلى في صورة البشر كما أن البشر المذنبين الذين يرتكبون الخطايا والآثام يعدون من بين هؤلاء الشياطين ، ويصبحون بعد موتهم شياطين روحية .

وقد آذن مولد زردشت بكارثة عظيمة ألمت بهذه الشياطين ، وكان نذيراً لهم جعلهم يلتجئون الى باطن الأرض . ولكنهم عادوا من جديد ليصبوا شرورهم على البشر . وهم يتجولون هنا وهناك على تمام الاهبة ليصيبوا أي إنسان يضع نفسه ، تحت تأثيرهم ، أو يسلم لهم نفسه . والقذارة تجتذبهم ، فهم يكثرون بالقرب من الدخمات (وهي الأماكن التي يضع الزردشتيون فيها موتاهم) . وهم يقبلون من جهة الشمال ، ويجتمعون في جبل أريزورا باب الجحيم ، وكثير من هذه الشياطين ينتمي الى إقليم مازندران .

وليس من المستطاع حصر الشياطين . وقد ذكروا في أجزاء مختلفة من الأفستا وغيرها من الكتابات الدينية وهذه الشياطين في غالب الأمر — تشخيص للآثام والأحزان والأمراض . وهي تلك القوى الشريرة التي تهاجم الانسان ، ما لم تحمه منها قوة قادرة على التغلب عليها هي قوة الصواب ، أو العبادات التي تدفعها الى الفرار ، أو ضوء النهار . وقد ورد في بعض روايات التاريخ أن الفرس كانوا يفخرون بأنهم يستطيعون السيطرة على الجن وإخضاعها لسلطانهم . وتروي الشاهنامه أن الملك الأسطوري جمشيد أخضع الجن والشياطين لسلطانه . وقد استنتج بعض مؤرخي لاسلام من هذا القول أن جمشيد هو سليمان ، وهو استنتاج خاطىء .

وفي الأفستا قسم يسمي القنديداد Vendidad (القانون المضاد للشياطين) ويكثر فيه ذكر الشياطين ، ولا عجب في ذلك . ومن هذه الشياطين ما يزيد نشاطه على سواه ، ويمتاز بقدرة على الايذاء أكثر من غيره .

ولأهريمن ستة أو سبعة من كبار الأعوان يقفون في مواجهة الملائكة الكبار الذين يؤازرون إله الخير أهورا مزدا . فأول هذه الشياطين الفكر الشرير ويضاد الفكر الخير . وهناك بعد ذلك الشيطان المضل ويضاد ملك الصواب، وشيطان ثالث هو الحُكم الجائر والفوضى والسكر، وهو عدو المُلك المرتجى. وشيطان رابع يمثل الجشع ، وقيل إنه يمثل العصيان . ثم هناك شيطانان آخران يفهم من المدلول اللغوي لاسميهما أنهما مرتبطان بفكرة القهر والاتلاف والتخريب والشيخوخة .

وقد يضاف إلى هذه الشياطين الستة شيطـان سابع هو شيطان الغضب والثورة، وهو من أشد الشياطين نكراً وعداوة للانسان، ويضاده ملك الطاعة الدينية .

ولو ذهبنا بعد ذلك نعدد الشياطين الأخرى فسوف يطول الكلام . فمن هؤلاء الشياطين ما يرمز للغرور أو الكلام الذي يخلو من الصدق أو الحقد أو الغيرة ومنهم شيطان يحارب أرواح الشريرين بعد الموت ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ثم يقودها إلى العذاب . ومنهم شيطان يدفع الناس إلى الكلام حين ينبغي لهم السكوت . ومنهم شيطان يجعل الناس يعرضون عن الصالحات . ومنهم شيطان يمثل الشيخوخة وشيطان يمثل الريح المخربه ، وشيطان يمثل الكسل وطول النوم ، وشيطان يسمى الخراب الخفي وهو الذي يسبب العدم ويجلب سوء الطالع والشقاء ، وشيطان يمثل العسر والحاجة ، وشيطان يمثل الطمع والأثرة، وشيطان يمثل البخل،وشيطان يمثل الخداع ويسعى لدفع الناس إلى ارتكاب المعاصي ، وشيطان يمثل الغيبة وقذف الأعراض ، وشيطان يمثل مجانبة الصدق والصواب ، وشيطان يمثل العين الحاسدة ، وشيطان يمثل عبادة

الأصنام ، وشيطان يسمى محطم الكيان وهو الذي يفصل النفس عن البدن ، وشيطان يمثل القسوة ، وشيطان يمثل الجفاف ، وهو يحارب ملك المطر ، وشيطان يمثل العواصف، وشيطان يمثل قسوة الشتاء، وشيطان يمثل التسول ، وهكذا .

المبادىء الخلقية :

ننتقل الآن إلى التحدث عن بعض المبادىء الخلقيةالتي دعا إليها زردشت.

لما كانت أوضح خصائص الدين الزردشتي هي الايمان بالثنوية التي تتجلى مظاهرها – في رأيهم – بتلك الحرب القائمة بين الخير والشر، والنور والظلام، فإن الدين الزردشتي دعا أتباعه إلى القيام بدورهم في هذا الكفاح . على الانسان أن ينهض لنصرة قوى الخير بما يعمل من خير . إن الانسان من خلق أهورا مزدا ، وهو بهذا ينتمي إلى مملكة الخير ، ولكنه مع ذلك مخلوق حر الارادة ، ويتوقف خلاصه النهائي من الشر على نوع اختياره . وزردشت قد أرسل إلى هذا العالم ليرشد الانسان في اختياره بين الخير والشر .

الأساس الثاني من أسس الأخلاق في دين زردشت هو نظرية المسؤولية الشخصية . كل إنسان مسؤول عن عمله . أهورا مزدا وجنوده رقباء على أعمال الانسان ، والأعمال الحسنة تسجل كلها له، كما أن الأعمال السيئة تسجل عليه . وهناك ملك يسجل هذه الأعمال ، وموقفه واضح في دين زردشت ، فهو يكتب أعمال الناس من خير أو شر . وسوف توزن هذه الأعمال في يوم البعث ويحاسب عليها الانسان . تتلخص تعاليم زردشت الأخلاقية – كما سبق أن ذكرنا – في دعوته إلى الفكر الخيّر والقول الخيّر والعمل الخيّر . الرجل الطيب تتلقى روحه يوم البعث حورية هي ذاتها تشخيص لضميره النقي ، ودينه الذي تمسك به في أفكاره وأقواله وأعماله . أما المذنب فسوف تتلقى روحه ساحرة بشعة المنظر تقودها إلى اللعنة الأبدية . كما أن المراحل الثلاث – وهي الفكر الخير والقول الخير والعمل الخير – تمثل الدرجات التي ترقى

فيها الروح الطيبة درجة بعد درجة في ملكوت النور اللانهائي . أما التفكير في الشر وقول الشر وعمله فهي الدركات التي تهبط فيها الروح الشريرة في الظلام اللانهائي .

ولا يتسع المجال هنا لتعداد الفضائل التي أوصى زردشت باتباعها والرذائل التي حضّ على اجتنابها . وأهم هذه الفضائل نقاء الجسم والروح ، والاستقامة والإحسان والكرم والرحمة . ويتجلى اهتمام زردشت بالأخلاق في رمزه إلى كل فضيلة أو تشخيصه لها بملك من الملائكة يعمل في جيش الخير ، ورمزه إلى كل رذيلة أو تشخيصه لها بشيطان من الشياطين يعمل في جيش الشر .

وقد حض زردشت على الوفاء بالوعد واجتناب خداع الناس والكذب ، كما أوصى بالابتعاد عن الاستدانة . وقد قال هيرودوت إن الفرس يعلمون أبناءهم ثلاثة أشياء : ركوب الخيل ، والرمي بالقوس ، وقول الصدق .

والكذب – في دين زردشت أكبر الرذائل ، ويليه عندهم الوقوع في الدين ، إذ أن هذه الرذيلة تتضمن رذيلة أخرى هي أن المدين دائماً يكذب على الدائن. وأوصى الدين الزردشتي كذلك بالتزام العفة . وليس في الزردشتية أي لون من ألوان الرهبنة ، بل إنها تدعو إلى التمتع بالحياة باستقامة واعتدال.

الأسرة هي وحدة المجتمع . وكثرة النسل تعد فضيلة . والمرأة يجب أن تخضع لزوجها وتطيعه . ومع ذلك تعترف الزردشتية للمرأة بكيانها ، ولا تفقدها شخصيتها أمام الرجل .

وفي دين زردشت دعوة إلى الاعتزاز بالقومية ، وإطاعة الحكام المدنيين ، ورجال الدين ، والقناعة والشجاعة ومحبة العلم والحكمة .

ويمتاز هذا الدين القديم باتجاه عمراني واضح . فقد أوصى بالزواج ، وعدّ الرهبنة رذيلة ، بل إنه عد الصوم رذيلة ، وأوصى بالزراعة وحفر القنوات والمجاري المائية ، كما حثّ على رعاية الحيوانات النافعة وبخاصة البقرة والكلب.

ومع ذلك لم نجد عند الفرس مبالغة بشأن هذه الحيوانات ، كما هو الحال عند الهنود . وأوصى الدين الزردشتي بقتل الحيوانات المؤذية والحشرات الضارّة، وعدّ قتلها إقلالاً من قوة الشيطان ، بل إن إبادتها اعتبرت نوعاً من التعبد الذي تغتفر به الذنوب .

تقديس عناصر الطبيعة

أشرنا من قبل إلى أن الزردشتيين قدّسوا عناصر الطبيعة من ماء ونار وهواء وتراب . ونتج عن هذا التقديس أن روعي الاحتفاظ بطهارة تلك العناصر مراعاة دقيقة

فمن المحرّم عند الزردشتيين أن يقربوا جسماً ميتاً من النار لأن النار عندهم مصدر النور ، والنور رمز لإله الخير وهذا التعظيم للنار هو أساس الاشتباه الذي جعل بعض الدارسين لدين زردشت ينسبون إلى أتباعه عبادة النار . فالنار لم تعبد ، بل عظّمت لأنها مصدر النور ، رمز إله الخير وقوى الخير . على أن هذا لا يمنع من أن بعض المجوس — الذين لا يستطيعون إدراك معنى الرمز — عبدوا النار لذاتها ، وغاب عنهم هذا المدلول الرمزي

أما تقديس الزردشتيين للأرض ومراعاتهم الاحتفاظ بطهارتها فقد حتم عليهم ألا يدفنوا موتاهم . فإذا مات إنسان حملوه إلى جبل، ووضعوه في الهواء في وعاء أسطواني يسمى دخمه يبنونه لهذا الغرض فوق الجبال ،وهناك يتركون الميت تحت حرارة الشمس لتفترسه الطيور الجارحة والسباع الضارية .

أما طهارة الماء فواجب ديني يلتزمون به فمن ألقى بحيوان ميت أو بجيفة في قناة أو مجرى ماء أغضب بذلك الملك أو الروح الذي يرعى الماء ، وأصبح نجساً إلى الأبد . وإذا رأى إنسان جيفة تسبح في مجرى ماء فعليه أن ينزل إلى الماء بدون تأخر ، مهما كانت شواغله ، وأن ينتشلها من الماء ،ويلقي بها في مكان منعزل، بعيد عن الأماكن التي يرتادها الناس . والپارسيون اليوم

يفخرون بهذه الأشياء ، ويباهون بأنها تتفق وقوانين الصحة العامة في العصر الحديث .

زواج أقرب الأقارب :

منالانتقادات التي وجهت إلى الدين الزردشتي أن أتباع زردشت أجازوا الزواج بين أقرب الأقارب كزواج الرجل بأخته أو ابنته . ولقد عرف عند الشعوب القديمة شيء من ذلك ، ففراعنة مصر كانوا يتزوجون أخواتهم . ومع ذلك لم نعلم أن أحد هؤلاء تزوج ابنته

والپارسيون اليوم لا يجيزون هذا النوع من الزواج . وهم ينكرون بشدة أن شيئاً مثل هذا قد أبيح في دينهم . وقد أفرد أحد علمائهم – وهو داراب پيشوتان سنجانا Darab Peshotan Sanjana – كتاباً لهذا الموضوع أنكر فيه إباحة مثل هذا الزواج في إيران القديمة ، وحاول أن يثبت رأيه ولكن كثيراً من الأسانيد التاريخية تقف في وجهه .

ففي كتاب الأڤستا فقرات حثت على هذا النوع من الزواج . وقد ذكر المؤرخون اليونان القدمـاء وعلى رأسهم هيرودوت أن الفرس كانوا يبيحون هذا النوع من الزواج وجاء الكتاب المسلمون فنسب كثيرون منهم هذا الأمر إلى المجوس . وقد أثبت البحث صحة كثير من الأمور التي رواهـا المؤرخون اليونان وكذلك العرب .

يقول المقدسي : « ويستحلون نكاح الأخوات والبنات ، ويحتجون على من خالفهم بفعل آدم [1] » .

وقـد رووا أن رجلاً يدعى بهافريد ظهر بينهم في أوائل أيام العباسيين وأراد أن يُدخل على دين المجوس تغييرات منها نبذ زواج الأخوات والبنات فثاروا عليه وشكوه إلى أبي مسلم الخراساني فقتله

---

(١) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٢٧

والپارسيون اليوم – على ما يروي الباحثون الذين زاروهم في بلادهم – لا يبيحون هذا النوع من الزواج . كما أنهم يمتازون بالكرم ، والاحسان إلى الجار. ولا يبيحون تعدد الزوجات، ويستفظعون الخيانة الزوجية، ويكرهون الكذب ، والاستدانة .

ويروي المقدسي عنهم ما يؤيد ذلك من الناحية التاريخية ، يقول : « والزكاة واجبة عليهم من جميع أموالهم أن يخرجوا الثلث منها للفقراء والمضطرين من أهل ملتهم ومن غيرهم ، وفي إصلاح القناطر وكنس الأنهار وعمارة الأرض [1] » .

الزردشتية بعد زردشت :

دخل الدين الزردشتي في تاريخ طويل بعد وفاة زردشت . وقد أصابته ضربة قوية حين غزا الاسكندر ايران عام ٣٣٠ ق. م. فيقال إن نسخة الأفستا التي كانت في الخزائن الملكية قد أحرقت . وتلا ذلك عصر مظلم بالنسبة لدين زردشت هو عصر السلوقيين والپارثيين ، الذين حكموا إيران حتى عام ٢٢٦ م ، أي نحو خمسة قرون . وجاءت بعد ذلك الدولة الساسانية التي أسسها أردشير بن بابك فأحيت الزردشتية، وأعادت إليها قوتها، وجعلتها دين الدولة الرسمي . ففي عصر هذه الدولة جمعت نصوص الأفستا من جديد، وسادت الزردشتية من جديد نحو أربعة قرون . ولكن الفتح العربي الذي وقع في عام ٦٥١م كاد يقضي عليها، فأسلمت الكثرة الغالبة من سكان إيران ، وفرّ بعض أتباع الدين الزردشتي إلى الهند حيث بقوا على دينهم وسموا هناك بالپارسيين نسبة إلى وطنهم الأصلي فارس .

تاريخ الزردشتية في العصر الساساني لم يخل من اضطرابات داخلية ، فمنذ ظهرت المسيحية في الغرب ، بدأت تظهر في فارس حركات ترمي إلى المزج

---

(١) المصدر السابق ، ٢٨ .

بين الديانتين، وكان أهم هذه الحركات حركة مرقيون وحركة ابن ديصان. وجاءت بعدهما حركة أكبر منهما وأخطر هي حركة ماني ، وقد سعى هذا إلى توحيد العالم في ظل ديانة واحدة فدعا إلى دين يتكون من عناصر من الأديان السائدة في عصره وهي الزردشتية والمسيحية والبوذية .

وتعتبر كتب التاريخ الاسلامي من أهم مصادر هذه الحركات الدينية . وفيما يلي بعض ما كتبه البيروني عن مرقيون وابن ديصان وماني . يقول :

« نعود الآن فنقول إن الفرس كانوا يدينون بما أورده زردشت من المجوسية لا يفترقون فيها ولا يختلفون إلى ارتفاع عيسى وتفرق تلامذته في الأقطار المختلفة للدعوة . وإنهم لما تفرقوا في البلاد وقع بعضهم إلى بلاد فارس ، وكان ابن ديصان ومرقيون ممن استجاب، وسمعا كلام عيسى وأخذا منه طرفاً ، ومما سمعا من جهة زردشت طرفاً . واستنبط كل واحد من كلا القولين مذهباً يتضمن القول بقدم الأصلين . وأخرج كل واحد منهما انجيلاً نسبه إلى المسيح وكذب ما عداه . وزعم ابن ديصان أن نور الله قد حل في قلبه ولكن الخلاف لم يبلغ بحيث يخرجهما وأصحابهما من جملة النصارى . ولم يكن انجيلاهما مباينين في جميع الأسباب لانجيل النصارى ، بل زيادات ونقصان وقع فيهما والله أعلم .

ثم جاء من بعدهما ماني تلميذ فادرون ، وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية ، فتنبأ وزعم في أول كتابه الموسوم بالشابرقان — وهو الذي ألفه لشابور بن أردشير أن الحكمة والأعمال هي التي لم يزل رسل تأتي بها في زمن دون زمن ، فكان مجيئهم في بعض القرون على يدي الرسول الذي هو البد (بوذا) إلى بلاد الهند ، وفي بعضها على يدي زردشت إلى أرض فارس ، وفي بعضها على يدي عيسى إلى أرض المغرب . ثم نزل هذا الوحي ، وجاءت هذه النبوة في هذا القرن الأخير على يدي أنا ماني رسول إله الحق إلى أرض بابل . وذكر في إنجيله الذي وضعه على حروف الأبجد الاثنين والعشرين

حرفاً أنه الفارقليط الذي بشر به المسيح ، وأنه خاتم النبيين . وأخبر عن كون العالم وهيأته بما يضاد نتائج البراهين والدلالات . ودعا إلى ملك عوالم النور والانسان القديم وروح الحياة وقال بقدم النور والظلمة وأزليتهما. وحرم ذبح الحيوان وإيلامه ، وإيذاء النار والماء والنبات على أبلغ وجه . وشرع نواميس يفترضها الصديقون وهم أبرار المانوية وزهادهم على أنفسهم من إيثار المسكنة وقمع الحرص والشهوة، ورفض الدنيا والزهد فيها، ومواصلة الصوم ، والتصدق بما أمكن ، وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم واحد ولباس سنة ، وترك الزواج ، وإدامة التطواف في الدنيا للدعوة والإرشاد . ورسوماً أخرى يفرضونها على السماعين ، أعني أتباعهم والمستجيبين لهم من المختلطين بالأسباب الدنياوية من التصدق بعشر الملك ، وصوم سبع العمر ، والاقتصار على امرأة واحدة ، ومواساة الصديقين وإزاحة عللهم . وكانت ولادة ماني في بابل في قرية تدعى مردينو ، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

ولما ظهر كثر مصدقوه وأتباعه ، وألف كتباً كثيرة كانجيله والشابرقان وكنز الأحياء وسفر الجبابرة وسفر الأسفار ، ومقالات كثيرة زعم فيها أنه بسط ما رمز به المسيح

ولم يزل أمره يزداد أيام أردشير وابنه شابور وهرمز ابنه إلى أن ملك بهرام بن هرمز فطلبه حتى وجده وقال : إن هـذا خرج داعياً إلى تخريب العالم ، فالواجب أن نبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهيأ له شيء من مراده . فالمشهور من حاله أنه قتله وسلخ جلده ، وحشاه تبناً ، وعلقه من باب مدينة جند يسابور ، ويعرف إلى زماننا هذا بباب ماني . وقتل خلقاً ممن استجاب له . وبقي من مستجيبيه بقايا منسوبة اليه ، متفرقـة الديار لا يكاد يجمعهم موضع واحد في بلاد الاسلام إلا الفرقة التي بسمرقند المعروفـة بالصابئين . فأما خارج دار الاسلام فإن أكثر الاتراك الشرقية وأهل الصين والتبت وبعض الهند على دينه ومذهبه . وهم في أمره على قولين : فرقـة تقول إنه لم يكن

لماني معجزة ، وتحكي أنه أخبر بارتفاع الآيات عند مضي المسيح وأصحابه . وأخرى تزعم أنه كان ذا آيات ومعجزات ، وأن سابور الملك آمن بـه حين رفعه مع نفسه إلى السماء ووقفا بينها وبين الأرض في الهـواء ، وأراه بذلك الأعجوبة . قالوا وإنه كان يصعد من بين أصحابه إلى السماء فيمكث فيها أياماً ثم ينزل إليهم [1] »

وقد كان ظهور مرقيون نحو عام ١٤٢ م ، وظهور ابن ديصان نحو عام ١٧٢ م أما ماني فقد كان بدء دعوته نحو عام ٢٤٢ م . وقتل حوالي ٢٧٣ أو ٢٧٤ م .

ولقد بدأت الثنوية تظهر غرباً في تعاليم الغنوصيين Gnostics (العارفين) الذين بلغت حركتهم درجة من الأهمية في أوائل القرن الثاني الميلادي، وبلغت أقصى قوتها في الربع الثالث من ذلك القرن ثم أخذت بعد ذلك في الضعف . وقد قالت هذه الدعوة بعالم للخير وعالم للشر .

وتجلت الثنوية بحركة مرقيون . وكان هذا رجلاً غنياً يملك السفن . ولد وثنيا ونشأ نشأة وثنية ، ثم اعتنق المسيحية ، وذهب إلى روما عام ١٤٠ م، وهناك حاول أن ينشر مذهبه الذي كان يتنافى مع تعاليم الكنيسة في روما ولكنه لقي معارضة شديدة من جمهور المسيحيين ، وفصل من الكنيسة ، فأسس مذهباً جديداً نحو عام ١٤٤ م ، ونمت جماعته في السنوات العشرين التي تلت ذلك وأسست كنائس تدين لها بالتبعية في شرق الامبراطورية وغربها . وخلاصة دعوة مرقيون أنه جاء بثنوية تنافي المسيحية خلاصتها أن هناك إلهين ، إلهاً صارماً يمثل القانون هو إله اليهود خالق الدنيا ، وإلهاً للخير والمحبة هو إله يسوع المسيح وهو اسمى من إله التوراة .

فهذا لون من الثنوية ، ولكنها ليست مطابقة لثنوية الفرس ، وإن كان من الواضح تأثرها بها .

---

(١) البيروني : الآثار الباقية ، ٢٠٧ — ٢٠٩

ماني : إن ماني هو أكثر الدعاة الدينيين إرساء لعقيدة الثنوية . فلننظر كيف يصور ابن النديم عقيدة ماني :

« قال ماني : مبدأ العالم كونان أحدهما نور والآخر ظلمة ، كل واحد منهما منفصل من الآخر . فالنور هو العظيم الأول ليس بالعدد ، وهو الإله ملك جنان النور ، وله خمسة أعضاء : الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة . وخمسة أخر روحانية وهي الحب والإيمان والوفاء والمروءة والحكمة . وزعم أنه بصفاته هذه أزلي ومعه شيئان اثنان أزليان أحدهما الجو والآخر الأرض. قال ماني : وأعضاء الجو خمسة الحلم والعلم والعقل والغيب والفطنة . وأعضاء الأرض النسيم والريح والنور والماء والنار. والكون الآخر هو الظلمة وأعضاؤها خمسة : الضباب والحريق والسموم والسم والظلمة قال ماني : وذلك الكون النيّر مجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما . والنور يلقى الظلمة بصفحته ، ولا نهاية للنور من علوه ولا يمنته ولا يسرته . ولا نهاية للظلمة في السفل ولا في اليمنة ولا في اليسرة [1] » .

ولقد قامت حرب بين كون النور وكون الظلمة ، فامتزجت حبات من النور بحبات من الظلمة فتكون منها عالم الدنيا. « فخالط الدخان النسيم فمنهما هذا النسيم الممزوج ، فما فيه من اللذة والترويح عن الأنفس وحياة الحيوان فمن النسيم . وما فيه من الهلاك والايذاء فمن الدخان . وخالط الحريق النار فمنها هذه النار ، فما فيها من الاحراق والهلاك والفسا فمن الحريق، وما فيها من الإضاءة والانارة ، فمن النار . وخالط النور الظلمة ، فمنها هذه الأجسام الكثيفة ، مثل الذهب والفضة وأشباه ذلك ، فما فيها من الصفاء والحسن والنظافة والمنفعة فمن النور ، وما فيها من الدرن والكدر والغلظ والقساوة فمن الظلمة. وخالط السموم الريح فمنها هذه الريح ، فما فيها من المنفعة واللذة فمن الريح ، وما فيها من الكرب والتعوير والضرر فمن السموم . وخالط

---

(١) الفهرست ، ص ٣٢٩ .

الضباب الماء فمنها هذا الماء ، فما فيه من الصفاء والعذوبة والملاءمة للأنفس فمن الماء ، وما فيه من التغريق والتخنيق والاهلاك والثقل والفساد فمن الضباب [1] » .

ويصور الشهرستاني ثنوية ماني الصريحة بقوله :

« زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين : أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا ، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم . وزعم أنهما لم يزالا قويين حساسين ، دراكين سميعين بصيرين ، وهما — مع ذلك — في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادان ، وفي الحيز متحاذيان ، تحاذي الشخص والظل [2] »

وتختلف المانوية عن الزردشتية في نظرتها إلى الحياة الانسانية والسلوك الانساني . وأهم وجوه هذا الخلاف بين المانوية والزردشتية ما يلي :

أولاً : أن ماني قد اعتبر المادة مصدر الشر ، وبذلك أوصى بقتل رغبات الجسد ، إذ أنه من أصل مادي ، وبذلك كانت رغباته شراً يجب القضاء عليه . ومن الخير للانسان — في رأيه — أن يفر من العالم ، وينقطع في مكان موحش لا تصله فيه الآلام أو المسرات ، ولا تعكر صفوه فيه رغبات هذا العالم. أما الزردشتية الأصلية فهي تدعو إلى التحكم في رغبات الجسد وتنظيمها، لا كبتها والقضاء عليها . وقد شرع زردشت للروح والجسد معاً . فالمادة في نظر زردشت ليس من المحتم أن تكون شراً ، وحياة الجسد ليس معناها بالضرورة موت الروح .

ثانياً : اعتبر ماني الرهبنة أعظم الفضائل ، ودعا الصدّيقين من أتباعه إلى نبذ الزواج ، فهو في نظره يعوق الإنسان عن التوجه بكل كيانه الى ربه .

---

(١) المصدر السابق ، ٣٣٠ .

(٢) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٢٤

إن الزواج يطيل عمر البشرية على هذه الأرض وبذلك يؤخر من اليوم الذي يتحد فيه الروح الانساني بربه . على أن ماني سمح بالزواج لعامة الناس الذين لا يستطيعون مقاومة رغباتهم، واعتبر ذلك شراً لا بد منه . وهذه التعاليم تناقض تعاليم زردشت تمام المناقضة ، فالزردشية لم تدع إلى الرهبنة في يوم ما ، وحتى الموابذة (رجال الدين الزردشتي) لم يدعوا إلى ذلك . أهورا مزدا – كما يقول زردشت – يفضل الرجل الذي يستمتع بحياة زوجية سعيدة على الرجل الذي يمارس الرهبنة . الزواج واجب ديني وواجب اجتماعي يوصي به الدين وتوصي به الدولة . ومساعدة رجل مسكين على الزواج كان يعتبر عملاً من أكبر أعمال الاحسان . ويروي هيرودوت أن ملوك الفرس كانوا يكافئون من ينجبون الكثير من الأولاد .

ثالثاً : دعا ماني إلى الصوم عن الطعام ، وحضّ عليه ، على أنه وسيلة لغفران الذنوب . وروي أنه أمر أتباعه بصوم ربع العام . وطريقة الصوم – كما أمر بها ماني – طريقة مضنية حقا ، إذ يبقى الانسان فيها بدون طعام نحو يومين كاملين . ولم تدع الزردشتية إلى الصوم ، بل إن الزردشتية تعتبر الصوم ونظائره من أعمال الزهد ذنوباً . وترك الطعام عمداً احتقار لنعمة أهورا مزدا .

رابعاً : اعتبر ماني الفقر فضيلة ودعا أتباعه إلى نبذ الممتلكات الدنيوية . فأما رجال الدين فقد دعاهم إلى الامتناع عن الحصول على أكثر من قوت يوم واحد ، ولباس عام. فامتلاك متاع الدنيا يعتبر في نظر ماني استجابة للغرائز المنحطة في الانسان . أما عند الزردشتيين فليس هناك مانع من أن يكون الانسان غنياً . ولا عيب على الانسان إذا جمع ثروة كبيرة . ولكنه يصبح مذنباً إذا أساء استخدام هذه الثروة ، أو تركها تطغى على روحه ، وتجعلها مسخّرة للمادة . حينذاك يكون الفقر خيراً منها .

لم يقدر للمانوية أن تعيش في إيران بعد قتل ماني ، ولكنها انتشرت شرقاً

وغرباً فانتقلت إلى الصين ، ثم إلى ممتلكات الدولة البيزنطية في القرن الرابع الميلادي . وقد تشبثت بالحياة في أوروبا خلال القرون الوسطى ، وحاربتها المسيحية حتى قضت عليها كذلك عادت المانوية للظهور بصور مختلفة في العالم الاسلامي بعد قيام الدولة العباسية ، وكان لها نشاط قوي حاربته الدولة بلا هوادة حتى قضت عليه .

مزدك : ظهر مزدك بعد ماني بنحو ثلاثة قرون، وكان مذهبه في الثنوية شبيهاً إلى حد بعيد بمذهب ماني . يقول الشهرستاني : « حكى الوراق : إن قول المزدكية كقول كثير من المانوية : في الكونين والأصلين ، إلا أن مزدك كان يقول : إن النور يفعل بالقصد والاختيار ، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق . والنور عالم حساس ، والظلام جاهل أعمى . وإن المزاج كان على الاتفاق والخبط ، لا بالقصد والاختيار . وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار [1] » .

كان ظهور مزدك في زمن الملك الساساني قباذ (٤٨٨ – ٥٣١) ، وقد استطاع أن يحدث ثورة اجتماعية جارفة ، بمبادئه الاجتماعية التي دعا اليها . وكانت هذه المبادىء تسعى إلى إقرار السلام والوئام في الدنيا ، على حد زعمه .

يقول الشهرستاني : « وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال . ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال ، أحل النساء وأباح الأموال ، وجعل الناس شركة فيها ، كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ[2] » .

اعتنق الملك قباذ هذه المبادىء وأيدها ، وقيل في تفسير ذلك: إنه أراد باعتناقها التخلص من سلطة النبلاء ، ورجال الدين الزردشتي ، الذين قوي

---

(١) الملل والنحل : ج ١ ، ص ٢٢٩ .
(٢) المصدر السابق .

سلطانهم في زمنه . ولكن يظهر أن هذه الحركة – التي اعتنقها غوغاء الناس وعامتهم – قد أدت الى انتشار الفوضى في البلاد ، وانتهت الاضطرابات التي نتجت عنها بخلع الملك نفسه .

يقول الطبري : « وإنه لما مضى للملك قباد عشر سنين اجتمعت كلمة موبدان موبد والعظماء على إزالته عن ملكه ، فأزالوه وحبسوه لمتابعته لرجل يقال له مزدك مع أصحاب له ، قالوا إن الله إنما جعل الأرزاق في الارض ليقسمها العباد بالتآسي . ولكن الناس تظالموا فيها ، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء ، ويردون من المكثرين على المقلين . وأنه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتعة فليس هو بأولى به من غيره . فافترص السفلة ذلك واغتنموه ، وكانفوا مزدك وأصحابه ، وشايعوهم ، فابتلى الناس بهم وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم »

ولكن الملك قباذ استطاع أن يستعيد ملكه بمعاونة الهياطلة . وحين عاد إلى عرش إيران كان له موقف من المزدكية غير موقفه السابق ، فقد دعا مزدك وأتباعه الى الاجتماع بالقصر ، وهناك وفقاً لتدبير ابنه الأمير أنوشروان ذبح مزدك وأتباعه في عام ٥٢٨ أو أوائل عام ٥٢٩ . وحين تولى أنوشروان الملك بعد وفاة أبيه والى اضطهاد أتباع مزدك ولكن – على الرغم من ذلك – عاشت المزدكية حركة سرية ، وعادت إلى الحياة في صور مختلفة خلال العصر العباسي . وقد أحدثت كثيراً من الثورات والقلاقل في أقاليم إيران ، ومن أشهر هذه الثورات تلك التي عرفت بحركات الخرمية .

وقد اختلفت الآراء في تفسير المزدكية . فرأى البعض أنها كانت حركة اجتماعية أراد بها مزدك نشر الشيوعية بوصفها وسيلة لرفع أسباب النزاع والخلاف بين الناس . ويربطها البعض بحركة ماني التي ذكرناها . ومن أدلة الارتباط بين دعوتي ماني ومزدك ما سبق أن نقلناه عن الشهرستاني من تشابه

بينهما في العقيدة الثنوية ، وكذلك دعا مزدك إلى الزهد ، وحث على الامتناع عن ذبح الحيوان وأكل اللحم ، وهذه كلها من صميم دعوة ماني ، وتخالف بوضوح دعوة زردشت .

ولكن غرابة الدعوة الشيوعية على الناس في ذلك الحين ، وما أحدثت من اضطراب وفوضى أنست المؤرخين كل ما عداها من تعاليم مزدك ، فأبرزوها دون غيرها من تلك التعاليم .

لقد انتهت ثورة مزدك بانتصار الزردشتية، وعودة إيران إلى دينها القديم، في ظلال ملك قوي عادل هو كسرى أنوشروان .

الفتح الاسلامي :

تم للمسلمين فتح إيران عام ٦٥٢ ، فدخلت الزردشتية بعد ذلك الفتح في دور الاضمحلال والضعف . وإذا نظرنا اليوم إلى أتباع زردشت في العالم نجد أنهم لا يتجاوزون الآلاف . وهم يقيمون في بومباي بغرب الهند ، ويعرفون بالپارسيين. كما توجد مجتمعات زردشتية صغيرة في مناطق محدودة من إيران ، وبخاصة في يزد وكرمان . وقد يوجد عدد قليل منهم في طهران واصفهان وشيراز .

ولم يكن اضمحلال الزردشتية على هذا النحو وليد قهر أو ضغط قام به العرب الفاتحون . فلقد عامل العرب مجوس إيران معاملة أهل الكتاب ، وتركوا لهم حرية البقاء على دينهم ، والاحتفاظ بهياكلهم وممارسة طقوسهم وعباداتهم . وقد بقيت بيوت النيران منتشرة في إيران فترة طويلة بعد الفتح العربي، ووصفها مؤرخوا القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كالمسعودي والمقدسي .

وقد اختلف في تفسير الأساس الفقهي الذي بنيت عليه معاملة أتباع زردشت على هذا النحو من قبل الفاتحين العرب فذهب بعض الفقهاء إلى أن

المجوس أهل كتاب وممن أبدى في ذلك رأياً صريحاً ابن حزم صاحب الفصل في الملل والأديان والنحل . فقد ذكر أن المجوس (أتباع زردشت) أهل كتاب ، ونقل القول بذلك عن علي بن أبي طالب وحذيفة وسعيد بن المسيب وقتادة وأبو ثور وجمهور أهل الظاهر[1]. وأشار ابن حزم إلى مواضع متعددة من كتبه الفقهية أبدى فيها هذا الرأي . ويختم حديثه عن زردشت وأتباعه كما يلي : « ويكفي من ذلك صحة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية منهم ، وقد حرم الله عز وجل في نص القرآن في آخر سورة نزلت منه ، وهي براءة ، أخذ الجزية إلا من كتابي [2] » .

واكتفى الشهرستاني صاحب الملل والنحل بوصف المجوس بأنهم قوم لهم شبهة كتاب ، أي أنهم كانوا يتبعون كتاباً أصابه التحريف والحرم .

وإذا تركنا ميدان البحث الفقهي لننظر في الواقع التاريخي ، نجد التاريخ لم يسجل في أي من الفتوحات العربية أن المسلمين فرضوا دينهم بالقوة على شعب من الشعوب التي دخلوا بلادها ، مهما كانت عقيدة هذا الشعب . وجميع هذه الشعوب قد استمتعت بسماحة الحكم العربي ، وتحولت كثرتها إلى الاسلام بمحض إرادتها ولم تمارس الحكومات الاسلامية ضغطاً على أتباع المذاهب المخالفة إلا حين شكل هؤلاء حركات سرية أو ثورات عاتية كانت تهدف الى قلب الحكومة الاسلامية ، كما فعل الزنادقة والخرمية في العصر العباسي .

---

(١) الفصل ، ج ١ ص ١١٤ .
(٢) المصدر السابق .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ترجمة النصوص

تمهيد

تقدم الصفحات التالية ترجمة للنصوص الفارسية وقد أشير إلى هذه النصوص في الترجمة بأرقام الصفحات التي وردت فيها .

وقد روعي في الترجمة أن تكون قريبة من الأصل بقدر المستطاع إلا حين دعت الضرورة اللغوية الى شيء من الابتعاد عنه ، من أجل إيضاح المعنى باللغة العربية .

ترجمة النصوص

« حديقة الورد » لسعدي

الباب الأول
في سيرة الملوك

حكاية

(ص ٥) سمعت أن ملكاً أمر بقتل أسير . فأخذ المسكين – في حالة اليأس – يسبّ الملك ، ويقول سقط القول . فقد قيل : « كل من نفض يده من حياته يبوح بكل ما في قلبه في وقت الشدة حينما لا يبقى مهرب ، تمسك اليد بقبضة السيف القاطع » .

إذا يئس الانسان طال لسانه كسنور مغلوب يصول على الكلب

فسأل الملك : ماذا يقول ؟ فأجابه أحد الوزراء – وكان طبيب الحضر : أيها الملك ! إنه يقول : « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » . فشعر الملك بالرحمة ، وعفا عن دمه . فقال وزير آخر ، كان ضداً لهذا الوزير : لا يليق بأبناء جنسنا أن يتكلموا إلا بالصدق أمام الملوك . إنّ هذا قد سبّ الملك ، وقال ما لا يليق . فقطّب الملك وجهه من هذا الكلام وقال : إن كذبه ذلك قد جاء عندي أحسن موقعاً من هذا الصدق الذي قلته . فذلك كان له وجه في المصلحة ، وأما هذا فمبنيٌ على الخبث . ولقد قال الحكماء : « كذب ممزوج بالمصلحة ، خير من صدق يثير الفتنة » .

(ص ٦) كل من يعمل الملك بمقتضى قوله ، يكون من الحيف أن يتكلم بسوى الخير .

وكان مكتوباً فوق شرفة إيوان أفريدون :

الدنيا – يا أخي – لا تبقى لإنسان، فاربط قلبك بخالق الدنيا، وكفى.

ولا تركن إلى ملك الدنيا ومظاهرتها إياك ، فلقد ربّت كثيراً من أمثالك ثم قتلتهم .

فالروح الطاهر ، حين يعتزم الذهاب ، يتساوى الموت فوق التخت والموت على وجه الثرى .

حكايـة

رأى واحد من ملوك خراسان السلطان محمود بن سبكتكين في المنـام : أن كل وجوده كان قد انحل ، وصار ترابا ، ما عدا عينيه فكانتا لا تزالان تدوران في محجريها ، وتنظران . وقد عجز سائر الحكماء عن تأويل هـذه الرؤيا ، لكن درويشا أدرك معناها ، وقال : « هو ناظر الآن لأن ملكه مع الآخرين .

كم من مشهور قـد دُفن تحت الثرى ولم يبق من وجوده أثر على وجه الأرض .

وذلك الشيخ الفاني الذي أودعوه تحت التراب ، قد التهمه التراب ، حتى لم تبق منه عظام .

واسم أنو شروان الطيب حي بالعدل ، مع أنه قـد مضى وقت طويل منذ موت أنو شروان .

فاعمل الخير – يا فلان – وعدّ العمر غنيمة ، قبل أن يهتف المنـادي : « لقد ولى فلان [1] » .

---

(١) اعمل الخير قبل ان تفارق هذه الدنيا ،

حكاية

سمعت أن ابن ملك كان قصير القد حقيراً وأما إخوته الآخرون فكانوا (ص٧)طوالا، ملاح الوجه. وذات مرة كان أبوه ينظر اليه بكراهية واحتقار. ففهم الولد بفراسته واستبصاره ، وقال : أي أبي ! قصير عاقل خير من طويل جاهل. فكل ما كان أكبر قامة ليس هو الأكثر قيمة، فالشاة نظيفة، والفيل جيفة .

أقل جبال الأرض طور وإنه لأعظم عند الله قدر ومنزلا

أسمعت ذلك الذي قاله نحيف عاقل لأبله سمين ؟

إن الحصان العربي، وإن كان ضعيفاً، فهو هكذا خير من حظيرة حمير[١].

فضحك الأب ، وأعجب (القول) أركان الدولة ، وتألمت نفوس الإخوة.

ما لم يكن المرء قد نطق بقول ، يبقى عيبه وفضله طي الخفاء .

فلا تحسبن الغابة كلها أغصاناً[٢] ، فلعل النمر يكون نائماً فيها .

سمعت أن الملك — قرب ذلك (الوقت) ظهر له عدو صعب المواجهة . وحينما التقى الجيشان من كلا الجانبين كان ذلك الغلام أول من أجرى جواده الى الميدان ، وقال :

أنا لست ذلك الذي ترى ظهره يوم الميدان

بل أنا من تراه رأساً (شامخاً) بين التراب والدم .

فان ذلك الذي يقوم بالحرب يقامر بدمه يوم الوغى ، وأما من يهرب فهو يقامر بدم الجيش .

قال هذا ، وهجم على جيش العدو ، وأسقط عدداً من الرجال المجربين ، وحين عاد للمثول أمام أبيه قبّل أرض الخدمة ، وقال :

يا من بدا لك شخصي حقيراً ! حتى لا تظن أن الغلظ فضل ،

(فاعلم) أن الحصان الضامر القد ينفع يوم القتال ، وليس الثور الجسيم .

---

(١) يعني أن الحصان العربي خير من حظيرة ملأى بالحمير .

(٢) في رواية أخرى وردت : « كه خاليست » بدلاً من « نهالي » ، فيكون المعنى : « فلا تحسبن كل غابة خالية ... » .

رُوي أنّ جيش العدو كان كبير العدد ، وأما هؤلاء فكانوا قِلّة . فقصد جماعة إلى الفرار . فصرخ الغلام وقال : أيها الرجال ! كافحوا حتى لا تلبسوا ثياب النساء .

(ص ٨) فازدادت شجاعة الفرسان بقوله ، وحملوا حملة رجل واحد . وسمعت أنهم ظفروا على العدوّ في ذلك اليوم أيضاً . فقبّل الملك رأسه وعينه ، وضمه إليه ، وكان كل يوم يزداد تقديراً له حتى جعله وليّ عهده . فحسده إخوته ، ودسوا له السم في طعامه . ورأتهم أخته من الغرفة ، فضربت النافذة . ففهم الغلام ، ورفع يده من الطعام ، وقال : محال أن يموت الفضلاء ويحتل مكانهم من خَلَوْا من الفضل .

ليس أحد قط يلتجىء إلى ظل البوم حتى ولو صار طائر السعد[1] معدوماً من الدنيا !

ولقد أحيط الأب علماً بهذه الحال ، فدعا إخوة الغلام ، وعنفهم كما كان يجب ، وعين لكل منهم حصة في أطراف البلاد ، حتى هدأت الفتنة وارتفع النزاع ، ذلك لأن عشرة دراويش ينامون فوق بساط واحد ، أما الملكان فليس يسعهما إقليم .

لو أن رجل الله أكل نصف رغيف ، فإنه يبذل للدراويش نصفه الآخر .

والملك يستولي على مُلْك إقليم ، وإذا به هكذا أسير (الحرص) على إقليم آخر .

حكاية

كان طائفة من لصوص العرب قد استقروا[2] فوق أحد الجبال ، وسدّوا طريق القوافل . وكان رعية البلدان في رعب من مكائدهم ، وكان عسكر السلطان مغلوبين ، بحكم أنهم كانوا قد احتلوا من قلة الجبل ملاذاً منيعاً جعلوه

(١) « هما » او « هماي » طائر خرافي يرمز للسعد .
(٢) حرفياً : جلسوا .

ملجأهم ومأواهم. فتشاور مدبروا ممالك تلك المنطقة في دفع مضرتهم، فان هذه الطائفة لو استمرت زمناً (طويلاً) على هذا النحو لصارت مقاومتها مستحيلة.

إنّ الشجرة التي نبتت حديثاً يمكن اقتلاعها من مكانها بقوة شخص واحد.

(ص ٩) ولكنها لو تركت هكذا فترة من الزمان ، فلن تستطيع اقتلاعها من أصلها بالمنجل !

ورأس العين يمكن أن يسد بالجرفة ، لكنها إذا امتلأت بالماء لا يمكن عبورها (على ظهر) فيل .

فاستقر القول على هذا: أن يرسلوا شخصاً للتجسس عليهم، وترقبوا الفرصة حتى حان وقت كانوا قد أغاروا فيه على قوم وبقي مكانهم خالياً ، فأرسلوا بعض الرجال الذين شهدوا الوقائع وجربوا الحروب، فاختفوا في شعب الجبل. وفي المساء حين عاد اللصوص وقد سافروا وأغاروا ، حلوا السلاح عن أجسادهم ، ووضعوا متاع الغنيمة. وكان النوم أول عدوّ سارع إلى رؤوسهم. وهكذا مضى قسم من الليل

وغاب قرص الشمس في الظلام ، كما غاب يونس في فم الحوت .

فقفز الرجال الشجعان من الكمين وربطوا يد كل واحد منهم بكتفه ، وفي الصباح أحضروهم إلى بلاط الملك فأمر بقتلهم جميعاً . وإذا بشابّ في وسطهم كانت فاكهة عنفوان شبابه حديثة النضج ، وخضرة بستان عذاره جديدة النمو .

فقبّل أحد الوزراء قدم تخت الملك ، ووضع وجه الشفاعة على التراب وقال : إن هذا الفتى لم يأكل بعد ثمرة من بستان الحياة ، ولم يتمتع بريعان الشباب . فالمأمول من كرم الملك وأخلاقه أن يمنّ على عبده بالصفح عن دمه. فعبس وجه الملك من هذا الكلام ، ولم يوافق رأيه العالي ، وقال :

إن كل من كان أساسه فاسداً لا يتقبل نور الطيبين .

وتربية من لم يكن أهلاً شبيهة بوضع الجوز فوق قبة .

فالأولى أن يقطع نسلهم الفاسد ، وأن تقتلع جذور شأفتهم ، فإن إطفاء النار وترك الجمر ، وقتل الأفعى ورعاية ولدها ليس من عمل العقلاء .

(ص ١٠) لو أن السحب تمطر ماء الحياة ، فانك لن تأكل من شجر الصفصاف ثمراً .

فلا تضع الوقت مع وضيع الأصل ، فانك لن تأكل السكر من قصب الحصير .

وسمع الوزير هذا الكلام فأعجب به طوعاً وكرهاً ، وأثنى على حسن رأي الملك ، وقال : إن الذي قاله الملك — دام ملكه — عين الحقيقة ، فلو كان قد تربى في صحبة الأشرار ، لأخذ طبيعتهم ،وصار واحداً منهم. ولكن العبد مؤمل أنه يتقبل التربية بعشرة الصالحين ، ويقتبس خلق العقلاء ، وإنه لا يزال بعد طفلاً ، ولم تتمكن من طبيعته سيرة البغى والعناد التي كانت عليها تلك الجماعة . وفي الحديث : « ما من مولود يولد إلا وقد يولد على الفطرة ، ثم أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » .

إن زوجة لوط عاشرت الأشرار ، فضاع بيت نبوّته (من جراء ذلك). وكلب أصحاب الكهف اقتفى أثر الصالحين بضعة أيام ، فصار كالبشر .

قال هذا ، وصحبه في الشفاعة طائفة من ندماء الملك ، حتى عفا الملك عن دمه وقال : وهبتكم (إياه) وإن كنت لم أرَ المصلحة (في ذلك) .

أتعلم ماذا قال « زال[1] » « لرستم[2] » البطل ؟

إنه ليس من الممكن عدّ العدو حقيراً مسكيناً . فكثيراً ما رأينا الماء يتدفق من فوهة عين صغيرة ، فاذا ما ازداد تدفقاً جرف الجمل بما حمل .

---

(١) زال هو أحد أبطال الأساطير الايرانية .

(٢) رستم أعظم أبطال الاساطير الايرانية ، وهو ابن زال .

وفي الجملة رُبي الغلام في الدلال والنعيم ، ونصب لتربيتـه أستاذ أديب ، فعلمه حسن الخطاب وردّ الجواب ، وسائر آداب خدمة الملوك ، بصورة جعلته موضع الاعجاب في نظر الآخرين . وذات مرة كان الوزير يتحدث بطرف من شمائله في حضرة الملك ، قائلاً : إن تربية العقلاء قد أثرت فيه ، وأن الجهل القديم قد فارق جبلته . فعلت وجه الملك ابتسامة وقال :

(ص ١١) إن عاقبة ابن الذئب أن يكون ذئباً ولو (تربى) وكبر مع الانسان .

ومضى على ذلك عامان ، فاتصل به طائفة من أوباش المحـلة ، وارتبطوا به ، وحين حانت الفرصة قتل الوزير وابنيه ، وسلب مالا لا حصر له ، وجلس في مغارة اللصوص في مكان أبيه ، وصار عاصياً . فأخذ الملك يعض يد الحيرة بأسنانه ، وقال :

كيف يصنع المرء سيفاً جيداً من الحديد الرديء ؟
إن من ليس بانسان لا يصير بالتربية إنساناً ، أيها الحكيم !

فالسحب – التي لا خلاف في لطافة طبعها – تنبت الشقيق في البستان وتنبت العشب في الأرض المِلْحة .

إن الأرض المِلْحة لا تنبت السنبل ، فلا تُضيِّع البذور والجهد فيها .
وإن عمل الخير مع الأشرار لهو شبيه باقتراف الشر إزاء الرجال الأخيار.

حكاية

رأيت ابن حارس على باب سراي أغلمش[1]، وكان ذا عقل وكياسة وفهم وفراسة تفوق الوصف،وكانت آثار الكبر أيضاً بادية فيناصيته من عهد الصغر.

---

(١) كان من حكام تركستان في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) .

لقد كان نجم الرفعة يضيء – من الحكمة – فوق رأسه .

وفي الجملة لقي القبول [1] في نظر السلطان ، فإنه كان يملك جمال الصورة وكمال المعنى . وقد قال الحكماء : القدرة تكون بالفضل ، وليست بالمال ، والكِبَر يكون بالعقل لا بالسنين . فحمل أبناء جنسه له الحسد ، واتهموه بالخيانة ، وسعوا إلى قتله بدون جدوى ، وماذا يفعل العدو حينما يكون الصديق محبّاً ؟

وسأل الملك : ما الموجب لخصومتهم لك ؟

(ص ١٢) فقال : في ظل دولة المليك – دام ملكه – أرضيت الجميع إلا الحسود الذي لا يصبح راضياً إلا بزوال نعمتي. وليبق سعد المليك ودولته!

إنني أستطيع ألا أؤذي قلب إنسان ، ولكن ماذا أصنع للحسود ، وهو من نفسه في عناء !

فلتمت حتى تستريح [2] أيها الحسود فان ألمك هذا لا خلاص من مشقته إلا بالموت !

إن أصحاب الطالع النحس يطلبون – في أمانيهم – للمجدودين زوال النعمة والجاه .

فلو أن عين الخفاش لم تر في (وضح) النهار فما ذنب عين الشمس ؟ أتريد الصدق ؟ إنه لأفضل أن تكون الف عين مثل هذه عمياء من أن تكون الشمس سوداء .

حكاية

يحكى أن ملكاً من ملوك العجم كان قد مد يد التطاول الى مال الرعية ،

---

(١) حرفياً : جاء مقبولاً .
(٢) حرفياً : حتى تخلص .

وبدء الجور والاذى، الى الحد الذي جعل الخلق يهيمون[1] في الدنيا من مكائد ظلمه ، ويأخذون طريق الغربة من كربة جوره . وحين قلت الرعية ، تقبل ارتفاعُ الولاية النقصان ؛ وبقيت الخزينة خالية ، وقوي الأعداء .

كل من يريد مغيثاً في يوم المصيبة، قل له : اجتهد بالكرم في أيام السلامة.

إن العبد الرقيق[2] يفر منك إن لم تدلله . فاصنع اللطف يغد الحرّ[3] عبداً لك .

وذات مرة كانوا يقرأون في مجلسه كتاب الشاهنامه ، في زوال مملكة الضحاك[4] ، وعهد فريدون[5] . فسأل الوزير الملك :

(ص ١٣) هل يمكن أن يُعلم كيف استقر الملك لفريدون الذي لم يملك كنزاً ولا ملكاً ولا حشماً . فقال : مثلما سمعت . لقد تجمع حوله قوم متعصبين له ، وقووه ، فوجد الملك . قال (الوزير) : أيها الملك . ما دام اجتماع الخلق موجب الملك ، فلماذا تشتت أنت الخلق ؟ لعلك لا تملك سر الملك ؟

إنه لخير لك حقاً أن تقوي روح الجيش من أن تكون سلطاناً يفرض رئاسته على الجيش .

فقال الملك : فماذا يوجب التفاف الجيش والرعية؟ فقال : يجب على الملك الكرم حتى يلتفوا حوله ، والرحمة حتى يقيموا آمنين في ظل دولته . وكلا هاتين (الصفتين) ليستا لك .

---

(١) حرفياً : يذهبون .
(٢) حرفياً : العبد الذي في اذنه حلقة .
(٣) حرفيا : الغريب .
(٤) ملك من ملوك الفرس الاسطوريين وكان يمثل حكم الظلم والطغيان .
(٥) افريدون او فريدون هو الملك الذى خلص العالم من ظلم الضحاك كما تروي الأساطير الايرانية .

إن السلطان لا يتخذ الجور حرفة ، فالذئب لا يجيء راعيا .
والملك الذي أرسى أساس الظلم ، فهو (بذلك) قد اقتلع جدار ملكه .

ولم تجيء نصيحة الوزير الناصح موافقة لرأي الملك ، فاكفهر وجهه من جراء هذا الكلام ، وأرسل الوزير إلى السجن ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى قام بنو أعمام الملك منازعين ، وجهزوا جيشاً للمقاومة ، وطلبوا ملك أبيهم .

أما القوم الذين كادت تزهق أرواحهم يد تطاوله ، وأصبحوا مشتتين ، فقد تجمعوا حولهم وقووهم ، حتى خرج الملك من تصرف هذا (الملك) ، واستقر لهؤلاء .

إن الملك الذي يجيز (إيقاع) الظلم على من يخضعون لحكمه [1] ، يغدو صديقه عدواً مريراً له ، في يوم الشدة .

فكن على وفاق مع الرعية ، واجلس آمناً من حرب الخصوم ، ذلك لأن الرعية تكون جيشاً للملك العادل .

حكاية

ركب [2] ملك في سفينة مع غلام عجمي .

(ص ١٤) ولم يكن الغلام قد رأى البحر قط ولا جرب محنة السفينة ، فشرع في البكاء والعويل ، واستولى على بدنه الارتعاش [3] . ومهما لاطفوه فإنه لم يهدأ . فأصبح عيش الملك منغصاً من جرائه . ولم يعلموا حيلة . وكان في تلك السفينة حكيم ، فقال للملك : لو تأمرني فإني أسكته بإحدى الطرق .

فقال (الملك) إن هذا يكون غاية اللطف والكرم . فأمر (الحكيم)

---

(١) حرفيا : على من تحت يديه .
(٢) جلس .
(٣) حرفيا : ووقع في قامته الارتعاش .

بأن يُرمى الغلام في البحر . فغاص في الماء بضع مرات ، ثم أمسكوا بشعره وجذبوه نحو السفينة . فتعلق بسكان السفينة بكلتا يديه ، وحين صعد اليها جلس في زاوية ، وهدأ . فعجب الملك (قائـــلا) : أية حكمة كانت في هذا . فقال (الحكيم) : إنه لم يكن قد تذوق محنة الغرق في أول الأمر ، ولم يعرف قدر سلامة السفينة ، وهكذا يعلم المرء قدر العافية حينما يغدو أسير مصيبة .

أيها البشم ! إن خبز الشعير لا يبدو لك طيباً. فمعشوقي أنا هو ذلك الذي يبدو لك قبيحاً !

إن الأعراف تكون جحيماً بالنسبة لحور الجنان . وسل أهل الجحيم . إن الأعراف (عندهم) جنة !

فهناك فرق بين من حبيبه على صدره ، وبين من عينا انتظاره على الباب .

حكاية

قيل لهرمز : أي خطأ رأيت لوزراء أبيك حتى أمرت بحبسهم ؟ فقال : لم أعلم بخطأ (لهم) ، ولكني رأيت أن مهابتي في قلوبهم لا حد لها ، وأنهم لا يعتمدون على عهدي كل الاعتماد ، فخشيت أن يقصدوا هلاكي ، لخوفهم من أن يصيبهم أذى . فعملت بقول الحكماء الذين قالوا :

(ص ١٥) خف – أيها الحكيم – من ذلك الذي يخاف منك ، وإن كنت تنهض لمائة مثله في الحرب

ألا ترى أن القطة حين تصير عاجزة ، تقتلع بمخالبها عين النمر ؟

وكذلك تلدغ الحية قدم الراعي لأنها تخاف أن يدق رأسها بحجر.

حكاية

كان أحد ملوك العرب مريضاً في حالة الشيخوخة ، وقطع الأمل من الحياة ، وإذا بفارس دخل من الباب ، وبشره قائلاً : « لقد فتحنا القلعة الفلانية لدولة المليك ، ووقع الأعداء أسرى ، وأصبح جيش هذه الجهة ورعيتها جميعاً مطيعين لأمرك . فجذب الملك نفساً بارداً وقال : إن هذه البشرى ليست لي ، إنها لأعدائي ، يعني وارثي المملكة .

وأسفاه. لقد انتهى العمر العزيز على هذا الأمل : أنّ ذلك الذي في قلبي يُقبل إلى بابي .

لقد أقبل الأمل العصيّ ، ولكن أية فائدة لذلك ، وليس هناك أمل أن يعود العمر المنقضي .

لقد دقت يد الأجل طبل الرحيل ، فيا أيتها العينان ، ودّعا الرأس .
ويا كف اليد ، ويا ساعدي وذراعي ، ليودّع كل منكم الآخر .
لقد حلّت [1] بي رغاب العدو آخر (الأمر) فانصرفوا أيها الأحباب .
إن زماني قد انقضى في الجهل ، ولم أحاذر ، فكونوا أنتم على حذر .

حكاية

(ص ١٦) كنتُ معتكفاً في جامع دمشق على وسادة تربة النبي يحيى عليه السلام ، فإذا بواحد من ملوك العرب – كان معروفاً بالجور – وقد أقبل للزيارة اتفاقاً ، وصلى ودعا ، وسأل حاجته .

إن (كلا) من الدرويش والغني عبد لهذا التراب . وهؤلاء الذين ازدادوا غنى هم أكثر حاجة .

حينذاك قال لي : من هناك – حيث همة الدراويش ، وصدق معاملتهم –

---

(١) حرفياً : وقعت علي .

اجعل خاطرك رفيقي [1] ، فاني خائف من عدو قوي . فقلت له: كن رحيما بالرعية الضعفاء ، حتى لا ترى المشقة من العدو القوي .

إن من الخطأ أن تكسر قبضة المسكين الضعيف بساعديك القادرتين، وقوة قبضتك.

ألا يخاف من لا يتكرم على الطريحين أنه لو خرّ طريحاً لا يأخذ بيده إنسان ؟

فكل من غرس بذور الشر وتوقع الخير ، فقد أنضج دماغاً ضالاً ، وعقد خيالاً باطلاً !

فأخرج من أذنك القطن واعدل بين الخلق .

وإن أنت لم تعدل فهناك يوم للعدالة [2] .

بنو آدم أعضاء جسد واحد ، وهم في الخلقة من جوهر واحد .

فلو أن الزمان أصاب بالألم عضواً ، فان الأعضاء الأخرى لا يبقى لها قرار [3]

فيا من لا تحزن لمحنة الآخرين ! إنه لا يجوز أن يطلق عليك اسم الآدمي.

حكاية

(ص١٧) ظهر درويش مستجاب الدعوة في بغداد [4] فأخبر بذلك الحجاج ابن يوسف فدعاه وقال (له) : ادع لي بالخير . فقال : اللهم خذ روحه! فقال (الحجاج) : بحق الله ، أي دعاء هذا ؟ فقال (الدرويش) : إنه دعاء خير لك ولجميع المسلمين !

---

(١) يلتمس من الدرويش الدعاء ليلتصر على عدوه .

(٢) يقصد يوم البعث .

(٣) يعني لا تهدأ .

(٤) في النص خطأ تاريخي واضح ، فبغداد لم تكن قد بنيت في زمن الحجاج بن يوسف الذي كان من ولاة العراق في العصر الأموي

يا صاحب اليد العليا الذي يوقع الأذى بمن تحت يديه . إلى متى ستبقى هذه السوق حامية ؟

وبأية فائدة يعود عليك امتلاك الدنيا ؟

إن موتك لخير من إيذائك الناس

حكاية

سأل أحد الملوك الظالمين درويشاً : « أي العبادات أفضل ؟ » فقال : (أفضلها بالنسبة) لك نوم منتصف النهار ، حتى لا تؤذي الخلق في هذه البرهة .

لقد رأيت ظالماً نائماً في منتصف النهار ، فقلت : هذه فتنة ، ومن الخير أن النوم استولى عليها .

فذلك الذي يكون نومه خيراً من يقظته ، فالموت خير له من مثل هذه الحياة القبيحة !

حكاية

سمعت أن أحد الملوك وصل الليل بالنهار في مجلس الشراب، وكان يقول في أعقاب السُكْر :

ليس لنا في الدنيا أحسن من هذه اللحظة ! فقد خلونا من هم التفكر في خير أو في شرّ أو بإنسان .

فقال درويش – كان ينام في الخارج عاري الجسد تحت البرد :

(ص ١٨) يا من ليس لك في العالم نظير (يضارعك) في (العز) وإقبال (الدنيا) .

لنفترض أنّك لا همّ لك ، فهل نحن أيضاً بدون همّ ؟

فراق (قوله) الملك ، وأخرج من النافذة صرّة بها ألف دينار ، وقال: « أمسِكْ بحِجْرِك [1] أيها الدرويش ! »

فقال الدرويش : « ومن أين أمسك بحجري وأنا لا أملك ثوباً ؟ » .

فازداد رثاء الملك لضعف حاله ، وزاد على ذلك (العطاء) حلة ، وأرسله إليه . فأكل الدرويش هذا المال في زمن قليل وبدده ، ثم عاد .

إن المال لا يقرّ له قرار على كف الأحرار . وهكذا الصبر في قلب العاشق ، والماء في الغربال .

فأخبر الملك بتلك الحال في وقت لم تكن له فيه عناية بالدرويش . فاغتم واكفهر وجهه . ومن هنا قال أصحاب الفطنة والخبرة : إنه يجب الحذر من حدة الملوك وسورة (غضبهم)، فإن غالب همتهم ينصرف إلى أمور المملكة ، ولا يتحملون مضايقة العوام .

إن إنعام الملك يكون حراماً على من لا يترقب وقت الفرصة .

فان كنت لا ترى مجال القول منفسحاً أمامك ، فارباً بقدرك [2] عن قول الهراء .

قال (الملك) اطردوا ذلك الشحاذ الوقح المبذر الذي بدد كل هذا المال في مثل هذه المدة ، فخزانة بيت المال رزق للمساكين ، وليست طعمة لاخوان الشياطين [3] .

إن الأبله الذي يوقد شمع الكافور في النهار المشرق ، سرعان ما ترى أنه لا يملك زيتاً لسراجه في الليل (المظلم)

---

(١) الحجر : هو ما بين يدي الانسان من ثوبه .

(٢) حرفياً : فلا تحمل قدرك علي ...

(٣) يقصد المبذرين . قال تعالى : « إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين » .

وقال أحد الوزراء الناصحين : « أيها الملك ! إني أرى المصلحة في أن يُجرى رزق الكفاف على أمثال هذا الشخص قليلا قليلا، حتى لا يسرفوا في الإنفاق .

(ص ١٩) أما مـــا تفضلت به من الزجر والمنع فليس مناسباً لسيرة أرباب الهمة أن يُجعل إنسان باللطف مؤمّلاً ، ثم يُدفع باليأس إلى الألم .

إنك تستطيع ان تفتح [١] بوجهك باب الاطماع ، فاذا ما صار مُشرعا ، فإنك لا تقدر على إغلاقه بعنف .

ليس أحد يرى أن ظمأى الحجاز يتجمعون على شاطىء ماؤه ملح .
وحيثما توجد عين ماؤها عذب يجتمع حولها الناس والطير والنمال .

حكايـة

كان أحد الملوك السابقين يتراخى في رعايـة المملكة ، ويأخذ الجيش بالشدة ، فلا جرم أن عدواً صعب المراس [٢] ظهر له، فولى الجميع ظهورهم. فحينما يُضن على الجيش بالمال، فان جنوده يضنون بمد الأيدي الى السيوف[٣].

وكانت تربطني صداقة بأحد هؤلاء الذين غدروا ، فلمته ، وقلت : « إن من يتحول عن مخدومه القديم ، وينكر[٤] لحقوق نعمته عليه خلال السنين ، من جراء قليل من تغير الحال ، لهو لئيم خسيس ، وسافـــل غير عارف بالحق [٥] » .

فقال : « لو أنك تعذرني بكرمك ، فلعل حصاني كان في هـــذه الواقعة

---

(١) اقرأ « بتوان » بدلا من « نتوان » .
(٢) حرفيا : صعب الوجه .
(٣) حرفيا : فانه يضن بحمل السيف باليد .
(٤) حرفيا : ويطوي حقوق ...
(٥) يعني « بغير العارف بالحق » منكر الجميل .

بدون شعير ، ولبد السرج كان مرهوناً ! والسلطان الذي يبخل على الجيش بالذهب ، فلن يستطيع الجيش أن يجود عليه بالروح .

جد بالذهب على رجل الجيش حتى يقدم رأسه ، وإن أنت لم تعطه الذهب شرد برأسه في الدنيا .

إذا شبع الكمي يصول بطشاً وخاوي البطن يبطش بالفرار

حكاية

(ص ٢٠) عزل أحد الوزراء ، فدخل في حلقة الدراويش. ولقد أثرت فيه بركة صحبتهم ، ووهبته هدوء البال . ورضي الملك عن الوزير مرة ثانية ، وأمره بالعمل ، فلم يقبل ، وقال : « الاعتزال خير من العمل » .

هؤلاء الذين جلسوا في زاوية العافية كمّوا [1] أنياب الكلب ، وأغلقوا أفواه الناس .

لقد مزقوا الأوراق ، وحطموا الأقلام ، وخلصوا من طائلة لسان المتقولين.

فقال الملك: «لا شك أنه لا بد لنا من عاقل كفء يليق بتدبير المملكة». فقال (الوزير المعزول) : أيها الملك ؛ علامة العاقل الكافي هي تلك : ألا يسلم جسده لمثل هذه الأعمال .

إن « الهماي » قد شرف على كل الطيور ، لأنه يأكل العظام ، ولا يؤذي كائناً ذا روح .

قيل للعناق [2] « لأيّ وجه وقع اختيارك لملازمة الأسد ؟ » فقال : « حتى آكل فضلة صيده ، فاعيش في ظل صولته آمناً من شر الأعداء». فقيل له : « الآن وقد دخلت في ظل حمايته ، واعترفت بشكر نعمته ، فلماذا لا

---

(١) كمّ الشيء يكمّه كماً غطاه ، والبعير شد فمه بالكمامة .

(٢) العناق أو عناق الأرض : حيوان جارح أصغر من الفهد ووصفه قتادة بقوله إنه « دابة وحشية أكبر من السنور وأصغر من الكلب » . ويسمى بالفارسية « سياه كوش » لوجود خصلة من الشعر الأسود على كل من أذنيه .

تزداد اقتراباً منه ، حتى يدخلك في حلقة خواصه ، ويعدك من عبيده المخلصين ؟ » فقال : « هكذا لا أكون آمناً من بطشه » .

لو أشعل المجوسي النار مائةعام،فهيتحرقه إن وقع فيها لحظة واحدة[1].

(ص ٢١) فيحدث أن نديم حضرة السلطان يظفر بالذهب ، وقد يجوز أن يذهب رأسُه . ولقد قال الحكماء : يجب أن يكون المرء على حذر من فنون طبع الملوك ، فقد يضيقون حيناً بردّ السلام ، وحيناً آخر يهبون الخلع بالسباب . ولقد قيل : « إن الإفراط في التظرف فضيلة الندماء ، وعيب الحكماء » .

كن على مستوى قدرك ووقارك ، ودع العبث والتظرف للندماء .

حكاية

شكا إلي أحد الرفقاء من الزمن المعاكس ، (قائلاً) : « إنني أمتلك القليل من الكفاف ، والكثير من العيال . ولست أطيق عبء الفاقة . ولقد خطر بقلبي مرات أن أنتقل إلى إقليم آخر ، فمهما مضت الحياة على أي وجه لا يكون لانسان اطلاع على حسن حالي أو سوئه .

كم جائع نام ولم يدر أحد من يكون .
وكم روح بلغت الشفاه . ألا فاذهبي ، فما بكاك أحد .

وثانية أفكر في شماتة الأعداء ، الذين يهزؤون مني ، طاعنين في غيبتي ، ويحملون سعي في حق العيال على عدم المروءة ، ويقولون :

تأمل [2] ذلك المجرد من الحمية الذي لن يرى قط وجه الحظ السعيد .

---

(١) النار لا تتوانى في إحراق من يقع فيها حتى ولو كان عابداً لها قضى في خدمتها مائة عام .

(٢) اقرأ « ببين » بدلاً من « مبين » .

إنه يختار يُسْر (الحياة) لنفسه ، ويترك للشدة الزوجة والولد .

وإني أعرف شيئاً من علم المحاسبة ، كما هو معلوم لكم . فلو عينت – بجاهك – في جهة تكون موجبة لارتياح الخاطر ، فلن أستطيع أن أوفي حقك من الشكر بقية عمري [1]. فقلتُ : « أيها الأخ ، إن العمل عند الملك له طرفان : الأمل في الخبز ، والخوف على الروح . وليس مما يوافق رأي (ص ٢٢) العقلاء أن يقع المرء في هذا الخوف ، لقاءَ ذلك الأمل .

إن أحداً لا يجيء إلى منزل الدرويش قائلاً: أدّ خراج الأرض والبستان. فكن راضياً بالغصة والألم ، أو اربط كبدك ، وضعه أمام الغربان .

فقال : هذا الذي قلته لا يوافق حالي ، فأنت لم تجب على سؤالي . ألم تسمع أنّ كل من غرس لخيانة ، ترتعد يده عند الحساب ؟

إن الاستقامة موجبة لرضى الله ، ولم أر إنساناً ضلّ في الطريق المستقيم.

ولقد قال الحكماء : « أربعة أشخاص تفرق أرواحهم من أربعة أشخاص (آخرين) : مرتكب الحرام من السلطان ، واللص من الحارس ، والفاسق من الغماز ، والمرأة الفاسدة من المحتسب. فمن كان حسابه نظيفاً، فأي خوف له من المحاسبة ؟

لا توسع الخطى في العمل ، إن كنت تريد أن يكون مجال المدوّ ضيقاً وقت عزلك .

فكن أنت – أيها الأخ – نظيفاً ، ولا تخش أحداً ، فالغاسلون يضربون الثياب الملوثة فوق الأحجار [2] .

---

(١) حرفياً : فاني لن استطيع ان اخرج من عهدة شكر ذلك بقية عمري .

(٢) المعنى: الرجل النظيف لا خوف عليه ، فهو كالثياب النظيفة، لا تضرب فوق الاحجار حين غسلها . على حين ان الثياب القذرة تضرب فوق الأحجار لتنظف .

قلتُ : إن حكاية ذلك الثعلب مناسبة لحالك . فقد رأوه هارباً ، واقعاً قائماً . فسأله شخص : « ما الآفة التي استوجبت كل هذا الخوف ؟ »

فقال (الثعلب) : « سمعت أنهم يمسكون الجمال ليسخّروها » .

فقال (السائل) : « أيها السفيه . أية مناسبة بينك وبين الجمل ؟ وأية مشابهة لك به ؟ »

فقال (الثعلب) : « اسكت ! فلو أنّ الحاسدين يقولون : إن هذا جمل ، وأخذت أسيراً ، فعلى من يقع همّ تخليصي ؟ وإلى أن يُبحث حالي ، وإلى أن يُحضر الترياق من أرض العراق ، يكون لديغ الحية قد مات». إنك هكذا - على من أنت عليه من فضل وتديّن وتقوى وأمانة، لكنّ المعاندين كامنون لك ، والمدّعين متربصون بك [1] ، فلو أنهم صوروا ما أنت عليه (ص ٢٣) من حسن السيرة على خلاف ذلك، وجئت في معرض مساءلة [2] الملك ، فمن ذا الذي يكون له مجالٌ للقول في تلك الحال ؟ فأنا أرى لك أن تحرس مُلك القناعة ، وتقول بترك الرئاسة .

إن في البحر منافع لا حصر لها ، وإن أردت السلامة فهي على الساحل.

ولقد سمع الرفيق هذا الكلام فاغتم ، واكفهر وجهه من حكايتي ، وأخذ ينطق بكلام امتزج بألمه (قائلاً) : « أي عقل هذا وأية كفاية ؟ وأي فهم وأيةدراية؟ إن قول الحكماء قد صدق حين قالوا:«الأصدقاء ينفعون(صاحبهم) وهو في السجن ، فعلى المائدة يظهر جميع الأعداء وكأنهم أصدقاء

لا تحسبنه صديقاً من تشدق – في وقت النعمة – بحديث المودة ، ونداء الأخوة .

فالصديق هو ذلك الذي يأخذ بيد صديقهعند اضطراب الحال والعجز».

---

(١) حرفياً : جالسون في الزوايا . (٢) حرفياً : خطاب .

ولقد رأيت أنه أخذ يتغير ، ويستمع الى نصحي على أنه قول مغرض ، فذهبت الى صاحب الديوان (بناءً) على سابق معرفة كانت بيننا ، وذكرت صورة حاله ، وبينت جدارته واستحقاقه حتى عُين في منصب صغير. ومضى على ذلك بعض الوقت ، فشهدوا لطف طبعه ، وأعجبوا بحسن تدبيره ، فتجاوز عمله تلك (المرتبة) وتمكن (من الصعود) إلى مرتبة أعلى،وهكذا كان نجم سعادته في ارتقاء حتى وصل إلى أوج إرادته ، وأصبح مقرباً الى حضرة السلطان ، يُشار اليه ، ويُعتمد عليه . ففرحت لسلامة حاله،وقلت:

(ص ٢٤) « لا تفكر في الأمر العَصِيّ ، ولا تكن كسير القلب ! إن ماء عين الحياة (كامن) في داخل الظلمات !

ألا لا تحزنن أخا البلية فللرحمن ألطاف خفيّة

لا تجلس عابساً من تقلب الأيام ، فالصبر – مع أنه مرّ – يجود بحلو الثمار [1] » .

وفي وقت قريب من ذلك اتفق لي سفر مع طائفة من الاخوان . وحينما عدت من زيارة مكة خرج لاستقبالي منزلين (من الطريق) ، ورأيت ظاهر حاله رثّاً ، وكان شبيهاً بالدراويش . فقلت : ما الحال ؟ فقال: مثلما قلتَ: حسدتني طائفة من الناس ، ونسبوا إلي الخيانة ، والملك – دام ملكه – لم يأمر باستقصاء حقيقة ذلك ، أما الاخوان القدامى والأصدقاء الحميمون فقد سكتوا عن كلمة الحق ، ونسوا الصحبة القديمة .

ألا ترى أن المتملقين يضعون أيديهم فوق صدورهم أمام رب الجاه ؟
فاذا ما أسقطه الدهر فإن جميع الناس يضعون أقدامهم فوق رأسه !

وفي الجملة، أخذت بأنواع العقوبة حتى هذا الأسبوع ، حين وصلت بشرى سلامة الحجاج ، فخلصت من قيدي الثقيل، ومن ملكي الموروث الخاص [2] .

---

(١) اقرأ : « كرحه تلخست » بدلا من « تلخست » ،
(٢) يعني ان امواله قد صودرت .

فقلتُ : « أنت لم تقبل نصيحتي في تلك المرة ، حين قلت : إن العمل عند الملوك كسفر البحر ، خطر ومفيد ، فإما أن تظفر منه بالكنز ، وإما أن تهلك في (اللجّ) الغامض .

فإما أن يخرج السيد محتضناً الدر بكلتا يديه ، أو يلقي به الموج – ذات يوم – هالكاً على الساحل » .

ولم أرَ من المصلحة أن أخدش جرح قلبه بالملامة ، وأنثر فوقه الملح أكثر من ذلك . فاقتصرت على هذه الكلمة :

(ص ٢٥) أما علمت أنك ترى هذا القيد على قدميك ، لأن نصيحة الناس لم تنفذ إلى أذنك ؟

فإن لم تكن لك طاقة بالإبرة ، فلا تضع إصبعك – مرة ثانية – في جحر العقرب .

حكاية

كان في صحبتي بضعة أفراد،تحلّى ظاهرهم بالصلاح . وكان لأحد الكبراء حسن ظن بالغ في حق هذه الطائفة ، فأجرى عليهم عطاء،حتى اقترف واحد من هؤلاء عملاً لم يكن مناسباً لحال الدراويش. ففسد ظن ذلك الشخص بهم، وكسدت سوق هؤلاء . وأردت أن أستخلص كفاف الإخوان باحدى الطرق، فاعتزمت خدمته ، فلم يسمح لي حارس الباب ، وردّني بجفاء ، فعذرته ، فقد قيل :

لا تدُرْ حول باب الأمير أو الوزير أو السلطان بدون وسيلة (تدنيك).

فالكلب وحارس الباب – حينما يحدان غريباً – يمسك هذا بجيبه ،وذاك بذيل ردائه .

ولما علم بأمري خاصة المقربين من ذلك العظيم ، أدخلوني مكرّماً، وعينوا لي مقاماً رفيعاً ، لكني جلست – بتواضع – في مكان أكثر انخفاضاً، وقلت:

دعني ، فانني عبد وضيع ، حتى أجلس في صف العبيد .

فقال (العظيم) : الله ! الله ! أي موضع هنا لهذا الكلام ؟لو أنك تجلس فوق رأسي أو عيني ، ما ثقلت عليّ [1] ، لأنك عزيز !

وفي الجملة ، جلست ، ووصلت القول في كل باب ، حتى جاء ذكر حديث زلة [2] الاخوان ، فقلت :

(ص ٢٦) أي جرم رآه الملك ، سابق الانعام ،حتى أصبح العبد محتقراً في نظره ؟

فالعظمة والحكم مُسلّم بهما لله ، وهو الذي يرى الجرم ، ولا يمنع الأرزاق [3] .

فأعجب الحاكم بهذا الكلام إعجاباً عظيماً،وأمر للإخوان بأسباب معاشهم، حتى أصبحت مهيأة على القاعدة السابقة ، كما وفّوا مؤونة أيام التعطيل[4] . فلهجتُ بشكر النعمة ، وقبّلتُ أرض الخدمة ،والتمست العذر عن جسارتي، وخرجت في الحال ، قائلاً :

لما كانت الكعبة قبلة الحاجات ، فالخلق يسيرون فراسخ كثيرة من بلادهم البعيدة ، (قاصدين) رؤيتها .

فيجب عليك أن تتحمل أمثالنا ، فلا أحدَ يرمي بحجرٍ شجرة عاطلة من الثمار .

---

(١) حرفياً : « لاحتملت عبئك ... » .
(٢) اقرأ « زلت » بدلا من « ذلت » .
(٣) حرفياً : « ويجعل الخبز مستقراً (لعباده) » .
(٤) يعني : عوّضوا عما فاتهم من العطاء حين حرموا منه .

حكاية

ورث أمير مالاً وافراً عن أبيه ، ففتح يد الكرم ،وأعطى للسخاء حقه، وأغدق على الجيش والرعية مالا لا يضيع .

إن الأنف لا تستروح « طبلة [1] » العود ، فألق به في النار ، وحينذاك يفوح كالعنبر .

فان كنت طالباً للعظمة ، فابذل العطاء ، فالبذرة لا تنمو، ما لم تُنثر.

وبدأ أحد جلسائه — العاطلين من التدبير — ينصحه ، (فقال) : « إن الملوك السابقين حصلوا هذا المال بالسعي ، وحفظوه من أجل المصلحة .فكفّ يدك عن هذه الحركة ، فالوقائع أمامك ، والأعداء وراءك ، ويجب ألا تعجز في وقت الحاجة .

(ص٢٧) لو أنك فرقت على العامة كنزاً،لوصل إلى كل بيت دانق[2] واحد. فلماذا لا تأخذ من كل إنسان مثقال شعيرة من الفضة ، وإذ ذاك يتجمع لك في كل يوم كنز .

فعبس وجه الملك من سماع هذا الكلام ، ولم يجىء موافقاً لطبعه ، وزجر (الناصح) ، وقال :

« لقد جعلني الله مالكاً لهذه المملكة لآكل وأعطي ، ولم يجعلني حارساً، فأكون حفيظاً » .

فقد هلك قارون ، وكان له كنز (يملأ) أربعين داراً . ولم يمت أنو شروان لأنه ترك اسماً طيباً .

---

(١) « الطبلة » هنا وعاء شبيه بطبلة مقلوبة . وكان العطارون يعرضون بضائعهم أمام حوانيتهم في أرعية من هذا النوع .

(٢) الدانق قطعة صغيرة من النقود، وقد ترجمنا بها كلمة « برنجي » ومعناها هنا قطعة صغيرة من النقد مصنوعة من النحاس .

حكاية

يروى أن أنو شروان العادل كان يعد له شواء في مكان للصيد ، ولم يكن هناك ملح . فذهب غلام إلى ضيعة يلتمس ملحاً . وقال له أنو شروان : خذ الملح بقيمته حتى لا يصبح رسماً [1] فتخرب القرية . قالوا : وأيّ خلل يتولّد من مثل هذا القدر ؟

فقال (أنو شروان) : « إن بنيان الظلم في الدنيا كان في أول أمره صغيراً[2] ، وكل من جاء زاد عليه حتى وصل إلى هذه الغاية .

لو أن الملك يأكل تفاحة من بستان الرعية ، فان غلمانه يقتلعون الشجرة من أصلها .

ولو أباح السلطان الظلم في خمس بيضات فان جنوده يضربون ألف طائر بالحراب .

حكاية

(ص ٢٨) سمعت أن وزيراً غافلاً كان يخرب ديار الرعية ليعمر خزانة السلطان ، وكان جاهلا بقول الحكماء الذين قالوا : كل من يؤذي خلق الله[3] — عز وجلّ — ليسيطر على قلوب الخلق ، فانّ الله يسلط عليه الخلق ، حتى يقتلعه الدمارُ من الزمن .

إن النار لا تفعل بالبخور ، ما يفعله دخان قلب ذاهل[4] (من الظلم) .

يُقال إن الأسد رأس جميع الحيوانات وإن أقلها الحمار . ومن المتفق عليه أن حماراً يحمل الأثقال خير من أسد يمزق الناس .

---

(١) الرسم هنا يعني الضريبة المفروضة .
(٢) حرفياً : قليلاً .
(٣) اقرأ : خلق « خداي را » بدلاً من « خداي را ».
(٤) المعنى : دعاء قلب المظلوم يحدث من الاحراق العاجل ما لا تحدثه النار بالبخور .

الحمار المسكين – وإن كان بدون تمييز –
ما دام يحمل العبء عنك ، فهو عزيز
إن الثيران والحمير التي تحمل الأثقال
خير من البشر الذين يؤذون الناس .

فلنعدْ إلى حكاية الوزير الغافل : لقد عرف الملك – بالقرائن – طرفاً من ذميم أخلاقه ، فأوقع به العذاب [1] ، وقتله بألوان من العقاب .

إنّ رضي السلطان لا يتحقق لك ما لم تنشد خاطر الرعية .
فإنْ أردت أن ينعم الله عليك ، فاصنع الخير مع خلق الله .
ويروى أن واحداً ممن شهدوا ظلمه مرّ عليه ، وتأمل حال دماره ، وقال:
ليس كل من يملك قوة ساعد المنصب يأكل بالسلطان مال الرعية جزافاً .

إنك تستطيع أن تبتلع بحلقك قطعة صلبة من العظم ، لكنها تمزق أحشاءك حين تعلق بها [2] .

(ص ٢٩) إن الظالم الشرير لا يدوم دهراً ، (لكنه) يبقى (مشيّعا) باللعنة الدائمة .

حكاية

يحكى أن رجلاً مؤذياً ضرب بحجر رأس رجل صالح . ولم يكن لدى الدرويش مجال للانتقام ، فاحتفظ بالحجر حتى غضب الملك على هذا الشرطيّ ، وجعله سجين بئر ، فدخل الدرويش ، ودق رأسه بالحجر . فقال الشرطيّ : « من أنت ؟ ولماذا ضربتني بهذا الحجر ؟ » فقال (الدرويش) : « أنا فلان . وهذا الحجر هو ذات الحجر الذي ضربت به رأسي في ذلك التاريخ.

فقال (الشرطي) : « وأين كنت كل هذا الوقت ؟ »

---

(١) در شكنجه كشيدن : التعذيب . ايقاع العذاب .
(٢) حرفياً : حين تعلق بسرتك . « ناف » : سرّة – نافجة .

فأجاب (الدرويش) : « لقد كنت أهاب جاهك . أما الآن ـ وقد رأيتك في البئر ـ فقد اغتنمت الفرصة »

حينما ترى خسيساً يحالفه الجدّ السعيد
فلا حيلة للعقلاء إزاء ذلك [1] .
فما دمت لا تملك المخلب المزّق الحاد ،
فمن الخير أن تقلل الصراع مع الأشرار .
فكل من غالب ساعداً فولاذياً
أضنى بذلك ساعده المسكين .
فمهلاً حتى يقيّد (لك) الزمان يده
وحينذاك انتزع لبّ (رأسه) ، على هوى الأحباب .

حكاية

أصيب أحد الملوك بمرض هائل، من الأفضل الايعاد ذكره واتفقت طائفة (ص٣٠) من حكماء اليونان على أنه لا دواء لهذا المرض إلا بمرارة آدمي يتصف بعدد معين من الصفات .

فأمر الملك بأن يبحث عنه. ولقد وجدوا ابن مزارع كان يتصف بتلك الصفات التي ذكرها الحكماء. فدعا (الملك) أباه وأمه، وأرضاهما بمال لا حصر له وأفتى القاضي بأنه من الجائز إراقة دم فرد من الرعية من أجل سلامة نفس الملك . فتوجه نحوه الجلاد ورفع الغلام رأسه إلى السماء ، وابتسم . فسأله الملك : « أي مجال للضحك في هذا المقام ؟ » فقال (الغلام) : « إن دلال الأبناء يكون واحب الأب والأم ، والدعوى تُحمل إلى القاضي ، والعدل يُطلب من الملك . والآن أسلم أبي وأمي دمي من أجل حطام دنيوي ، وأفتى القاضي

---

(١) حرفيا : « فالعقلاء قد أسلموا الاختيار » ، أي أن العقلاء لا يبقى لهم اختيار ازاء هذا الوضع ، ولا حيلة لهم الا الاستسلام ، ما داموا لا يملكون القوة .

بقتلي ، والسلطان يرى أن مصلحته منوطة بهلاكي ، فلست أرى ملجأ لي سوى الله تعالى .

إلى من أرفع استغاثتي من (بطش) يدك ؟
فلو التمست العدل فإليك تكون شكواي من بطش يدك؟» .

فاغتم قلب السلطان من (سماع) هذا الكلام ، وترقرق الدمع في عينيه ، وقال : « إن هلاكي أولى من إراقة دم بريء» . وقبّل رأس الغلام وعينه ، واحتضنه ، ووهبه مالاً كثيراً ، وخلّى سبيله . ويقال إن الملك أيضاً شفي في هذا الأسبوع .

ولقد جال بخاطري ذلك البيت الذي قاله صاحب الفيل ، على شاطىء نهر النيل :

إن كنت لا تدري بحال النمل تحت قدميك ، فهو شبيه بحالك تحت أقدام [1] الفيل .

حكاية

واحد من عبيد عمرو بن الليث [2] كان قد فرّ ، فذهبوا في عقبه ، (ص ٣١) وأرجعوه . وكان الوزير مغرضاً في حقه ، فأشار بقتله حتى لا يجيز العبيد الآخرون مثل هذا الفعل . فوضع العبد رأسه على الأرض أمام عمرو بن الليث ، وقال :

كل ما يصيب رأسي فهو جائز ، إذا أرضاك .
فأي دعوى يدعيها العبد ؟ إن الحكم للسيد !

---

(١) حرفياً : تحت قدم .

(٢) عمرو بن الليث هو ثاني حكام الأسرة الصفارية ، وهي إحدى الأسر التي استقلت بالحكم في خراسان عن الدولة العباسية . وكان حكم عمرو بن الليث من ٢٦٥ — ٢٨٧ هـ .

ولكن – بما أنني ربيب نعمة هذه الأسرة – فلا أريد لك أن تجيء يوم القيامة مأخوذاً بدمي . فأجز لي أن أقتل الوزير ، ثم بعد ذلك مُر باراقة دمي ، قصاصاً له ، وبذلك تكون قد قتلت بالحق . فاستولى الضحك على الملك ، وقال للوزير : « ما المصلحة التي تراها ؟ »

فقال : « يا ملك الدنيا ! بحق الله ، أطلق سراح ذلك الوقح ، صدقة على قبر أبيك ، حتى لا يوقعني في البلاء . فالذنب ذنبي ، وما أصدق قول الحكماء ، إذ قالوا :

إذا اشتبكت في عراك مع رامٍ متحصن [1] ، فأنت بجهلك قد حطمت رأسك .

وإن رميت بسهم في مواجهة العدوّ ، فكن على حذر ، فقد جلست في مرماه .

حكاية

كان لملك الزوزن وزير كريم النفس، طيب المحضر . لقد كان يخدم الجميع في مواجهتهم ، ويحسن الحديث عنهم في غيبتهم واتفق أن وقعت منه حركة لم ترق في نظر السلطان ، فأمر بمصادرة (أمواله) ومعاقبته . وكان موظفو الملك معترفين بسوابق نعمائه ، فكانوا – إبان القبض عليه – يعاملونه بالرفق واللطف ، ولم يجيزوا زجره ومعاقبته .

إن اردت الصلح مع العدو ، فاظهر له الحسنى ، مهما عابك في غيبتك .

(ص ٣٢) إن الكلام يمر آخر الأمر بالفم ، فإن أردت ألا يكون كلام المؤذي مراً ، فاجعل فمه حلواً

---

(١) كلوخ انداز : تتكون هذه العبارة من « كلوخ » ومعناها : الطين المتحجر ، أو اللبن ، وهو القرميد قبل أن يحرق . وانداز مشتقة من انداختن ، ومعناها يرمي .

ولكن عبارة « كلوخ انداز » تعني الكوة التي تكون في السور أو الحصن ، وتستخدم في الرماية

وقد برأ الوزير نفسه من بعض ما تضمنته مساءلة الملك ، وبقي في السجن بسائر (التهم) . وأرسل اليه أحد ملوك تلك النواحي رسالة في الخفاء (قائلاً) : « إن ملوك ذلك الطرف لم يعرفوا قدر عظيم مثلك ، فأزالوا عزّك ، فلو أن رأى العزيز فلان - أحسن الله خلاصه - يلتفت إلى جانبنا ، فسوف يُبذل أكمل سعي في رعاية خاطره . وإنّ أعيان هذه المملكة مفتقرون إلى مشاهدته ، منتظرون جواب هذه الرسالة » . وقد أحيط السيد علماً بذلك ، وتفكر في الخطر ، فكتب في الحال جواباً مختصراً - وفقاً لما ارتآه من المصلحة - على ظهر الورقة ، وأرسله . وعلم بذلك أحد أتباع الملك ، فأخبر الملك ، قائلاً : « إن فلانا - الذي أمرت بحبسه - يراسل ملوك النواحي » . فاغتم الملك ، وأمر بكشف هذا الخبر . فقبضوا على الرسول ، وقرأوا الرسالة . وكان قد كتب فيها : « إن حسن ظن الكبراء بالغ في تقدير فضلنا [1] أما تشريفهم إياي بالقبول الذي تفضلوا به فليس لدى العبد إمكانٌ لاجابة ذلك ، بحكم أنه ربيب نعمة هذه الأسرة ، ولا يستطيع أن يتخلى عن الوفاء من جراء تغير قليل من ولي نعمته » .

فمن كانت له إزاءك مكرمة في كل لحظة
فالتمس له العذر لو اقترف في العمر ظلماً واحداً !

فأعجب الملك (بما تجلى) في سيرته من عرفان بالحق ، ووهبه خلعة وعطاء ، وسأله المعذرة قائلاً : « لقد أخطأت إذ آذيتك بدون جرم » .

فقال : « إني لا أرى لسيدي خطأ في تلك الحال ، ولكن هكذا قدر الله أن يصيبني مكروه ، وكان الأفضل أن يصيبني بيدك ، فان لك على عبدك نعماً سالفة ، وأيادي منن ولقد قال الحكماء :

(ص٣٣) لا تتألم لو أصابك ضرّ من الخلق .
فالخلق لا تصدر عنهم راحة ولا أذى

---

(١) حرفياً : يزيد على مالنا من فضل .

واعلم أن كليهما من الله ، لا من العدو أو الصديق .
فقلب كل من هذين رهن مشيئته .
فلو أن سهماً انطلق من قوس ،
فالعقلاء يرون (انطلاقه) من الرامي .

حكاية

أمر أحد ملوك العرب رجال ديوانه (قائلاً) :

ضاعفوا عطاء فلان ، مهما كان (مقداره) ، فانه ملازم لحضرتنا ، مترقب لأمرنا ، على حين أن خدامنا الآخرين مشغولون باللهو واللعب ، متهاونون في أداء الخدمة وسمع ذلك رجل من الصالحين فقال : إن علو درجات العباد في حضرة الله عزّ وجل يكون على هذا المثال .

لو أن خادماً نهض بخدمة مليكه صباحين ،
فليس من شك أن المليك ينظر إليه بلطف في الصباح الثالث
فالعباد المخلصون يحدوهم الأمل بأنهم لا يرجعون يائسين من أعتاب الله .
إن العظمة تكون في إطاعة الأمر . أما العصيان فإنه دليل الحرمان .

فكل من أمتاز بسيما أهل الصلاح ، فانه يسجد خاضعاً [1] فوق تلك الأعتاب

حكاية

يحكى أن ظالماً كان يشتري حطب الدراويش بالثمن البخس ، ويبيعه للأغنياء بالثمن الباهظ فمرّ به رجل من الصالحين ، وقال :

(ص ٣٤) أثعبان أنت ؟ إنك تلدغ كل من تبصره !

---

(١) حرفياً : يضع رأس الخدمة فوق تلك الأعتاب .

أم أنت بومة ، فحيثما تحلّ ، توقع الخراب !
فلئن جازت قوتك علينا ،
فاعلم أنها لا تجوز على علام الغيوب !
فلا تتجبر بالقوة على أهل الارض
حتى لا يتصاعد الى السماء الدعاء .

وضاق الحاكم بهذا الكلام ، واكفهر وجهه ، ولم يلتفت اليه ، وكما قيل : « أخذته العزة بالاثم » وذات ليلة شبت في الحطب نار مطبخه ، وأحرقت سائر ممتلكاته ، (وانتزعته) من فراشه الوثير ، وأجلسته فوق كومة ساخنة من الرماد . وحدث أن الشخص ذاته مرّ به ، ورآه يخاطب أصحابه قائلاً : « لست أدري من أي مكان وقعت هذه النيران بقصري ! »

فقال (الرجل الصالح) : « من قلوب الدراويش » .
كن على حذر من زفرات القلوب الجريحة
فان جريح القلب يرفع في العاقبة رأسه
وما استطعت لا تبعث الهم في أحد القلوب
فان آهة واحدة تزعج [1] عالماً بأسره

وكان قد كُتب على تاج كيخسرو :

ما أكثر ما سيجيء من السنين والأعمار الطوال
والخلقُ يمشون على الأرض فوق رؤوسنا
ومثلما (انتقل) الملك من يد إلى يد ، فجاء إلينا
فلسوف ينتقل على هذا النحو الى أياد أخرى .

حكاية

تفوق رجل في فن المصارعة ، وكان يعرف ثلاثمائة وستين حركة فاخرة.

---

(١) بهم زدن : يزعج – يحزن .

وكان كل يوم يصارع باحدى الطرق. لكنه استشعر بقلبه بعض الميل الى جمال أحد تلاميذه ، فعلمه ثلاثمائة وتسع وخمسين لعبة ، واستثنى لعبة واحدة تراخى في تعليمها إياه ، وأرجأه .

(ص ٣٥) وفي الجملة وصل الفتى إلى قمة القوة ، ولم يكن لأحد في ذلك الزمان قدرة على مقاومته ، إلى حد أنه قال أمام ملك ذلك الزمان :

« إن فضل الأستاذ عليّ إنما هو من جهة الكبر ، وحق التربية ، وإلا فأنا لست أقل منه قوة ، كما أنني مماثل له في البراعة » . فثقل هذا الكلام على الملك ، وأمر بأن يتصارعا . فأعدوا مكاناً متسعاً ، وتجمع أركان الدولة ، وأعيان الحضرة ، وأبطال القوة في ذلك الاقليم . ودخل الفتى كفيل سكران ، بصدمة لو (أصابت) جبلاً من حديد لاقتلعته من مكانه . ولقد علم الأستاذ أن الشباب أشد منه قوة ، فتعلق بتلك اللعبة الغريبة التي كان قد أخفاها عنه . ولم يعلم الفتى طريقة لمقاومة تلك ، فرفعه الأستاذ بكلتا يدية عن الأرض إلى ما فوق رأسه ، ثم قذف به إلى أسفل . فارتفع ضجيج الناس ، وأمر الملك للأستاذ بخلعة وعطاء ، وزجر الفتى ولامه ، قائلاً : « لقد أدعيب مقاومة من رباك ، ولم تفلح في ذلك » .

فقال الفتى : « أيها المليك ! إنه لم يتفوق عليّ في القوة ، ولكن كانت قد بقيت لي من علم المصارعة لعبة واحدة كان يخفيها عني . وقد تغلب عليّ اليوم بهذه (اللعبة) الدقيقة. فقال الأستاذ : « لمثل هذا اليوم كنت احتفظ بها». ولقد قال الحكماء : لا تزوّد صديقك بقوة تجعله قادراً عليك لو عاداك .

ألم تسمع ما قاله ذلك الذي رأى من ربيبه الجفاء :

إما أن الوفاء لم يكن موجوداً في الدنيا
أو لعله لا يوجد إنسان يعمل به في هذا الزمان .
فما تعلم أحد مني علم الرماية ،
إلا وجعلني – في عاقبة الأمر – هدفاً له .

حكاية

(ص ٣٦) كان درويش معتزل قد جلس في إحدى الزوايا . فمرّ به ملك فلم يرفع الدرويش رأسه ، ولم يلتفت إليه ، فالانصراف (عن الدنيا) هو ملك القناعة . أما السلطان فقد تألم ، بدافع من سطوة السلطان ، وقال : إن طائفة لابسي الخرق هؤلاء شبيهة بالحيوانات فليسوا بذوي أهلية ولا آدمية . واقترب الوزير من الدرويش وقال له : « أيها الشاب . لقد مر بك سلطان وجه الأرض ، فلماذا لم تؤد له التحية ، وتتصرف وفق ما يقتضيه الأدب ؟ »

فقال (الدرويش) : « قل للملك : توقع الخدمة من شخص يتوقع منك الهبات واعلم أيضاً أن الملوك إنما هم من أجل حراسة الرعية ، وليست الرعية من أجل طاعة الملوك » .

إن الملك هو راعي الدرويش ، مع أن الثراء يكون في ظلال دولته .

فالخراف لا تكون من أجل الراعي ، لكن الراعي يكون من أجل رعاية الخراف .

* * *

إنك لترى اليوم إنساناً سعيداً ، وآخر قلبه بالمعاناة جريحاً .

فهلا بضعة أيام حتى يأكل التراب ذهن الرأس المفعم بالخيال [1] .

فحينما يقع القضاء المكتوب ، يرتفع إذ ذاك الفرق بين السيد والعبد .

فلو إن إنساناً شق قبور الموتى ، لما تبين بها الغني من الدرويش .

ولقد ظهر للملك كلام الدرويش قوياً ، فقال : « سلني شيئاً » . فأجاب (الدرويش) : « أريـــد ألا تضايقني مرة أخرى » . فقال (الملك) : « عظني ! »

---

(١) حرفيا ، المتفكر بالخيال .

فقال (الدرويش) :
تنبه الآن وأنت لا تزال محتفظاً بجاهك [1] ،
فالدولة [2] والملك ينتقلان من يد الى أخرى .

حكاية

ذهب أحد الوزراء إلى ذي النون المصري [3] وسأله الدعاء قائلا : « انني مشغول بخدمة السلطان ليل نهار ، مؤمل خيره ، خائف من عقوبته » .

فبكى ذو النون ، وقال :

(ص ٣٧) لو أنني خفت من الله كما تخاف أنت من السلطان ، لكنت من جملة الصدّيقين .

لو لم يكن الأمل في الراحة (وخوف) العناء
لكانت قدم الدرويش تتسامى إلى الفلك .
ولو كان الوزير يخاف من الله مثلما يخاف
من الملك ، لأصبح من الملائكة .

حكاية

أصدر ملك أمراً بقتل بريء . فقال : أيها الملك ! لا تلتمس الأذى لنفسك من جراء غضبك عليّ . فان هذه العقوبة بالنسبة لي — تنقضي في لحظة واحدة ، ويبقى إثمها عليك إلى الأبد .

إن أدوار البقاء تمر كالريح في الصحراء ،

---

(١) حرفيا : تنبه الآن ونعمتك لا تزال بيدك .
(٢) حرفيا : فان هذه الدولة ...
(٣) ذو النون ، من قدامى الصوفية ، ولد في اخميم بصعيد مصر حوالي عام ١٨٠ هـ . وطوف في بعض البلدان العربية ، ثم عاد الى مصر ، ومات بها في عام ٢٤٦ هـ .

وينقضي [1] مرها وحلوها ، وقبيحها وحسنها !
والظالم يحسب أنه قد أوقع بنا الأذى
(ومثل هذا) ينقضي [2] بالنسبة لنا ، ويبقى عالقاً في عنقه .

ولقد جاءت نصيحته مفيدة للملك ، فعفا عن دمه .

حكاية

كان وزراء أنو شروان يفكرون في موضوع مهم من مصالح المملكة . وكان كل منهم يبدي رأياً . وكان الملك أيضاً يتفكر في تدبير .

ولقد وقع اختيار بزرجمهر على رأي الملك . وقال له الوزراء في الخفاء . أية مزية رأيت في رأي الملك (حتى فضلته) على فكر كل هؤلاء الحكماء . فقال : لما كانت عاقبة الأمور غير معلومة ، ورأي الجميع رهن بمشيئة الله ، فقد يجيء صواباً وقد يجيء خطأ ، فموافقة رأي الملك أولى ، حتى إذا جاء على خلاف الصواب أمنت من معاتبته بعلة متابعته .

(ص٣٨) إن من يطلب رأياً على خلاف رأي السلطان
يكون قد نفض يديه من حياته [3]
فلو قال لك الملك في وضح النهار [4] : هذا هو الليل !
فيجب أن تقول له : نعم . وها هو ذا القمر والثريا !

---

(١) حرفياً : رير .
(٢) حرفياً : ير .
(٣) حرفياً : يكون قد غسل يديه من دمه .
(٤) حرفياً : في النهار نفسه .

حكاية

ضفر محتال غدائر شعره ، (قائلاً) : « إنني علوي » . ودخل المدينة مع قافلة الحجاز ، (قائلاً) : « إنني عائد من الحج » . ورفع إلى الملك قصيدة ، (قائلاً) : « لقد نظمتها » . فأنعم عليه الملك وأكرمه ، وأمر بأن يحاط بكامل الرعاية [1]

وقال واحد من ندمـاء حضرة الملك ، كان قد عاد في هذا العام من سفر البحر : « لقد رأيته بالبصرة في عيد الأضحي ، فكيف يكون حاجاً ؟ » . وقال آخر :« إن أباه كان نصرانياً في ملطية ، فكيف يكون ابن شريف؟ » ووجدوا شعره في ديوان الأنوري .

فأمر الملك بأن يضرب ، وينفى ، (متسائلا) ، لماذا قال كل هذا الكذب دفعة واحدة .

فقال (المحتال): « يا مليك وجه الأرض ! لقد بقيت لي كلمة واحدة ، أرفعها اليكم ، فإن لم تكن صحيحة ، فأنا جدير بكل عقوبة تأمر بها » .

فقال (الملك) : « قلها لنرى ما تكون »

فقال (المحتال) :

« لو أن غريباً أحضر اليك اللبن المخض ، فأكثره ماء مزج بقليل من اللبن الخاثر [2] .

فإن سمعت لغواً من العبد، فلا تتألم، فمن جرب الدنيا، يكثر من الكذب».

فاستولى الضحك على الملك وقال :

(ص ٣٩)«إنك لم تقل كلاماً أصدق من هذا طول عمرك».وأمر بأن يزود بما كان يرجوه ، ويصرف بالحسنى .

---

(١) حرفياً : وأمر بان يدلل بغير حدود .

(٢) حرفياً : فكأسان منه ماء وملعقة من اللبن الخاثر .

حكاية

كان أحد الوزراء يرأف بالرعية ، ويتوسط بالخير لصلاح الجميع وحدث أنه قبض عليه بعد مساءلة من الملك. فسعى الجميع لتخليصه، وأظهر الموكلون بمعاقبته لطفاً ، وردد الكبراء ذكر سيرته الطيبة بأفواههم، حتى تجاوز الملك عن معاقبته . واطلع على ذلك رجل صالح ، فقال :

خير لك أن تبيع بستان أبيك للتسولي على قلوب الخلق .

ولئن أحرقت متاع قصرك لتطبخ به طعام (الأصدقاء) المخلصين ، فذلك خير لك .

واعمل الخير أيضاً مع ذوي النوايا السيئة . فخير لك أن تسدّ بلقمة فم الكلب

حكاية

دخل أحد أبناء هرون الرشيد أمام أبيه ملتاثاً بالغضب ، (وقال) : « لقد سبني ابن الجندي فلان » .

فقال هارون الرشيد لأركان الدولة : « ماذا يكون جزاء مثل هذا الشخص ؟ » .

فأشار أحدهم بقتله ، وآخر بقطع لسانه ، وثالث بمصادرة ماله ونفيه . فقال هارون : « يا بني ! الكرم هو أن تعفو ، فإن لم تستطع فسبّه أنت أيضاً ، حتى لا يتجاوز الانتقام حده ، وحينذاك يكون الظلم من جانبك أنت ، والدعوى من قبل خصمك » .

لا يكون رجلا – في نظر العقلاء – من تصدى للصراع مع فيل هائج .

(ص ٤٠) أما الرجل على وجه التحقيق – فهو من لا ينطق بالباطل ، حين يتملكه الغضب .

* * *

إن شخصاً قبيح الخلق سبّ أحد الرجال ، فتحمله ، (قائلا) : أيها الطيب العاقبة !

إنني أسوأ مما تقوله أنت عني ، فأنا أعرف عيبي بصورة لا تعرفها أنت !

حكاية

كنت راكباً مع بعض الكبراء في سفينة ، وغرق من خلفنا زورق ، فسقط أخَوان في دوامة . فقال أحد الكبراء للملاح : أنقذ هذين ، وسوف أعطيك عن كل منهما خمسين ديناراً .

فخاض الملاح الماء حتى أنقذ واحداً منهما ، وهلك الآخر ، فقلتُ : « لم تكن قد بقيت من عمره بقية ، ولهذا فانك تأخرت في الامساك به ، وسارعت إلى الامساك بالآخر » . فضحك الملاح ، وقال : « إن ما قلته يقين . وإلى جانب ذلك كان ميل خاطري لإنقاذ هذا أكثر ، فذات مرة كنت قد تخلفت في الصحراء ، فأركبني هذا على جمله . أما الآخر فكان قد ضربني في طفولتي سوطاً » . فقلت : « صدق الله ، من عمل صالحاً فلنفسه ، وما أساء فعليها » .

لا تجرح – ما استطعت – قلب إنسان ، فإن في هذا الطريق أشواكاً !

واقض حاجة الدرويش المولّه ، فأنت أيضاً سوف تكون لك حاجات .

حكايـة

كان هناك أخَوان ، فأما أحدهما فكان يعمل بخدمة السلطان ، وأما الآخر فكان يأكل خبزه بكد ذراعه .

(ص ٤١) وذات مرة قال الغني للفقير : « لماذا لا تشتغل بالخدمة حتى تتخلص من مشقة العمل ؟ »

فقال (الدرويش) : « ولماذا لا تحترف أنت عملاً حتى تتحرر من مذلة الخدمة ؟ إن العقلاء قد قالوا : أكل الخبز والجلوس ، خير من عقد زنار ذهبي للخدمة [١]

لأن تعجن بيديك كلساً [٢] ملتهباً ، خير لك من أن تضع يديك على صدرك أمام الامير .

* * *

هكذا انقضى العمر العزيز (وأنا أتفكر) : ماذا آكل صيفاً وماذا ألبس شتاء !

ألا فلتقنع بكسرة من الخبز ، أيها البطن المظلم ، حتى لا تجعل الظهر منحنياً في الخدمة .

حكاية

حمل رجل بشرى إلى أنو شروان العادل ، قائلاً : « سمعت أن الله – عزّ وجل – أخذ عدوك فلاناً . فقال (أنو شروان) : وهل سمعت قط أنه سوف يتركني ؟

لو أن العدو مات فليس هذا موضع سرور لي

فحياتنا أيضاً ليست بذات خلود .

---

(١) وردت هذه العبارة في بعض الطبعات الأخرى على الوجه التالي : « نان جو خوردن ونشستن ، به كه كمر زرين بستن وبخدمت إيستادن » . ومعناها : « أكل خبز الشعير والجلوس ، خير من عقد زنار ذهبي ، مع الوقوف للخدمة » .

(٢) اقرأ « آهك » بدلاً من « آهن » . آهك تفته : كلس ملتهب .

حكاية

كان جماعة من الحكماء يتبادلون الرأي حول إحدى المصالح في حضرة كسرى ، في حين كان بزرجمهر – كبير هؤلاء – صامتاً .

فقالوا له : « لماذا لا تدلي برأيك معنا في هذا البحث ؟ » . فقال : « الحكماء شبيهون بالأطباء . والطبيب لا يعطي الدواء إلا للسقيم . فلما تبين لي أن رأيكم على صواب لم يكن من الحكمة أن أضيف قولاً إلى قولكم .

حينما يتحقق أمر ، بدون فضول مني، فليس يجوز لي أن أدلي فيه بقول.

فان رأيتُ أعمى يقترب من بئر كان من الجرم أن ألزم الصمت [1].

حكاية

(ص ٤٢) سئل الاسكندر الرومي : كيف استوليت على ديار المغرب والمشرق ؟ لقد كانت للملوك السالفين خزائن وجيوش أكثر مما كان لك ، ولم يتيسر لهم مثل هذا الفتح .

فقال : « كل مملكة أخذتها – بعون الله عز وجل – لم أوذ رعيتها ، ولم أذكر اسم ملوكها إلا بالخير .

لا يكون عظيما في نظر العقلاء من يذكر العظماء بالسوء [2] .

* * *

إن التخت والبخت والأمر والنهي والأخذ والعطاء ، كلها ليست شيئاً حينما تذهب (عن الدنيا).

فلا تعبث بما للسالفين من طيب الذكر حتى يبقى خالداً ذِكرُك الطيّب .

---

(١) حرفياً : فان رأيت أعمى وبئراً كان من الجرم أن أجلس صامتاً .

(٢) العقلاء لا يصفون بالعظمة من يذكر العظماء بالسوء .

مختارات من الشاهنامة

(قصة رستم وسهراب)

تمهيد

الأبيات المختارة هنا جزء من قصة شهيرة من قصص الشاهنامه ، ملحمة الفرس الخالدة ، هي قصة رستم وسهراب .

كان رستم ذات مرة يتجول،فدخل ملك سمنجان بحثاً عن جواده«الرخش» الذي كان قد ضاع منه . وهناك قضى ليلة واحدة ، تزوج فيها ابنة ملك سمنجان ، ثم ترك البلاد عائداً إلى إيران . وأعطى زوجه خرزة وطلب اليها أن تربطها على ساعد المولود إن جاء ولداً .

وكان أن ولدت ابنة ملك سمنجان طفلاً عجيباً هو سهراب. هذا الطفل نما نموّاً سريعاً ، وبلغ غاية النضج وهو ابن ثلاثة أعوام ، وأصبح بطلاً شجاعاً يحسب له حساب .وكان رستم بطل الفرس،المدافع عن كيانهم،يُرهِب أعداءهم من الشعوب . فلما ظهر سهراب بين الترك اعتزوا به ، وعلقوا عليه الآمال للقضاء على رستم بطل الإيرانيين وحاميهم .

وخرج الأتراك لحرب الفرس بقيادة سهراب ولم يكونوا يعلمون أنه ابن رستم . وكان سهراب يعرف أباه ، فقد وصفته له أمه ، فخرج على أمل اللقاء به ، وعقد صلح دائم بين الايرانيين والأتراك .وظن الايرانيّون أن الترك أقبلوا

معتزين ببطلهم الجديد ، وأن لا مناص لهم من مواجهته برستم .ولم يكن رستم يعرف شيئاً عن حقيقة سهراب .

واتفق البطلان على المصارعة ، وتصارعا . وكانت الغلبة في أول جولة لسهراب . ولما همّ بقتل رستم ، طلب اليه رستم أن يرجىء ذلك ليتيح لهما القيام بجولة أخرى ، فليس من البطولة القضاء على الخصم في أول فرصة تتاح لذلك . وكان سهراب قد سعى للتعرف على أبيه فكان رستم يخفي عنه حقيقة ذاته ، كما أن الايرانيين أيضاً تضافروا على إخفاء شخصية رستم ، وتضليل سهراب عن الاهتداء اليه ، حرصاً على سلامة بطلهم .

والأبيات التي يتكون منها هذا النص تصف الجولة الأخيرة بين رستم وسهراب ، وفيها ينجح رستم في إيقاع سهراب على الأرض ، ثم يبادر الى طعنه بخنجر حادّ .

وفي أثناء احتضار سهراب يتكلم بكلام يكشف لرستم أن سهراب هذا هو ابنه الذي أنجبه من ابنة ملك سمنجان .

هذه القصة الشهيرة قد لقيت كثيرا من الإعجاب عند دارمي الأدب الفارسي ، وقد ترجمها الى الانجليزية الشاعر الناقد ماتيو آرنولد .

ترجمة النص

(ص ٤٣)

(١) لقد أحكما [١] ربط جواديهما مرة ثانية وكان البخت يريد إيقاع السوء بهما [٢] ،

(٢) واعتزما حينذاك أن يتصارعا، وكل منهما أمسك صاحبه من جلد حزامه.

(٣) وكأنما كان القدر ـ حينذاك ـ قد كبل يد سهراب القوية .

(٤) فانتابه الهم . أما رستم فقد مدّ مخالبه ، وأمسك برأس هذا النمر المناضل وقامته .

(٥) وثنى ظهر ذلك الفتى الجسور ، فلم يقو على النهوض فترة من الزمن .

(٦) ثم ألقى به على الأرض ، كما يفعل الأسد . وكان يعلم انه لن يبقى (منطرحا) تحته ،

(٧) فاستل من منطقته خنجراً حاداً، ومزق به صدر ذلك الولد المتيقظ الفؤاد .

(٨) فتلوى سهراب من بعد ذلك ، وأطلق آهة ، وقصر (ذهنه) عن التفكير في الخير والشر .

(٩) وخاطب (رستم) قائلا : « إن هذا قد أصابني من جراء (فعلي) ، فأنا الذي أسلمت إليك المفتاح برهة من الزمن .

(١٠) وإنك لبريء من هذا ، فان هذا الفلك هو الذي نماني ثم سرعان ما قتلني .

(١١) فأترابي لا يزالون يلعبون ويلهون . وأما أنا فقد سقطت قامتي فوق الأرض على هذه الصورة !

(١٢) إن أمي قد أعطتني علامة لأبي . وها هي ذي روحي قد هلكت من جراء الحب !

---

(١) الضمير في الفعل يعود على رستم وسهراب .

(٢) حرفيا : « ايقاع السوء فوق رأسيهما » .

(١٣) لقد كنت أبحث عنه لعلي أرى وجهه . وهأنذا قد أسلمت الروح على هذا الأمل !

(١٤) فوا أسفاه أن تعبي لم يأت بثمرة ، وأنني لم أر قط وجه أبي .

(ص ٤٤)

(١) فالآن ، لو أنك تغدو سمكة في الماء ، أو تدخل في ظلمة حالكة كالدجى ،

(٢) ولو أنك تغدو نجما في السماء ، وتقطع كل تعلق لك بوجه الأرض ،

(٣) فان أبي سوف يطالبك بثأري ، حينما يرى أن وسادتي لبنة .

(٤) ولسوف يحمل أحد هؤلاء الكبراء الصيد علامة إلى رستم ،

(٥) بأن سهراب قتيل وملقى ذليلا، وكان يريد أن يدلى اليك برجاء ».

(٦) وحين سمع رستم ذلك تحير رأسه ، وأصبحت الدنيا مظلمة أمام عينيه .

(٧) وغدا مفتقداً للقوة والهمة والبأس ، وسقط طريحاً وأصبح بلا وعي .

(٨) وسأله بعد أن ثاب إلى رشده ، وكان يخاطبه بالنواح والأنين :

(٩) « قل لي : ماذا تملك من علامة لرستم ؟ أزال الله اسمه من بين الكبراء !

(١٠) انني أنا رستم ، فلا أبقى الله هذا الاسم ! وليت ابن سام [1] يجلس في مأتمي ! »

(١١) وصرخ صرخة ، والدماء تجيش (في عروقه). وكان يقتلع شعره، مسترسلا في النحيب !

(١٢) وحينما أبصر سهرابُ رستم على هذه الصورة ، وقد سقط طريحاً، وطار الوعي من رأسه ،

---

(١) يقصد بابن سام والده زال ابن سام .

(١٣) قال له : « إن كنت قتلتني لأنك رستم ، فما أظلم سوء طبعك !
(١٤) لقد كنت أرشدك الى الطريق بشق الوسائل ، ولكن حبك لم يستجب [١] مرة واحدة .
(١٥) فالآن حُلّ الرباط عن جوشني ، وانظر إلى جسدي الوضاء وهو عار .
(١٦) ثم انظر إلى خرزتك فوق ساعدي ، وتأمل ماذا لقي الابن من أبيه !
(١٧) فحينما علا صوت الطبول أمام بابي ، أقبلت أمي ، وقد احمرت وجنتاها ،
(١٨) وكانت روحها متألمة لذهابي . ولقد ربطت خرزة فوق ساعدي ،
(١٩) وقالت لي : هذه تذكار من أبيك ، فخذها وترقب ما تجلبه من النفع .
(٢٠) والآن وقد حمّ القضاء أصبحتْ عديمة الجدوى ! وها هوذا الابن غدا ذليلا أمام عين أبيه !»
(٢١) وحينما فتح رستم قفطان (سهراب) ، ورأى هذه الخرزة ، أخذ يشق ما عليه من الثياب .

(ص ٤٥)

(١) لقد كان يبكي دماً ويقتلع شعره ، وكان رأسه مجللا بالتراب ، ووجهه مبللا بالدموع !
(٢) فقال له سهراب : « يجب ألا تريق دموع عينيك ، فهذه ليست بذات جدوى !
(٣) وأيّ نفع لك من أن تقتل نفسك الآن ؟ إن هذا كان أمرا مقدرا ، وها هوذا قد جرى » .
(٤) وحينما مالت الشمس المشرقـــة نحو الزوال ، ولم يعد رستم [٢] من الصحراء إلى جيشه ،

---

(١) حرفياً : « لم يتحرك من مكانه » .
(٢) « تهمتن » لقب من القاب رستم ، ومعناه : «القوي الجبار » .

(٥) كان ظنهم أنه قد قتل ، ودارت رؤوس الكبراء جميعاً !

(٦) وأمر كاووس أن ينفخ في الأبواق وتدق الطبول، وجاء القائد طوس.

(٧) وقال الملك بعد ذلك للجيش: «أجروا من هنا رسولاً[١] إلى ميدان القتال،

(٨) (ليرى) ماذا كان من أمر سهراب . فقد وجب البكاء على أرض ايران » .

(٩) وحينما علا الضجيج من تلك الجماعة، خاطب سهراب رستم [٢] قائلاً :

(١٠) «الآن وقد انقضى يومي ، فقد أصبح أمر الترك على صورة أخرى.

(١١) فاسلك إزاءهم سبيل المحبة ، حتى لا يسوق الملك جيشه إلى حرب توران [٣] ،

(١٢) فهؤلاء كانوا قد خرجوا للحرب بؤازرتي، وتوجهوا نحو أرض ايران.

(١٣) فيجب ألا يلقوا عناء على الطريق . ولا تنظر اليهم إلا بعين العطف .

(١٤) فكم كنت قد قدمت لهم البشائر ! وكم كنت قد فتحت لهم من كل باب أملاً .

(١٥) وهل كنت أدري ـ أيها البطل الشهير ـ أن روحي ستذهب على يد والدي .

(١٦) إن في هذه القلعة رجلاً شجاعاً ، كنت قد تصيدته بحلقة وهقى ،

(١٧) وما أكثر ما ساءلته عن علامتك ! وكان خيالك دائماً أمام عينيّ .

(١٨) فكانت كل أقواله في غير هذا الوجه ، فعسى الله أن يخلي منه مكانه

(١٩) وحينما غدوت يائساً من جراء قوله ، أصبح يومي الأبيض حالك الظلام !

---

(١) « هيوني » : هذه الكلمة تعني رسولاً عاجلا أو فرسا أو جملا سريعا .

(٢) بيلتن لقب من ألقاب رستم ومعناه : من له حسد كالفيل.

(٣) بلاد الترك .

(٢٠) فانظر من يكون من بين الايرانيين ، ويجب ألا تصاب روحه بالأذى .

(٢١) لقد كنت قد رأيت العلامة التي أنبأتني أمي بها ، لكن عينيّ لم تصدّقا .

(ص ٤٦)

(١) وهكذا كان الطالع السيء قد كتب على رأسي أن ألقى على يد والدي مصرعي .

(٢) لقد أقبلت مثل البرق ، وأنا أذهب الآن مثل الريح ، فلعلي أراك مرة ثانية وأنت سعيد في الجنة » .

(٣) وامتطى رستم صهوة الرخش وهو مجلل بالغبار [١]، وقلبه يغلي بالدم وفي شفتيه أنفاس باردة !

(٤) وأقبل نحو جيشه منتحباً ، وكان قلبه من جراء فعله جياشاً مليئاً بالأسى .

(٥) وحينما أبصر الايرانيون وجهه ، سجدوا جميعاً على التراب .

(٦) وأطلقوا ألسنتهم بالثناء على الخالق ، لعودة رستم سالماً من أرض القتـال .

(٧) وحينما رأوا رأسه مجللاً بالتراب على هذه الصورة ، وقد تمزقت ثيابه واعتل صدره ،

(٨) أخذوا يسألونه قائلين : « ما هذا الأمر الذي جرى ؟ ومن أجل من غدوت ملتاع الفؤاد ؟» .

(٩) فأخبرهم بذلك الأمر العجيب الذي كان قد فعله ، وحدثهم عن ابنه الغالي وما أوقعه به من أذى !

---

(١) حرفياً : « وهو مثل الغبار » .

(١٠) فأخذ الجميع يلتحبون معه ، ولم يبق لدى القائد حينذاك عقل .

(١١) وهكذا خاطب الكبراء قائلاً : « إنني اليوم لا أملك قلباً ولا جسداً !

(١٢) فلا يطلب أحد منكم محاربة الأتراك ، وكفاهم ذلك السوء الذي أوقعته بهم اليوم .

(١٣) لقد قتلت ابني في وقت شيخوختي ، وقطعت أصل ذلك الشهير واقتلعت جذوره » .

(١٤) ثم أرسل رسالة إلى هومان [١] قائلاً : « لا بد لسيف الحقد أن يبقى في غمده ؟

(١٥) إنك الآن قائد ذلك الجيش.فترفق بهم، ولعلك لا تغفل عن ذلك.

(١٦) والآن لم يعد بيني وبينك يوم للقتال . ولا مجال للقول أكثر من هذا » .

(١٧) وجاء زوارة [٢] في ذلك الزمان ، ونقل إلى هومان ما قاله البطل (رستم) .

(١٨) وحينما تحول البطل عن ذلك المكان ، عاد إلى ولده الشاب الجريح.

(١٩) وأخذ رستم خنجراً بيده ، معتزماً أن يحتز به رأسه .

(٢٠) فتعلق به الكبراء . وكانت دموعهم تنهمر من الأجفان .

(١١) وقال له كودرز [٣] : « أية فائدة تعود عليك الآن ، ولو جعلت وجه الأرض ينفث الدخان ؟

(٢٢) وإن أنت أوقعت بنفسك مائة لون من الايذاء ، فأية فائدة تعود على ذلك المفضال ؟ » .

---

(١) هومان هو قائد الترك بعد سهراب .

(٢) زواره هو أحد القادة الايرانيين من أتباع رستم .

(٣) « كودرز » هو أحد أتباع رستم .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مختارات من رباعيات الخيام

- ١ -

كل ذرة كانت على وجه الثرى
إنما كانت وجهاً كالشمس وجبيناً كالزهرة
فامسح التراب برفق عن وجهك المدلل
فهو أيضاً كان خداً وغدائر لذات دلال

- ٢ -

إن الروح الذي تنزه عن تلوث التراب
أقبل اليك ضيفا من عالم الطهر
فلتهبه صهباء الصبوح مدداً له
وذلك قبل أن يهتف : أنعم الله مساك

- ٣ -

من تحقق له وقوف على أحوال الدنيا
أصبح سرور الدنيا وحزنها سواء لديه

وما دام خير الدنيا وشرها سينتهيان
فسواء أكانت كلهـــا ألماً أو راحة

- ٤ -

قالت الوردة: ليس هناك وجه أجمل من طلعتي
فكم ذا هو ظلم مـــا يفعله عاصر مائي
ولقد أجابها البلبل بلسان الحـــال :
من ذا الذي ضحك يوما ولم يبك عامـاً

- ٥ -

إن بداية دوران ذلك الفلك الذهبي [١]
والخراب الذي يصيب في النهاية مثل هذا الأساس المكين
لا يمكن أن تصبح معروفة بمعيـــار العقول
كما أنهـــا لا يمكن أن توزن بمقياس القياس

- ٦ -

أقلل من طمع الدنيـــا وعش راضياً
واقطع علاقتك بخير هذا الزمان وشره
واحس الصهبـــاء وداعب شعر الحبيب

---

(١) حرفياً « الطاس الذهبي » .

فسرعان ما ينقضي كل هذا ولا تبقى أيامك القليلة

- ٧ -

أيها الرفاق ! حينما تتفقون على موعد للقاء
ويسعد كل منكم رفيقه بجمال (محياه)
ويمسك الساقي في كفه بخمـــر المجوس
فاذكروا (رفيقكم) المسكين فلاناً بالدعاء

- ٨ -

أيهـــا الرفاق ! حينما تتفقون على التلاقي
فمن الواجب أن تطيلوا ذكر الرفـــاق
وإذا ما شربتم معـــاً صافي الصهباء
فأريقـــوا كأسي حينما يجيء دوري

تم الكتاب

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com